

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير
موسوم بـ

ترجمة معاني القرآن الكريم عند دونيز ماسون
-دراسة تطبيقية-

إشراف :
د. بلحيا الطاهر

إعداد الطالبة:
سريسر مليكة

أعضاء اللجنة المناقشة:

د. عباد أحمد..... رئيسا
د. عالم ليلي..... مناقشا
د. صفور أحلام..... مناقشا
د. بلحيا الطاهر..... مشرفا و مقررا

السنة الجامعية 2011-2012

إهداء

أهدي عملي المتواضع هذا إلى عائلتي الكريمة ، التي ساندتني و دعمتني و شجعتني على
تحمل الصعاب طيلة فترة إعداد الرسالة ، فلها خالص دعواتي أن يحفظها الله ويرعاها،
سائلة إياه أن لا يضيع لها أجرًا.

كلمة شكر

الشكر أولاً لله سبحانه وتعالى على ما منّ علي من فضل و وفقني في تحضير
هذه الرسالة المتواضعة.

بعدها أتقدم بالشكر والتقدير لأستاذي الفاضل بلحيا وعائلتي الكريمة
و كل من ساعدني في إعداد هذه الرسالة.

لا يخفى عن أحد ما للقران العظيم من مكانة عند المسلمين، فهو كتاب ربهم وشرعه ودستوره الذي إرتضاه للناس إلى يوم الدين، وهو معجزة نبيهم التي تحدى بها العرب والعجم، وكان لهم شرف الإهتمام به والعناية به، تلاوة وحفظاً، شرحاً وتفسيراً، تعلماً وتعليماً .

والقران هو كتاب العقائد السامية وأولها عقيدة التوحيد، وكتاب العبادات وكتاب الأخلاق، كما بعد كتاب التشريع بعامة و فهو حجة الله علينا وميثاقه الذي واثقنا به، وبالتالي هو موضوع الدعوة ومنهجها ودليلها وحجتها، لذا يرى المسلمون أنّ أول ما يجب عليهم فعله، هو نشر هذا الكتاب العظيم لأنه "يهدي للتي هي أقوم"(الإسراء9) ، ويسعون في ذلك بكل سبيل، ومن ذلك رأوا أن تترجم معانيه إلى اللغات الحية نشرها له، وسدا للطريق أمام أعدائه الذين يحاولون النيل منه بطريق ترجمته في لغاتهم والعبث بمعانيه.

ولطالما اختلف العلماء حول جواز ترجمة معاني هذا الكتاب الكريم من عدمها، فعدها البعض وسيلة من وسائل الدعوة، ومظهرها من مظاهر حوار الحضارات قديماً وحديثاً ومستقبلاً، وضرورة بشرية لا بد أن تكون حقيقة شرعية على أرض الواقع، فأصحاب اللغات الأخرى - حسب رأيهم- يحتاجون لقراءة هذا الكتاب المعجز بلغتهم، و لكن مع هذا الجواز يشترطون أن يكون من يقوم بهذه الترجمات لمعاني القران الكريم على درجة عالية من الثقافة الدينية، بحيث يكون ملماً بعلوم القران جميعاً، ويكون في ذات الوقت ملماً بقواعد اللغتين العربية والأخرى التي يترجم إليها، فما يقال من شروط لا بد أن تتوافر في المفسر، لا بد أن تكون موجودة أيضاً في المترجم، كما يجب أن تكون هناك مجالس من العلماء تضم أساتذة متخصصين في التفسير وعلم الدلالات القرآنية، وآخرين متخصصين في اللغات، في حالة الإقدام على ترجمات معتمدة للقران الكريم.

في مقابل ذلك، هناك من يرفض هته الترجمة أصلاً، معتبراً أنه ثمة فروقات كبرى بين محكم التنزيل والتصرف البشري في الترجمة والتأويل، وأنه بناء على تلك الفروقات، يجب أن تتأسس رؤيتنا للموقف من قداسة النص المترجم، وما يتفرع على ذلك من أحكام، ويعتبرون أنّ ترجمة

معاني القرآن تتسبب في ترجمة غير مراد الله عز وجل، كما أنهم يجزمون أنه لا توجد لغة تستطيع التعبير عن ما تريد قوله اللغة العربية، ولن تبلغها شأنًا.

غير أن هؤلاء وهؤلاء يتفقون على أنّ معنى القرآن هو اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً، ولم ينزل معنى القرآن على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، بل لفظ القرآن منزل عليه أيضاً لقوله تعالى "إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون" (يوسف2)، ومن هنا فإنّ معنى القرآن المؤدى بألفاظ أخرى غير ألفاظ القرآن الكريم ولو كانت عربية، ليس بقرآن بإجماع العلماء، فأى لفظ غير لفظ القرآن الكريم ليس بكلام الله بل هو تأويل لما فهمه المترجم كما سأفصل لاحقاً.

● **دوافع اختياري لهذا البحث:** إنّ من أسباب إختياري لهذا الموضوع هو حبي و شغفي بكتاب الله عز و جل، لأنه كتاب عظيم ومنهج حياة بكل ما للكلمة من معنى، و هو معجزة محمد صلى الله عليه و سلم للعالم أجمع الذي تحدى الله به الإنس و الجن على أن يأتوا بمثله، قال تعالى "قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً" (الاسراء88). وقد سمع هذا التحدي من عرف القرآن و عاش في نوره، بل حتى ومن لم يؤمن به، فلم يتقدم إنسان كان أو جنا قط بأن يأتي بسورة من مثله منذ أن بعث نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا.

إلى جانب هذا، هناك أسباب أخرى وراء إختياري هذا الموضوع منها:

✓ أهمية الموضوع فهو يتعلق بكتاب الله تعالى، في كيفية قراءة آياته، وفهمها وتفسيرها و بالتالي ترجمتها.

✓ معرفة الحقيقة من ترجمة معاني القرآن الكريم ، دوافعها، ومدى خدمتها لكتاب الله، محاولة مني الإحاطة بموضوع ترجمة معاني القرآن الكريم من خلال عدد من الترجمات المشهورة وعلى رأسها ترجمة دونيز ماسون محل دراستي والتي ذاع سيطتها و إشتهرت من بين ترجمات عديدة

لسهولتها و بساطة أسلوبها - حسب البعض - و هذا ما سأحاول نفيه أو تأكيده من خلال رسالتي هذه.

● **إشكالية البحث:** لطالما خاض العلماء قديما وحديثا في موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم، وقد أثارت هذه القضايا إشكاليات عقدية وتاريخية ولغوية، وكانت هذه الإشكالية محط أنظار الباحثين والمختصين في هذا المجال. ونتج عنها عدة تساؤلات تريد أن نجد لها جوابا و تفسيراً منها: ما هو السبب الدافع لترجمة معاني كتاب الله الكريم عموماً؟ و ما هي الحكمة منه؟ وهل هذه الترجمة تساوي أحكام القرآن الكريم في نسخته العربية؟ وهل ترجمة معاني القرآن قران أم لا؟ وما مدى إصابة المستشرق دوزيز ماسون في ترجمتها لمعاني كتاب الله؟ وما هي مواطن ضعف ترجمتها؟ وما هي أهم الإخطاء التي وقعت فيها؟ وما هو أسلوبها في الترجمة؟ ...

ولقد كتب في هذا موضوع ترجمة معاني القرآن الكريم جمعٌ من العلماء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، وسأحاول التطرق هنا إلى مختلف آرائهم ومواقفهم المتضاربة من هذا الموضوع الحساس، والبالغ الأهمية، كيف لا وهو يتناول كتاب الولي عز و جل.

لقد كان هدي في هذا البحث تقديم الدليل على عدم إمكان ترجمة القرآن الكريم ترجمة صحيحة تحفظ له معانيه الدقيقة، وحكمه البالغة بكل مظاهر إعجازه، كما كان هدي أيضاً تقديم الدليل على عدم صلاحية ترجمة دوزيز ماسون لمعاني القرآن الكريم، لأنها تخلط بين الترجمة بمعناها الدقيق حين تقدر على ذلك وبين التفسير والشرح والتأويل حين لا تقدر. وفي المقابل، بينت أنّ الترجمة التفسيرية هي الوسيلة الأصح والأأنفع في بلوغ المقصود، وقد دعاني ذلك إلى الحديث عن الأسباب التي تجعل نقل معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم أمراً ضرورياً، وعن الخصائص المميزة للغة القرآن الكريم، وعن علاقة الترجمة بالعقل البشري وأهميتها في التواصل، وعن أهمية اعتماد التفاسير الموثوقة في تقريب كلام الله المنزل إلى الناس أجمعين.

● **المنهج المعتمد:**

● لقد كانت دعامة منهج بحثي هذا تركز على أمرين هما:

- **التحليل:** وذلك من خلال دراسة الأسلوب المتبع من طرف ماسون في التعامل مع ألفاظ القرآن الكريم، وبالتالي كيفية ترجمتها، ومدى مراعاتها لأسلوب القرآن الكريم.

- **الإحصاء:** وهو إحصاء لأهم الأخطاء التي وقعت فيها دونيز ماسون عند ترجمتها لمعاني كتاب الله، ومحاولة تصحيحها من خلال الرجوع إلى أشهر التفاسير.

وعلى هذا الأساس كان المنهج المتبع تحليلي بالدرجة الأولى، يصف أصول الاختلافات الواقعة بين العلماء حول جواز ترجمة معاني القرآن الكريم من عدمها، من خلال عرض أهم الآراء والتوجهات الواردة فيها، إلى جانب تحليل ترجمة ماسون من ناحية الأسلوب المتبع في الترجمة، بالإضافة إلى المنهج التاريخي فيما يتعلق بالمدخل والفصلين الأول والثاني الذي لم يكن بوسعي الإستغناء عن أحد منها، وذلك لأهمية ما تطرحه من أمور تمس في نظري صلب ترجمة معاني القرآن الكريم، كالحكم منها و تبيان أشهر من تعرض لها، والإشكاليات التي قد يقع المترجم فيها عند الشروع في تناول كتاب الله، وغيرها من المواضيع المهمة التي إرتأت إلا أن أسلط الضوء عليها في رسالتي هذه، كميزة لغة القرآن الكريم كلسان عربي فريد يسمو فوق أي لسان. هذا إلى جانب المنهج الإحصائي في حصر أهم الأخطاء اللغوية والنحوية التي وقعت فيها المترجمة، وعلى هذا الأساس إقتضت طبيعة البحث ومنهجيته أن تكون الرسالة على الشكل التالي:

● **خطة البحث:**

. **عنوان البحث:** "ترجمة معاني القرآن الكريم عند دونيز ماسون"

—دراسة تطبيقية—

المدخل:

- 1 : خصوصية القرآن الكريم.
- 2: إعجاز القرآن البياني، الذي يسمو فوق كل كمال ورونق، وذلك من خلال إعطاء أمثلة من آيات الله، يقف الواحد منا أمامها منبهاً بعظمة هذا الكتاب، الذي إن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بحرف من مثله، لن يفعلوا حتى يلج الجمل في سم الخياط .

الفصل الأول: ماهية ترجمة معاني القرآن الكريم .

- و الذي أحاول من خلاله تسليط الضوء على معنى الترجمة عموماً، و من ثم التركيز على ترجمة معاني القرآن الكريم، و إبراز أهميتها و صعوبتها و الغاية منها.
- **المبحث الأول:** أهم المشاكل ترجمة معاني القرآن الكريم، و ذلك في إيجاد المقابل لمعاني كلمات القرآن و ألفاظه، وسأركز على ترجمة المصطلحات الإسلامية منها كالصلاة و الزكاة، وغيرها من تلك التي يختص بها القرآن بوجه خاص أو على الأقل يختص بدلالاتها.
- **المبحث الثاني:** الحكم من ترجمة معاني القرآن الكريم، حيث أتعرض إلى مناهج الاختلاف والنزاع بين علماء الأمة الإسلامية في موقفهم من الترجمة، والفصل في أنواعها، وأي نوع يرجحه الفقهاء وأصحاب الشرع، ثم بيان أثر الترجمة الصحيحة والفسادة، وتأکید أنَّ الترجمة وسيلة لمعرفة معاني القرآن للمسلمين غير الناطقين باللغة العربية .

الفصل الثاني: تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم.

- **المبحث الأول:** يتعرض لأهم ترجمات المستشرقين ، دوافعها و خطرها.
- **المبحث الثاني :** أبرز من خلاله الترجمات الإسلامية البارزة، والترجمات التي إرتأت أن أسميها " شبه الإسلامية"، لأنها في نظري مشبوهة، و ذات أثر سلبي على عقل المتلقي، وإستيعابه لكلمات الله.

الفصل الثالث: رحلة دونيز ماسون مع كتاب الله.

ذلك أنني وعند قراءتي لترجمة هذه المستشرق - محل الدراسة - شعرت وكأنني أصول وأجول في عقل المترجمة ، وأتفحص أفكارها التي كثيرا ما صدمتني، و التي سأحاول إيصال أكثرها جدلا إلى المتلقي، مع التعليق عليها، و تصحيحها قدر المستطاع بالأدلة والبراهين وأقوال العلماء.

- **المبحث الأول:** منهج المستشرق في الترجمة وأسلوبها فيها، من خلال بيان مدى نجاعته و إنعكاسه سلبا أو إيجابا على الترجمة نفسها.

- **المبحث الثاني:** من أخطاء دونيز ماسون في ترجمتها لمعاني كتاب الله، و هنا سأحاول إيجاد البديل لهته الأخطاء ، بالرجوع إلى تفسير ابن كثير الذي إعتمدت عليه في القول الفصل في الترجمة الصحيحة، وسوف أركز أساسا على الأخطاء والنواقص لأن الأمر يتعلق بكتاب الله تعالى الذي ينبغي الحرص على أن لا تُحَرَّف معانيه أو تُشوه مقاصده ودلالاته، أما المواطن التي أحسنت فيها المترجمة وكانت موفقة إلى حد ما في نقل المعاني وبيان المراد من النصوص القرآنية، فلن أستفيض فيها لأن الإتقان وملازمة ما هو أقرب إلى الصواب هو المطلوب من كل من أقدم على ترجمة معاني القرآن، كما أنَّ غايي القصوى من هذا البحث ستكون كشف مواطن الخلل وجوانب القصور.

الخاتمة: سأختم عملي المتواضع هذا بخاتمة، ألخص فيها أهم النقاط التي تناولتها في البحث، ومن ثمَّ الخروج بتوصيات ونتائج، لعلها تفيد المهتم بموضوع ترجمة معاني القرآن و تنير دربه.

صعوبات البحث و عوائقه:

من أهم ما لقيته من صعوبات في تحضير رسالتي هذه هو تعذر العثور على ترجمة دونيز ماسون لمعاني القرآن الكريم التي تعدُّ من أشهر الترجمات الفرنسية، وأكثرها تداولاً، إضافة إلى قلة - إن لم أقل إنعدام - المراجع ذات الصلة بهذه المستشرق وأعمالها سواء في الجزائر أو على صفحات الإنترنت، فجلت الجزائر كلها على أمل العثور عليها لكن دون جدوى، فتساءلت عن السبب كون المترجمة من المستشرقين المعروفين، و لها من الإصدارات المهمة الشيء الكثير، فتأسفت كثيرا لإفتقار بلادنا للمادة العلمية، فكلما دخلت مكتبة إلا ورجعت خائبة بعدما قال لي صاحبها إنه

من المستحل أن أعثر على شيء يخص هذه المستشرق، و أنه يجدر بي التوجه إلى فرنسا أو لبنان أين يطبع لها كثيرا. و فعلا فقد اضطرت لإبتياعه من "باريس" بعد إنتظار طويل، وبعدها بدأت رحلتي معه.

في مقابل ذلك كثرة المادة العلمية فيما يتعلق بعلوم القرآن الكريم و ترجمته عموما، بحيث صعب علي الإحاطة بها في رسالة واحدة، و من جهة أخرى غياب الدراسات الحديثة الجادة التي تكشف لنا الحقائق، كما كانت المشاكل التقنية عقبة زادت من معاناتي وإرهاقي في مجال البحث والكتابة ، فزادت من طول مدة البحث، وإعادة الترتيب والكتابة.

وفي الأخير، أتمنى أن يكون بحثي هذا بادرة خير، ومحاولة موفقة لدراسة ماهية ترجمة معاني القرآن الكريم في ثوب جديد وإطار منهجي حديث، ولا أعتقد بعد هذا أنني قد إستوفيت البحث حقّه، نظراً لدقته و حساسيته، وحسبي أنني بذلت جهدي، فإن أصبت فمن الله، وذلك ما كنت أبغي، وإن أخطأت فمن نفسي، و يكفي أنني وضعت لبنّة لمن أراد أن يكمل البناء.

المدخل:

- 1- خصوصية القرآن الكريم
- 2- الإعجاز البياني للقرآن الكريم

1- خصوصية القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كلام الله، أوحى به إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وهو غير كلام البشر، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كتاب محكم بلغ منتهى الدقة والإتقان، ولا يوجد ما يمكن أن يجاريه في فصاحته وحسن بيانه، وما من سبيل إلى مجاراة إعجازه على كل الوجوه، سواء ما يرتبط بإعجازه البلاغي أو التشريعي أو العلمي أو التاريخي أو الدعوي وغيرها، ولم يطله أي نوع من التحريف أو التشويه، وذلك تحقيقاً لوعده عز وجل "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (الحجر9).

وهو كتاب يخاطب العالمين من الإنس والجن، وفيه خبر السابقين، ونبا المحدثين الذين شهدوا بعظمته وجلاله، بل حتى الجن شهدت له فقالوا "إنا سمعنا قرانا عجا*يهدى إلى الرشـد فامنا به ولن شرك بربنا أحدا" (الجن 1، 2) وقالوا "قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم" (الأحقاف30).

وقد قدّم الله عز وجل القرآن الكريم على غيره من سائر الكتب المنزلة، وباركه بأن وضعه في منزلة تفوق الكتب السماوية الأخرى حيث قال "وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم" (الزخرف4)، فهو معجزة خاتم النبيين، نزله الله بعمله وتكفل بحفظه، ولم يكفل حفظه أو جمعه إلى سواه ليكون مرجعا دائما للبشرية، لا يطرأ عليه تغيير ولا تبديل، ولا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وقد أودع الله جل شأنه كتابه هذا، من الخصائص والمزايا والصفات ما يجعله قادرا على تلبية إحتياجات البشرية كلها من المنهج والشرعة، مهما إختلفت أزمانها، وتباعدت ديارها، وتغايرت وتمايزت ثقافتها وحضاراتها، وتضاربت تقاليدها وتواريخها، وإختلفت ألوانها وأجناسها.

لقد نزل هذا القرآن المجيد على قلب عبد الله و خاتم رسله، محمد صلوات ربي و سلامه عليه بدءا بقوله الله تعالى: "إقرأ باسم ربك الذي خلق" (العلق1)، وإكتمالا بـ: "اليوم

أكملت لكم دينكم" (المائدة3)، ولقد قام رسول الله صلى الله عليه و سلم بمهمة تلاوته على الناس، وقراءته عليهم وتبليغهم آياته، وما إشتمل عليه من أحكام وحكم، وتزكيتهم وتطهيرهم به، وقدم لهم النموذج من خلال هذا الكتاب العظيم، وآتاها نصيبها من القيم التي يحملها، حتى لم يعد هناك أحد من الناس إلا ويستطيع أن يجد في سيرة هذا الرسول الكريم وقيم ما يتلوه من القرآن الكريم ما يستطيع أن يتأسى به، وتصديق كل ذلك تجده في سنة وسيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم، وما كان منه من بيان ليكون منبرا لتعاليم هذا الكتاب العظيم، فلم تعد البشرية بعده في حاجة إلى شيء سوى أن تتلو هذا القرآن، وتتدبر آياته، وتعمل بمحكمه، وتؤمن بتفاصيله، وتتشبث بمنهجه وشريعته، وتتأمل منهج رسوله صلى الله عليه و سلم وسيرته في تطبيق تعاليمه.

إنَّ من أهم الخصائص المميزة للقران الكريم ما يلي :

اللغة :

تبعاً لسنة الله القاضية بمخاطبة كل قوم بلسانهم بواسطة رسله وأنبيائه، فإنَّ القرآن نزل بلسان المخاطبين به أولاً، أي بلسان عربي مبين، فلغة القرآن - من هذه الجهة - هي اللغة التي كان يتكلم بها العرب، معبرين بها عن أفكارهم وتأملاتهم وعواطفهم ومشاعرهم وحاجاتهم وأغراضهم، ولذلك لم يعسر عليهم فهم رسالة الله إليهم المضمنة في القرآن الكريم. وحينما نصف لغة القرآن بأنها كلام الله، فإننا لا ننفي عنها أنها اللغة التي كان العرب يستعملونها، كما أننا حينما نصف محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم بأنه رسول الله، لا ننفي عنه أنه بشر كباقي البشر. ولم يكن هذا المعنى غائباً عن علمائنا الأوائل، فـ "لقد أدرك اللغويون القدامى أنَّ لغة التنزيل هي لغة الخالق الأعظم، وأنها ليست كلغة العرب أهل اللسن والفصاحة، وأنَّ لها خصائص عالية إكتسبت بها الإعجاز"⁽¹⁾.

(1) الدكتور إبراهيم السامرائي، في شرف العربية ، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1994م، ص 35

التنزه:

لما كانت لغة القرآن كلام الله ، فإنها لا تخضع لأي قيد تخضع له اللغات البشرية ، فلغة القرآن لا تصدر- كما هو أمر اللغات البشرية- عن قاعدة لغوية مقيدة بما هو ممثل في أساسياتها المعرفية، كما أنها -بحكم مصدرها الإلهي- ليست لغة مقيدة بقيود التجربة البشرية مع العالم الخارجي، ولذلك وصفتها بأنها لغة تتميز بخاصية التنزه ، فهي حينما تصف الواقع : واقع الدنيا أو واقع الآخرة، فإنها تصفه متعالية عن أي قيد يقيد لغات البشر بحكم أنهم بشر، وبناءً عليه، فإنها تقدم أدق وصف للواقع، واقع الدنيا وواقع الآخرة.

الدقة :

من خصائص لغة القرآن الكريم الدقة، ومعناها إستعمال اللغة إستعمالاً موجهاً بدقة عالية لتأدية معان مقصودة ، حيث وُضع كل لفظ من ألفاظه بحكمة بالغة، ليؤدي معنى محدداً لا يؤديه أي لفظ آخر سواه، وبصورة نسقية في القرآن كله ، فما يدل عليه لفظ "الإنسان" - مثلاً - غير ما يدل عليه لفظ "البشر" في الإستعمال القرآني، وما يدل عليه لفظ "الناس" غير ما يدل عليه لفظ "الأناسي"، وما يدل عليه لفظ "النفس" غير ما يدل عليه لفظ "الروح"، وما يدل عليه لفظ "القلب" غير ما يدل عليه لفظ "الفؤاد" وهكذا...

والمقرر أنَّ ما يفيد لفظ قرآني لا يفيد أي لفظ آخر مهما كان قريباً منه في المعنى. تقول الدكتورة عائشة بنت الشاطي "ولقد شهد التتبع الإستقرائي لما درست من ألفاظ القرآن الكريم أنه ينفي الترادف، إذ يستعمل اللفظ بدلالة محددة لا يمكن أن يؤديها لفظ سواه في المعنى الذي تقدم له المعاجم وكتب التفسير عدداً من الألفاظ قل أو كثر"⁽¹⁾.

(1)الدكتورة عائشة بنت الشاطي، من أسرار العربية في البيان القرآني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1971م، ص 23

ومن الأمثلة الدالة على ذلك، الفرق الدقيق بين "الغيث" و"المطر" في الإستعمال القرآني، كما يورد ذلك الدكتور إبراهيم السامرائي⁽¹⁾:

وردت كلمة الغيث دائما في مواطن يشير إلى الرحمة و الخير :

- " وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته " (الشورى 28).

- "إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته " (الحديد 20)

- "إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم" (الأنفال 9).

في حين أنّ كلمة " المطر " قد إستعملت في الشر والعذاب...

- " وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين " (الشعراء 173).

- " وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل " (الحجر 74).

- " فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود " (هود 82).

لقد فرّقت إذن لغة التنزيل بين المطر والغيث، فكان المطر عذاباً وشرا ونذرا بالويل والثبور، وكان الغيث رحمة وخيرا ونعما.

وفي القرآن ذاته، نلمس دعوة صريحة إلى ضرورة العناية بوضع كل لفظ في موضعه اللائق، وضرورة التفريق بين معاني الألفاظ مهما تقاربت في المعنى، فلفظ "راعنا" لا يوحي بالمعنى الذي يوحي به لفظ "أنظرنا"، ولفظ "آمنا" لا يحمل المعنى الذي يحمله لفظ "أسلمنا"، ولا يمكن أن يستعمل في محله ، و يبين ذلك قول الله عز وجل:

(1)الدكتور إبراهيم السامرائي، في شرف العربية ، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1994م، ص

" يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا أنظرنا وإسمعوا " (البقرة 104) وقوله عز من قائل: " قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم " (الحجرات 14).

وإذا كان العامة من الناس يفشلون أحياناً في إستحضار الكلمات المناسبة للتعبير عما يريدون إبلاغه، فامتلكم الطبيعي لا يوفق دائماً في التعبير بدقة عما يريد التعبير عنه بلغته، ولذلك كثيراً ما يلجأ للإستدراك بالقول إنه لا يقصد ما قال، أو إنّ اللغة خائنه في التعبير، وما شابه هذه الإستدراكات، وتؤكد هذه الحالات القول بوجود مستوى ذهني تقع فيه المعاني، والقول بإستقلاله عن المستوى الذي تقع فيه اللغة، وإذا كان الأمر كذلك، فإن كل متكلم طبيعي يحدد في ذهنه أولاً المعاني التي يريد التعبير عنها، ثم يلجأ إلى المستوى الذي توجد فيه اللغة التي إكتسبها أو تعلمها للتعبير عن هذه المعاني الممثلة في ذهنه.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الفصيح من المتكلمين هو الذي تتطابق عباراته اللغوية مع معانيه الذهنية، وتتدنى درجة فصاحته بقدر إتساع المسافة بين مستوى المعاني الممثلة في ذهنه، وبين مستوى التعبير اللغوي عنها، ولذلك كانت الفصاحة - بهذا المعنى - من صفات الأنبياء والرسل، حتى إنّ موسى عليه السلام - الذي كان يشكو من عقدة في لسانه - قد دعا ربه حين كُلف بتبليغ رسالته أن يشد أزره بأخيه هارون واصفاً إياه بأنه أفصح منه:

" وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني " (القصص 34).

ينبغي على ما سبق، أنّ كلام الله في القرآن الكريم يجسد التطابق التام بين المعاني وبين التعبير اللغوي عنها، بخلاف كلام البشر الذي يعتريه ما يفسد حصول هذا التطابق، وبذلك يكون المقصود بخاصية الدقة، أنّ لغة القرآن الكريم لغة معبرة بأدق الوسائل اللغوية عن المعاني المراد إبلاغها، حتى إنه لا مجال لأن يكون هناك إحتمال وجود لفظ أوفى دلالة من اللفظ الذي إستعمل في القرآن في أي موقع كان .

إنَّ القرآن هو الحجة البالغة لخاتم الأنبياء والمرسلين، لا يتطرق إليه شك فهو كتاب إعجاز وهداية، وكتاب تشريع، وهو كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلنا وخبر ما سيأتي بعدنا، وهو الفصل ليس بالهزل، من إبتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

2- الإعجاز البياني للقران الكريم:

بينما كنت بصدد البحث عن المادة العلمية التي أجد فيها ضالتي حول إعجاز القرآن البياني، إرتأيت أن أعرج بعجالة على ميزة اللسان العربي بين الألسن جميعا، لأبين أن لا لسان يضاهيه قيمة وأصالة و جمالا، كيف لا وهو لسان القرآن الكريم، ووجدت لذلك كتابا قيما ألا وهو دراسات فنية في الأدب العربي "لعبد الكريم اليافي"، الذي أحسست بمدى شغف الكاتب فيه وحبه للغة العربية من خلال ما عرضه من أوجه جمال وتفوق هذا اللسان على سائر الألسن. فللغة العربية -يقول صاحب النص- مكانة خاصة بين كل اللغات وأن لا لغة تضاهيها في مزاياها وخصائصها و فضائلها فهي من أقدم اللغات الحية على الإطلاق، مما يكسبها مرونة واسعة، ويزودها بتجارب كثيرة تضمن لها العيش والإستمرار على الرغم مما تواجهه من صعاب، لأنها أيدت بمجيئ الدين الإسلامي ونزول القرآن، مما حقق لها الكمال المفرد بين جميع اللغات⁽¹⁾.

"لقد خرجت اللغة العربية مع العرب من بلادهم، وتدفقت كالسيل المخصب الممرع في بلاد العالم. ولمرونتها وروائها ورونقها و مائها وإتساع دلالتها و دقة بياها وملائمتها، غلبت جميع اللغات التي صادفتها، بل أمدّت تلك اللغات بنسغ قوي حي، وأعطتها حياة جديدة طيبة. ولا غرو أن أصبحت بعد أمد لغة الأدب و لغة العلم و لغة السياسة، و لغة التجارة و لغة الدين، ولغة الحضارة ولغة الحديث المهذب لشعوب كثيرة تكلمت بها عصورا طويلا لا للشعب العربي وحده، وبذلك شادت بألفاظها كالجواهر الكريمة أعظم بنيان لثقافة الدهر، ولم يتح مثل ذلك للغة من اللغات حتى اليوم"⁽²⁾.

إنّ اللغة العربية غزيرة وافرة، لها طابع الإبداع والعمق، حروفها سهلة ومعانيها قوية وجزلة، مرتبة في تراكييبها، بعيدة عن النشاز والضعف، كيف لا وهي اللسان الذي إختاره العلي القدير ليخاطب به الناس جميعا.

(1) عبد الكريم اليافي ، دراسات فنية في الادب العربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ، ط 1 ، 1996، ص8.

(2) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وعن خصائص الحروف العربية وإقترانها ببعضها، يضرب اليافي مثلاً لحرف الغين، فيقول أنه حرف مهموس رخومخرجه، وأنّ جل الألفاظ التي تشتمل عليه تشير إلى الغموض والستر، "كغل" فالغين واللام يدلان على تخلل الشيء، والغلة والغليل العطش، لأن الشيء ينغل في الجوف بحرارة، فيقال بعيرغلان أي ظمان، والغلول أن يخفى الشيء فلا يرد كان صاحبه قد غله بين ثيابه. وكذلك الغين والميم تدلان على التغطية والإطباق، فنقول غممت الشيء أي غطيته، كما أنّ الغمام جمع غمامة وهو السحاب، ويقال غمّ الهلال أيلم يرى، وغمه الشيء أي غشي قلبه⁽¹⁾.

وعلى غرار جمال الحروف وإتساقها، فإنّ ما يميز اللغة العربية يقول صاحب الكتاب حركات الإعراب التي "ترفع فتضم و تنصب فتفتح و تجر فتكسر و تجزم فتسكن، وتبث في الألفاظ حركات الفكرنفسه، وتجسدها فيها، وإنّ لها فلسفة يصح توسعتها، فالرفع يفيد التأثير والإسناد أو التكافؤ، والنصب يفيد التأثير والتنبية على أمر من الأمور، والجر يفيد الإلحاق والإنقياد والإضافة، والتسكين عامة يشق عن الميل إلى التخفيف. حتى التذكير والتأنيث المجازيين لهما شأن في حياة الفكر العميقة، وفي سر النظر إلى أغوار الكائنات يجعل اللغة التي تعتمد على الصق بالطبيعة، وأشف عن أخيلة الكون من هذه اللغات المهجينة التي تنظر إلى الأشياء نظرة قصيرة نفعية جامدة⁽²⁾.

"أما الإشتقاق وسائر الأساليب الأخرى، فليس لسائر اللغات كما للعربية، فهي أفضلهن وأشرفهن وأكملهن، فهن الفقيرات وهي الغنية، وهن المتشاكسات وهي السوية كيف لا وفي غيرها ترى إسم الفاعل من مصدره إسم المفعول من آخر. فما مثلهن إلا مثل الثوب المرقع و الوجه القبيح المبرقع. و ما مثل العربية إلا مثل دوحه ذات أفنان، في كل فن منها أفنان لا يزال ظلها ظليلاً ضافياً و موردها عذبا صافياً"⁽³⁾.

(1) المرجع السابق، ص 13

(2) المرجع السابق، ص 15

(1) المرجع السابق، ص 16

إنّ من أسباب إختياري لهذا الموضوع هو حيي و شغفي بكتاب الله عز و جل، لأنّه كتاب عظيم و منهج حياة بكل ما للكلمة من معنى ، وهو معجزة محمد صلى الله عليه و سلم للعالم أجمع الذي تحدى الله به الإنس و الجن على أن يأتوا بمثله قال تعالى "قل لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" (الاسراء88) . وقد سمع هذا التحدي من عرف القرآن و عاش في نوره، بل حتى ومن لم يؤمن به ، فلم يتقدم إنسان كان جنا قط بان يأتي بسورة من مثله منذ أن بعث نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا.

إنه كتاب الله الذي لا يعمل شيئا من إفتراء أو أكاذيب، ولا يشبه شيئا من كلام الفصحاء في أسلوبه الفذ العجيب، إنه وحي و تنزيل يتنزل، وهدى رباني ألقي على نبي كريم. ولقد حفظ الله عز وجل هذا القرآن بكتابته في السطور، و حفظه في الصدور، فلم يعرف كتاب سواه عناية أكبر من تلك التي حظي بها هذا الكتاب الكريم، ولم يبلغ كتاب ما بلغ من روعة بتواتر سوره وآياته وألفاظه وحروفه ، فلقد أقبل العلماء على هذا الكتاب المجيد مشغوفين بكل ما يتعلق به حتى أحصوا عدد آياته وحروفه، بل وحتى أطول كلمة فيه و أقصرها وغيرها من أبحاث أكثر وزنا، ملتهمسين بها ثوبا من عند المولى عز وجل، مع تحقيق حفظ كلامه من العبث من جهة، والدعوة إليه من أخرى.

إنه كتاب إن نطق لا ينطق إلا بالحق، و إن علم لم يعلم إلا الحق و الرشاد، و إن صوّر لم يصور إلا أجمل لوحات الحياة ، وأن رتل لم يسمع بعده لحن أجمل في الوجود كله، فان له سحرا يجمع بين مزايا الشعر و النثر جميعها فلا شعر يضاهيه و لا فصاحة تعادله.

إنّ القرآن هو الآية الأولى للرسول صلى الله عليه وسلم، و دليله الأعظم على نبوته ورسالته للعالمين، وهو يحمل البرهان من ذاته على انه كلام الله تعالى، أوحاه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليتحدى به الكافرين على أن يأتوا من بيانهم وكلامهم بمثله.

إنَّ إعجاز القرآن حقيقة قاطعة و بديهية مقررة، وهذا الإعجاز طريق إلى هدف عظيم وغاية سامية وهو دليل واضح على مصدره الرباني، وعلى أنه كلام الله سبحانه وتعالى الى محمد صلى الله عليه وسلم و الذي هو أساس الإيمان .

وقد تطور فهم إعجاز القرآن في التاريخ الإسلامي، فبدأ باعتباره دليلا على النبوة وشاهدا على مصدر القرآن الرباني، ثم دراسة بيانية بلاغية للتعبير القراني، يبحث في مختلف أصول البلاغة اللغوية، ثم إنتقل ليشمل جميع الأدلة الدالة على أنه كلام الله وما يتعلق بمضامين القرآن وموضوعاته، مثل أنباء الغيب و الحقائق العلمية و غير ذلك.

وتعددت المدارس والاتجاهات في دراسة إعجازالقرآن، وظهرت الكتب والدراسات والأبحاث الكثيرة العديدة في بحث الإعجاز و فهمه و دراسته، وتباينت الآراء في تعليل إعجاز القرآن بماذا كان معجزا، ومن ثمَّ اختلف العلماء في وجود الإعجاز.

وقد أجمع الباحثون على القول بالإعجاز البياني - محل إهتمامي- و أنَّ القرآن معجز ببلاغته وأسلوبه و بيانه و تعبيره، وأنه بهذا يقدم شهادة عظيمة على مسالة إثبات أنه كلام الله، وإعتبروه من أهم وجه إعجاز للقرآن الكريم كونه تحدى المنكرين، و طالبهم بالإتيان بمثل هذا الكتاب في بيانه و بلاغته، فعجزوا عن معارضة البيان القراني.

إنَّ أسلوب القرآن فوق مستوى أساليب البيان العربية كلها، و لا يوجد عند العرب أثر أدبي يجاري القرآن، فقد أجاد هذا الكتاب العظيم في كل ما عرض من موضوعات لأنَّ تأليف الكلام في موضوع جديد دائما ما يكون أصعب من تأليفه في موضوع قديم ومألوف ومع ذلك عبر القرآن عن الموضوعات الجديدة بطريقة معجزة، وصاغها بألفاظ و تعابير بارعة فوق مستوى أي بشر.

إنَّ كلمات القرآن وجملة متميزة ، يعرفها المرء إذا وضعت ين كلام العرب الشعري و النثري، وإنَّ أسلوبه سلس سهل يفهم على أيسر وجه، إلا أنَّ العرب عجزت عن الإتيان بمثله

لأنه كلام الله ومعجزة نبيه على الرغم من تقدمهم في البيان والفصاحة. ففي عصر التنزيل كان مستوى العرب البياني في ذروته، فالعرب في العصر الجاهلي كانوا أكثر فصاحة و بلاغة من أولئك الذين جاءوا في العصر الأموي أو العباسي و غيرهم من العصور، وكانت قريش خاصة أوضح قبائل العرب كلها، فكان الجميع يفد إلى مكة في مواسم الحج ليعيش حياة شعرية أدبية ثقافية بكل ما للكلمة من معنى ، و لقد سجل رواة الأدب بعض أشعارهم وخطبهم و أمثالهم مما يكفي للدلالة على مستواهم البياني الرفيع.

وعلى الرغم من هذا ، نجد هناك من يشك في مستوى فصاحة وبيان لغة العرب وشعرهم آنذاك والهدف من هذا برأيي هو التشكيك في "إعجاز القرآن البياني" ، لأنَّ عجز أولئك الفصحاء في الإتيان بمثل سورة من القرآن الكريم، هو حتما إقرار بإعجاز القرآن البياني. إنَّ الإقرار بإعجاز القرآن البياني، إنما هو إقرار بالنبوة و دليل عليها ، وأنه كلام الله المنزه عن الخطأ فقليله و كثيره سواء في الإعجاز، فأقصر سورة فيه معجزة كأطولها ، لأنَّ هذا الإعجاز كائن في نظم القرآن.

إنَّ كلمة "إعجاز" لم ترد في آيات القرآن بل إستعملت كلمة "آية" للدلالة على المعجزة والإعجاز كما جاء في الكتاب القيم "الدين والدولة في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه و سلم" لمؤلفه علي بن ربن الطبري حيث قال "...ومن آيات النبي صلى الله عليه و سلم هذا القرآن و إنما صار لمعان لم أر أحدا من مؤلفي الكتب في هذا الفن فسرّها..." متحدثا عن كون أمية محمد صلى الله عليه وسلم مع نزول هذا القرآن -عالي البيان و البلاغة- دليل على نبوته، لأنه لم يكن يجيد القراءة و لا الكتابة، و الكل كان على علم بذلك و لما أتاه سيدنا جبريل وهو في غار حراء بدا بمخاطبته بكلمة "اقرأ" فيجيب النبي صلى الله عليه و سلم "ما أنا بقارئ"⁽¹⁾.

(1) علي بن ربن الطبري ،الدين و الدولة في إثبات نبوة محمد، منشورات دار الأفاق الجديدة. بيروت، ط1، 1973، ص98

(2) الرمازي و الخطابي و عبد القاهر الجرحان ، ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، دار المعارف بمصر، ط3، ص(75-76)

(3) المرجع السابق ص(76-109)

إنَّ من أشهر من تكلم عن الإعجاز البياني في القرآن -حسب ما وجدته من مادة علمية عند بحثي- الرماني ، في رسالته -إلى جانب الجرحان و الخطابي- "ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"، لأنه أفاض في هذا الباب، وأطال الشرح والتفسير حيث قسم البلاغة القرآنية إلى ثلاث طبقات كما يلي (2) :

- ***الطبقة الأولى:** وتحتوي الكلام الذي في أعلى طبقة، وهو القرآن المعجز، وهذه الطبقة خاصة بالقرآن لا يشاركه فيها كلام بليغ آخر، لأنه هو الكلام الوحيد المعجز.
- ***الطبقة الثانية :** الكلام الذي في الطبقة الوسطى، وهو كلام البلغاء الفصحاء من الناس.
- ***الطبقة الثالثة :** الكلام الذي في أدنى طبقة ، وهو كلام عامة الناس .

وقد صنف الروماني البلاغة القرآنية في عشرة أقسام وهي : الإيجاز والتشبيه والاستعارة و التلاؤم و الفواصل والتجانس والتصريف والتضمين و المبالغة وحسن البيان (3).

ولقد أفاض الرماني في شرح هذه الوجوه البلاغية العشرة في حوالي خمس وثلاثين صفحة، والتي سأمر على بعض منها بإيجاز.

الإيجاز: "الإيجاز هو تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وهو أعلى مراتب البلاغة، لأنه إظهار لمعنى عظيم، وقول كثير، بأقل الألفاظ الممكنة، فيعلو الكلام به عن سائر القول، ليأخذ صفة الربانية وحدها " (1).

(1) المرجع السابق، ص77

(2) المرجع السابق، ص80

كقوله تعالى "قول معروف و مغفرة" (البقرة 263) أو "براءة من الله" (التوبة 1) وهي صفة القصر. أما الصفة الثانية من الإيجاز فهي الحذف ، كقوله تعالى "لو أن قرانا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو علم به الموتى" (الرعد 31)، وإذا إفترضا مددا للآية لكانت ختمت به : "لكان هذا القرآن كذا و كذا". فالجواب حذف هنا، وهذا أبلغ الذكر حسب الرماني.

يأتي بعد التشبيه الذي يقول عنه الرماني "إنه العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل"⁽²⁾.

إنَّ للتشبيه بكل أنواعه، أهمية خاصة بين أقسام البلاغة و أنواعها، و ذلك لما يضيف للكلام من جمال و رونق، وأوجه التشبيه في القرآن الكريم عديدة ومتعددة ، توفي الغرض وتقرّب للقارئ المعنى وتبسطه له مع المحافظة على اللفظ وكثرة الفائدة وصحة الدلالة كقوله تعالى "والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه"^(الرعد 14) ، وهنا يقصد به حسب الرماني الآلهة الذين يدعونهم الكفار من دون الله، لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه إلا كاستجابة باسط كفيه إلى الماء، و الماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه و حاجته إليه ، و لا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه فكذلك ما يدعون جماد لا يحس بدعائهم ، ولا يستطيع إجابتهم ، ولا يقدر على نفعهم.

أما الإستعارة فهي " تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"⁽¹⁾ أي إستعمال كلمة بدل أخرى، لعلاقة المشابهة مع القرينة الدالة على هذا الإستعمال، المانعة من إرادة المعنى الأصلي مثل: "رأيت أسدا يطلق النار على العدو" :أي رأيت رجلا شجاعا.

(1) المرجع السابق، ص 85

(2) المرجع السابق، ص 99

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى "وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا" (الكهف 99)، فهذه الآية تصور جمع الحاشد من الناس إحتشادا كحركة البحر، فهو جمال فني، يجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس، ويتصور المنظر بأوفى طريقة. من أوجه البلاغة أيضا التجانس، و هو " بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة" كقوله تعالى: "فمن إعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما إعتدى عليكم" (البقرة 194)، ومعنى القول هنا أي أعطوه جزاءه بما يستحق على طريق العدل و الإنصاف ، و هذا أحسن البلاغة ، و فن من فنون المعاني التي ترجع الأمور إلى أصل واحد وهو "الإعتداء" (2).

إنَّ أوجه البلاغة القرآنية لا حدود لها، و الأمثلة في هذا الباب تتعدد و تتمايز فيما بينها لتلتقي في نقطة واحدة وهي جمال القرآن و روعته ، و أنه كلام الخالق عز و جل الذي يعلو ولا يعلى عليه.

إنَّ أعجاز القرآن البياني ليس في خفة حروفه، لأن كثيرا من كلام البشر ما هو خفيف على اللسان، بل هناك من القرآن ما ظاهره ثقل ككلمة " إنا قاتلتم " أو كلمة "أنلزمكموها" ولا الإعجاز في تركيب الحركات و السكتات، فلم يكن مطلوبا من الكفار الإتيان بكلمات على وزن كلمات القرآن، ولا هو في الكلمات من حيث حروفها، لأنه من المستحيل أن يكون لحروف الكلمات صفتان: صفة لها داخل القرآن تكون بها معجزة غير مقدور عليها ، و صفة لها خارجة تكون عادية ومتداولة.

إنَّ الإعجاز البياني للقرآن الكريم -في نظري- يكمن في تأليفه وتناسق كلماته، أي في توحي معاني النحو وأحكامه بين الجمل والمفردات، كما هو في روعة نغمه الصوتي الفريد بحركاته وسكناته. إنه معجزة خالدة تستمرما بقيت الحياة، ليس من سبيل لإنكارها لأنها مرئية بالبصر ومسموعة بالأذن، تجعل القارئ يذعن بالتسليم والتصديق بعظمة هذا الكتاب الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إنَّ هذا الكتاب العظيم متميز بأسلوبه عن كل ما عرف من أساليب البلغاء في ترتيب خطبهم، فكل آية فيه تناسب أختها في النظم و البلاغة على إختلاف معانيها وتباين أغراضها، فهذا الأسلوب سليم من الإضطراب والخلل، ذو إنسجام عجيب وسهولة بالغة، ومرونة متجلية، وبلاغة عظيمة، وموسيقى عذبة، فلا تجد لذلك سرا إلاَّ دقة النظم وإعجازه وإنسجام حروفه على أصول مضبوطة من بلاغة النغم وفصاحة القول .

إنَّ بلاغة القرآن لا تقوم على الخيال الشعري أو العاطفة، وإنما تعود إلى جرس الحروف و الكلمات وطريقة نظمها، فالحركات النحوية والصرفية فيه لها من حكم البلاغة والفصاحة ما ليس لباقي الكلمات لشدة ما بينها من تلازم وإتساق وهذا سر من أسرار الإعجاز فيه.

كما نلاحظ أنَّ كل كلمة في هذا الكتاب المعجز تأخذ مكانها الذي إذا حولت منه، أو إستبدلت، إختلَّ المعنى كله، فكل حرف فيه له دلالة وتفسير، ويكون وحده القادر على إيصال المراد من كلام المولى عز وجل، فالذي يتفحص هذا الكتاب ويدرس تفسيره ومعانيه يرى جليا أنه لكل همسة فيه دلالتها و مغزاها.

فإذا تمعنَّا مثلا هتين الآيتين: "قالت ربي أنى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر" (ال عمران40) و: " أنى يكون لي غلام و لم يمسنى بشر و لم أك بغيا " (مريم20)، نلاحظ أنَّ هناك إختلاف في الجواب على لسان السيدة مريم في التعقيب على حملها بسيدنا عيسى عليه السلام الذي وصفته في الآية الأولى بالولد، وفي الثانية بالغلام، وهذا الإختلاف له دلالة لا محالة، فبعدما رجعت إلى الجو التعبيري لكلتا الآيتين، لاحظت أنَّ الآية الثانية جاءت ردا على قول الملك "قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا " (مريم19)، فكان رد السيدة مريم "أنَّايكون لي غلام"، بينما جاء السياق في الآية الأولى كالتالي " إذ قالت الملائكة يا مريم إنَّ الله ييشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى ابن مريم " (مريم42) و "كلمة" هي أعمَّ من

"غلام" فلماً كان التبشير به: "كلمة" جاء الرُّدُّ عاماً، أي "ولد" الذي يشمل الذكر والأنثى، في حين لمَّا كان التبشير به: "غلام" جاء الرُّدُّ محدّداً "غلام" و هنا يتبين جلياً الدقة القرآنية العجيبة.

إنَّ كل مفردة وضعت وضعاً فنياً ودليلاً مقصوداً، وكل حذف أو إبدال مقصود، وكل تغيير في المفردة أو إقرار على الأصل له غرضه على نحو "تنزل و تنزل"، "توفاهم وتوفاهم" "يضرعون ويتضرعون"، "اطيرنا وتطيرنا" وغيرها من الأمثال التي لا يمكن إحصائها . كما ترد في القرآن أيضاً أفعال تأتي تارة بصيغة "فَعَلَ" وتارة بصيغة "أَفْعَلَ" وقد يقترنان في آية أو آيات متتالية، وقد يردان في القصة نفسها في سورتين مختلفتين، فما الغاية من إستعمال كلٍّ منها؟

إنَّنا نتفق على أنَّ "فَعَلَ" يفيد التأكيد والمبالغة نحو : قطع، كسر، حرق...ومن لوازم المبالغة إستغراق الوقت، فـ"علم" تلبث و تطول أكثر من أعلم نحو : "أعلمت محمداً أنَّ فلانا مسافر" "وعلمت فلانا الحساب".

كما أنَّ كلمتي نَزَلَ و أَنْزَلَ تفيدان التدرج للأولى، والعموم للثانية كقوله تعالى: "نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مَصْدَقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ" ... فجاء في تفسير ابن كثير "إنَّ لفظ نَزَلَ يفيد التفصيل والتقطيع والتفرق في النزول، ويقصد به القرآن الكريم، أمَّا لفظ أَنْزَلَ فلا يقطع لأنَّ التوراة أوتيت موسى جملة واحدة وفي وقت واحد"⁽¹⁾.

إنَّ البيان القرآني المعجز دقيق دقة ملحوظة في إختيار ألفاظه، سواء أصوله الإشتقاقية أو سهولة حروفه وتناسقه أو روعة إيقاعها أو بلاغة دلالتها، توحى بأنَّ الله عز وجل أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن -علم عز وجل بإحاطته- أي لفظة تصلح أن تلي لتبين المعنى بعد المعنى، فإذا كان اللفظ معرفة فذلك لسبب، وإذا إنتقاه نكرة كان كذلك لغرض.

(1) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، 1393هـ، المجلد الاول، ص 263

وإذا ما إنتلقنا من ألفاظ القرآن إلى معانيها، فإننا نجد هذه المعاني في غاية الروعة وسموالبیان وبذلك يتكامل اللفظ والمعنى ويلتقيان على تحقيق بلاغة البيان القرآني المعجز، فمعاني القرآن كلها متناسقة مع السياق الذي وردت فيه لتلتقي في النهاية مجتمعة على تقرير المعنى العام للعبارة القرآنية.

ومن الأمثلة على روعة معاني ألفاظ القرآن وجمالها البلاغي، إسم بلد الله الحرام "أم القرى".
لقد أطلق القرآن عليها إسمين: مكة وبكة. أسماها بكة في سورة آل عمران: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وَضَعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا* وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مِنْ إِسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا" (آل عمران 96)، بينما أسماها مكة في سورة الفتح "وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصير"...
بكة: كلمة مشتقة من البك، و سميت بذلك من التباك و هو الإزدحام⁽¹⁾.

جاءت "بكة" لأنَّ سياق الآية الأولى هو الحج أي الإزدحام، والإزدحام أوضح ما يكون في موسم الحج، حيث يزدحم الحجاج إزدحاما شديدا للطواف و السعي، فالسياق هو الذي دفع للعدول عن إسم "مكة" إلى "بكة" و لا يصلح أن يقال في هذا المقام "مكة" لأنَّ المراد ليس المكان في حد ذاته -الذي هو مكة- إنما هو البك و الإزدحام.
وهنا وجه آخر من أوجه إعجاز القرآن البياني الدقيق.

إنَّ لهذا القرآن لسرٌ يشعر به كل من يقرأه، ويرى أنَّ هناك شيئا ما وراء كلماته ومعانيها، وأنَّ هناك ما يجذبه إليه بمجرد الإنصات له، كيف لا وهو يجمع بين بلاغة اللفظ وجماله في حمل المعنى، كما أنه يحقق بلاغة المعنى في اللفظ وعدم إنفكاكه عنه، ويتوفى بلاغة النظم في الربط

بين اللفظ والمعنى، مراعيًا في ذلك النحو و أساليب البلاغة والبيان. إنه كلام المولى عز و جل المنزه عن الخطأ، فتبارك الله أحسن القائلين.

"إنَّ من جوانب إعجاز القرآن البياني، فصاحة كلماته، وبراعة نظمته، وجزالة أسلوبه، وبلاغته في الدلالة على معانيه، وإشتماله على أخبار الغابرين، وعلى أمور الغيب، وعلى التشريعات الروحية والأدبية والاجتماعية والسياسية والمالية، وعلى كثير من العلوم والمعارف التي كشف العلم وما يزال يكشف عنها"⁽¹⁾.

ومن الأمثلة الإعجازية الكثيرة في القرآن ما أورده الدكتور فاضل السمرائي على موقعه⁽²⁾ والتي إخترت منها ما يلي:

- قوله تعالى "فأكله الذئب" في سورة يوسف: و ليس "إفترسه الذئب" لأنَّ عادة الذئب الإفتراس، والإفتراس يُفترض أن يمزق ثيابه كلها، وإخوة يوسف جاءوا على قميصه بدم كذب، فدلَّ ذلك على أنَّ الذئب لم يفترسه لذا جاء فعل "أكله".
- "قل إنني هدايني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملَّة إبراهيم حيفا وماكان من المشركين"(لأنعام161) : نصب "دينا"والنصب هنا يدخل في باب التخصيص بالمدح.
- ما الفرق بين " إستطاعوا "و" إسطاعوا " في سورة الكهف "فما إسطاعوا أن يظهروه وما إستطاعوا له نقبا"(الكهف97)؟ هذه من الحذف يقول السمرائي، و ذلك للتقليل من الفعل فإستطاعوا تحتاج إلى جهد لنقب السدّ، أما إسطاعوا فهي للصعود على ظهره، وبالتأكيد أنَّ إحداث نقب في السد المصنوع من الحديد والنحاس، أشدَّ من الصعود على ظهره، ويستغرق وقتاً أطول فحذف من الفعل الذي مدّته أقل وذكر في الحدث الممتد.
- ما دلالة التذكير والتأنيث في قوله تعالى "وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين"(يوسف30)؟ بحسب القاعدة النحوية

(1) محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت 1983 ، ص(43-44)

(2) موقع لمسات للدكتور فاضل السمرائي.

المعروفة، فإنه جائز باعتبار أنَّ جمع التكسير يجوز تذكيره وتأنيثه، فالفعل يؤنَّث عندما يكون الفاعل أكثر، وإذا كان أقل فإنه يُذكَّر حسب السمرائي، "ونسوة" هن حاشية امرأة العزيز و بالتالي هن مجموعة صغيرة من النساء وليس أكثرهم، كما جاء في قوله أيضاً قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إنَّ الله غفور رحيم" (الحجرات 14)، فإستخدم الفعل "قالت" مؤنثاً لأنَّ الأعراب كُثُر.

- لماذا التحول في الخطاب من المفرد إلى الجمع في قوله تعالى "الذي جعل لكم الأرض مهذا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى" (طه 53)؟ يسمى هذا "إلتفافا" -يقول السمرائي- ويستعمل لتطرية نشاط السامع وقد ورد في القرآن كثيراً، يلتفت من الغائب إلى الحاضر ومن الجمع إلى الأفراد ومن الغائب إلى المتكلم. كما تطرق مطولا الى تذكير الفعل أو تأنيثه في القرآن عندما يكون الفاعل مؤنثا :

- قال تعالى "ولا تكونوا كالذين جاءهم البيئات" (ال عمران 105) وقال تعالى "وما كان صلاتهم عند البيت" (الأنفال 35) وقال تعالى "قد كان لكم فيهم أسوة حسنة" (الاحزاب 21). فقال الدكتور السمرائي، أنَّ هناك خط بلاغي في القرآن الكريم حول هذا الموضوع، وقد أُثير في عديد من الأسئلة خلال الحلقات التي أذيعت لي على تلفزيون الشارقة، و التي ذكرت منها ما جاء في تذكير وتأنيث الفعل مع كلمة الضلالة والعاقبة وكذلك مع كلمة الملائكة و كلمة البيئات، و يقول بإختصار أنَّ تذكير الفاعل المؤنث له أكثر من سبب وأكثر من خط في القرآن الكريم، فإذا قصدنا باللفظ المؤنث معنى المذكر جاز تذكيره، وهو ما يُعرف بالحمل على المعنى. وقد جاء في قوله تعالى عن الضلالة "فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون" (الأعراف 30) وقوله تعالى "ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين" (النحل 36)، ونرى أنه في

كل مرة يذكر فيها الضلالة بالتذكير، تكون الضلالة بمعنى العذاب، لأنَّ الكلام على ماسيحدث في الآخرة، وليس في الآخرة ضلالة بمعناها لأنَّ الأمور كلها تنكشف في الآخرة، وعندما تكون الضلالة بالتأنيث يكون الكلام في الدنيا فلمَّا كانت الضلالة بمعناها هي يؤنَّث الفعل.

نفس الشيء بالنسبة لكلمة "البَيِّنَات" فإذا كانت بمعنى العلامات الدالة على المعجزات أنَّث الفعل، وإذا كانت بمعنى الأمر والنهي ذكّر الفعل، فهناك حكم نحوي مفاده أنه يجوز أن يأتي الفعل مذكراً والفاعل مؤنثاً حسب السمرائي، وكلمة "البَيِّنَات" ليست مؤنث حقيقي لذا يجوز تذكيرها وتأنيثها. ولكن السمرائي لم يركز في هذا الباب على جواز تذكير وتأنيث "البَيِّنَات" من عدمه لأن هذا جائز، إنمَّا طرح السؤال لماذا جاء إستعمال فعل المذكر "جاءهم البَيِّنَات" مع العلم أنه أستعمل في غير مكان بالمؤنث (جاءتهم البَيِّنَات)؟.

وكان هذا جوابه :

يؤنَّث الفعل مع "البَيِّنَات" إذا كانت الآيات تدلّ على النبوءات، فأينما وقعت بهذا المعنى يأتي الفعل مؤنثاً كما في قوله تعالى في سورة البقرة "فإن زلتم من بعد ما جاءكم البَيِّنَات فاعلموا أن الله عزيز حكيم" (البقرة 209) والآية "كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البَيِّنَات" (البقرة 213).

أما "جاءهم البَيِّنَات" بالتذكير: فالبَيِّنَات هنا تأتي بمعنى الأمر، وحينما وردت كلمة البَيِّنَات بهذا المعنى من الأمر والنهي يُذكّر الفعل كما في قوله "كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنَّ الرسول حق وجاءهم البَيِّنَات والله لا يهدي القوم الظَّالِمين" (ال عمران 86) وقوله "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البَيِّنَات وأولئك لهم عذاب عظيم" (ال عمران 105).

ومثال آخر في قوله تعالى "يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً" ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها

مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما" (الأحزاب 31) ولم تعرض هذه الآية من قبل الدكتور السمرائي لبيان التذكير والتأنيث ، ولكن للتساؤل لماذا إستعمل فيها "من"؟

"من" -يقول السمرائي- في اللغة تستعمل لكل من للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، وطبيعة الأشياء في كلام العرب والقران معا، أنه حتى لو كان الخطاب للإناث أو الجمع، يأتي أول مرة بـ "من" بصيغة المفرد المذكر ثم يعقبه ما يوضح المعنى. ومهما كانت حالة "من" سواء أكانت إسمًا موصولاً أو نكرة تامة بمعنى شخص أو ذات، أو كانت إسم شرط، يؤتى بها بصيغة المفرد المذكر أول مرة ثم يُعاد معناها في المرة الثانية كقوله تعالى "ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين" (البقرة 8)، وكقوله تعالى "ومنهم من يقول ائذن لي" (التوبة 49)، وهذا هو خط القران، وهو الأكثر في كلام العرب، وهذا هو الأصل حسب السمرائي. والآية المذكورة آنفا - موضع السؤال - "من يأت منكن" تدخل في هذه القاعدة، فجاءت "من" بما يدل على الأفراد والتذكير، ثم جاء فيما بعد بما يدل على المعنى.

مثال آخر في باب التذكير و التأنيث قوله تعالى "قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إنَّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار" (آل عمران 13) وفي آية أخرى "وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين" (الأنعام 4)، وقوله تعالى "وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون" (الأنعام 124) . يقول السمرائي أنه عندما تكون كلمة "آية" بمعنى الدليل والبرهان تكون بمعنى مذكر، فيأتي الفعل بالتذكير، وإذا كانت كلمة "الآية" بمعنى الآية القرآنية أنث الفعل.

وإذا كثرت الفواصل فالتذكير أفضل يقول السمرائي، ففي الآية الأولى الفاصل بين الفعل وكلمة أسوة كلمة "لكم"، أما في الآية الثانية فالفاصل هو "لكم فيهم"، وفي الثالثة "لكم في رسول الله"، فعندما تكون الفاصلة أكثر يقتضي التذكير. كما أنَّ هناك أمر آخر وهو أنَّ التذكير في العبادات أفضل وأهم من التأنيث حسب السمرائي، كما جاء في مريم "وكانت من القانتين" (التحریم 12) لأنَّ الذين كملوا في التذكير أكثر.

التذكير مرة والتأنيث مرة مع الملائكة أيضاً: قال تعالى في سورة ص "فسجد الملائكة كلهم أجمعون" (ص 73) وجاءت الملائكة هنا بالتذكير، وفي سورة آل عمران (الاية 39) "فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أنَّ الله يبشرك بيحيى مصداقاً بكلمة من الله وسيدا وحسورا ونبيا من الصالحين" جاءت الملائكة بالتأنيث.

يمكن أن يؤنث الفعل أو يُذكر إذا كان الجمع جمع تكسير كما سبق وأن رأينا يضيف السمرائي في قوله تعالى "قالت الأعراب آمنا" (الحجرات 14) و"قالت نسوة في المدينة" (يوسف 30)، فيجوز التذكير والتأنيث من حيث الحكم النحوي.

أمَّا عن لماذا إختار الله تعالى التأنيث في موطن والتذكير في موطن آخر، فيقول السمرائي أنَّ في الآيات خطوط تعبيرية هي التي تحدد تأنيث وتذكير الفعل مع الملائكة، وهذه الخطوط هي أنَّ كل فعل في القرآن الكريم يصدر إلى الملائكة يكون بالتذكير (اسجدوا، أنبئوني، فقعدوا له ساجدين)، وكل فعل يقع بعد ذكر الملائكة يأتي بالتذكير أيضاً كما في قوله تعالى "والملائكة يدخلون عليهم من كل باب" (الرعد 23) و"الملائكة يشهدون" (النساء 166) و"الملائكة يسبحون بحمد ربهم" (الشورى 5)، كما أنَّ كل وصف إسمي للملائكة يأتي بالتذكير لأنَّ المذكر في العبادة أكمل من عبادة الأنثى، ولذلك جاء الرسل كلهم رجالاً.

كان هذا أهم ما جاء على موقع الأستاذ الدكتور المتألق فاضل السمرائي، والذي أنا من أشدِّ

المتابعين له، فارتأيت بذكر ما سبق أن أنفع من سيتصفح رسالتي هذه، لعله يدرك جزءا بسيطا من إعجاز هذا الكتاب العظيم و دقة ألفاظه.

إنَّ من أهم صور الإعجاز البياني للقران الكريم أيضا :

وضع المضمير موضع المظهر:

إنَّ من الصور البلاغية في القرآن الكريم، أن يجيء المسند إليه ضميراً للشأن أو القصة، كما في قوله تعالى " قل هو الله أحد" (الإخلاص1)، "فالضمير هو ضمير غيبة لا مرجع له في الكلام السابق، تسمعه النفس فتنتبه لسماع ما بعده فإذا وردت الجملة بعده استقرت في النفس، وثبتت في الفؤاد، ونحن لا نجد تلك الروعة والفخامة لو جاء الكلام على ظاهره، فقلنا قل الله أحد" (1).

وضع المظهر موضع المضمير:

يوضع في بعض المواضع في القرآن الكريم إسم الإشارة مكان الضمير، وكأنَّ الأمر صار محسوسا يدرك بالبصر، كقوله تعالى: "مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار، أكلها دائم وظلها، تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار" (الرعد35)، "فإسم الإشارة "تلك" كان مقتضى الظاهر أن يؤتى به ضميراً لتقدم مرجعه، فيقال: "هي عقبى الذين اتقوا"، لأن الجنة ليست مرئية حتى يشار إليها، لكن التعبير القرآني عدل إلى إسم الإشارة مبالغة في أمر الجنة وكأنها أمر محسوس ظاهر للعيان ويدرك بالبصر" (2).

التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي :

من بلاغة القرآن الكريم أن يعبر عن المستقبل بلفظ الماضي، ليؤكد للسامع أنَّ هذا الفعل سيتحقق لا محالة، مثال ذلك قوله تعالى: " ويوم ينفخ في الصور، ففزع من في السموات

(1) توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، مكتبة الآداب، القاهرة، 1991، ص182

(2) المرجع السابق، ص184

ومن في الأرض إلا من شاء الله" (النمل 87)، فالكلمة التي تحتها خط تعبر عن أحداث المستقبل بلفظ الماضي، إشعاراً بأن ذلك واقع لا محالة .

التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل:

من بلاغة القرآن الكريم أيضاً إستحضار الحدث في الذهن لكي يدعو القارئ إلى العظة والإعتبار، ومن أمثلة ذلك قوله عز وجل لليهود: "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم إستكبرتم، ففريقا كذبتهم، وفريقا تقتلون" (البقرة 87).

تحدث هذه الآية عن اليهود وما قاموا به ضد أنبيائهم، "...فكان مقتضى الظاهر أن يقال "فريقا قتلتم" كما قال "ففريقاً كذبتهم"، لكن هذا الظاهر ترك لغرض بلاغي وهو إستحضار تلك الصورة الأليمة في النفوس تقيحاً لها، وتنفيراً منها، وتوبيخاً لليهود الموجودين في زمن النبي، وحثهم على التخلي عما يتمسكون به من عقائد"⁽¹⁾. ويذكر ابن كثير في تفسيره عن هذه الآية أن الله لم يقل وفريقا قتلتم، لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً لأنهم حاولوا قتل النبي بالسم والسحر..."⁽²⁾.

الإلتفات: من دقة التعبير وجماله في القرآن الكريم أن يلجأ إلى أسلوب الإلتفات، وهو "الإنتقال بالأسلوب من صيغة المتكلم، أو المخاطب، أو الغيبة إلى صيغة أخرى من هذه الصيغ" وهو أسلوب تختص به اللغة العربية عن سائر اللغات"⁽³⁾.

من أمثلة هذا النوع البلاغي، الإلتفات من الغيبة إلى المتكلم كقوله عز وجل: "الله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا، فسقناه إلى بلد ميت، فأحيينا به الأرض بعد موتها" (فاطر 9)،

(1) المرجع السابق، ص 191.

(2) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، 1393 هـ، المجلد الاول، ص 113.

(3) توفيق الفيل، بلاغة التراكيب، مكتبة الآداب، القاهرة، 1991، ص 197

فكان مقتضى الظاهر أن يقال "فساقه"، "فأحيا" على طريق الغيبة، لكنه عدل عن ذلك إلى ضمير المتكلم.

إنَّ للقران الكريم من النظم العجيب والتركيب الفريد ما يهر ، "فكان من إعجاز القران أنه أقام أبنية من النظم الكلامي غير مستندة إلا على ما بينها من تناسق هندسي، وتجاذب روحي، أحكمه الحكيم العليم، وقدره اللطيف الخبير، وفي القران الكريم صور كثيرة من هذا النظم الذي يعتمد على تجاذب الكلمات، وتعانق الآيات، فيكون ذلك رباطها الذي يمسك بها، ويشد بعضها إلى بعض في وثاقة وإحكام"⁽¹⁾.

(1) عبد الكريم الخطيب، إعجاز القران ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط1، 1964 ، ص269

الفصل الأول:

ماهية ترجمة معاني القرآن

1- أهم مشاكل ترجمة معاني القرآن الكريم

2- حكم ترجمة معاني القرآن الكريم

لا يخفى أنَّ الترجمة هي عملية معقدة، لها قواعدها و ضوابطها و وسائلها الخاصة بها، وهي وسيلة لنقل ثقافات وحضارات أمم العالم وعاداتها وتقاليدها، وطريق لإثراء اللغات وتطويرها، وهي بمختلف أنواعها أمر في غاية الدقة والحساسية، تستلزم تدريباً طويلاً، وممارسة دائمة للتمكن من إجادتها، فهي تعتمد على الحس والإبداع و القدرة على تقريب المعنى للمتلقى بما يتناسب و ثقافته.

و تطلق الترجمة في اللغة على عدة معان:

فهو بمعنى التبيين والتوضيح : ومن هنا سُمي ابن عباس رضي الله عنه "ترجمان القرآن"، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه "نعم ترجمان القرآن ابن عباس"⁽¹⁾، وذلك لبراعته وقدرته على فهم الكتاب الحكيم، وإدراك ما فيه من حقائق ومعانٍ وأسرار، قال الزمخشري: "كل ما ترجم عن حال شيء فهو تَفْسِيرُهُ"⁽²⁾، وفي المعجم الوسيط "ترجم الكلام بمعنى بيّنه ووضحه"⁽³⁾.

وتأتي بمعنى تبليغ الكلام لمن لم يبلغه أو خفي عليه: قال أبو عمرو بن الصلاح مبيناً قول أبي جهمرة "كنت أترجم بين يدي ابن عباس وبين الناس": "أنه كان يُبلِّغ كلام ابن عباس إلى من خفي عليه من الناس، إما لزحام منع من سماعه فأسمعهم، وإما لإختصار منع من فهمه فأفهمهم"⁽⁴⁾.

وتأتي بمعنى تفسير الكلام بلغة غير لغته: قال الجوهري: "ويقال: قد ترجم كلامه، إذا فسّره بلسان آخر"⁽⁵⁾.

وتأتي بمعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى: قال ابن الأثير: "الترجمان هو الذي يترجم الكلام، أي: ينقله من لغة إلى أخرى، والجمع التراجم، والتاء والنون زائدتان"⁽⁶⁾، وقال السمين الحلبي:

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة، سنة 1376هـ، ص 366.

(2) أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، 1341هـ، ص 20.

(3) إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، دار الدعوة، إسطنبول، ص 83.

(4) صحيح مسلم بشرح النووي، ط 2، 1392هـ، دار الفكر بيروت، المجلد 1، ص 186.

(5) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط 2، 1402هـ، ص 192.

(6) أبي السعادات ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار الباز مكة، ط 1، ص 186.

"الترجمان: تفعلان لأنه يرمي بكلام من يترجم عنه إلى غيره"⁽¹⁾. وقال ابن حجر: "الترجمان: المعبر عن لغة بلغة"⁽²⁾.

والذي يعيننا مما سبق، المعنيين الأخيرين حيث يكون المراد بالترجمة أمرين:

الأول: الترجمة الحرفية:

وهي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى مع مراعاة الموافقة في النظم والترتيب والمحافظة على جميع معاني الأصل المترجم.

الثاني: الترجمة التفسيرية أو المعنوية:

وهي شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، بدون مراعاة لنظم الأصل وترتيبه، وبدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه.

وعلى هذا، فالمترجم ترجمة حرفية يستبدل كل كلمة بما يعادلها في اللغة الأخرى، وإن كان هذا على حساب المعنى أو المدلول أو الجمال الفني للنص، أما المترجم ترجمة تفسيرية فهو يقصد إلى المعنى العام للنص المراد ترجمته، فيصوغه في عبارات تؤدي معناه من اللغة الأخرى من غير مراعاة لمفردات الأصل⁽³⁾.

ويتضح الفرق بين القسمين، حينما تضرب مثالا للترجمة بهما في قوله تعالى: "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط" (الإسراء 29).

ففي الترجمة الحرفية، تأتي بكلام من اللغة المترجم إليها يدل على النهي عن ربط اليد في العنق، وعن مدها غاية المد، مع رعاية ترتيب الأصل وتنظيمه، بأن تأتي بأداة النهي أولاً، يليها الفعل المنهي عنه، متصلاً بمفعوله ومضمراً فيه فاعله إلخ، وهذا النوع من الترجمة يخرج في أسلوب

(1) محمود محمد السيد الدغيم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، الطبعة الأولى، 1407 هـ، ص 198.

(2) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط 2، دار المعرفة، بيروت، ط 1، بولاق، 1301 هـ، المجلد 1، ص 31.

(3) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1396 هـ، ص 8.

غير معروف ولا مألوف عند المترجم له، ولا يطابق ما يرمي إليه الأصل من النهي عن التفتير والتبذير، بل قد يستنكر المترجم له هذا المعنى الذي فهمه⁽¹⁾.

وفي الترجمة التفسيرية، يعتمد المفسر بعد تفهم المعنى المراد في الأصل، إلى التعبير عنه باللغة الأخرى، بعبارة تدل على هذا المعنى المراد، والذي يترك في نفس المترجم أكبر الأثر في إستبشاع المدلول مع عدم التقييد بمراعاة نظم الأصل⁽²⁾.

"ولابد في الترجمة الحرفية من شرطين: الأول وجود مفردات في لغة الترجمة مساوية للمفردات في لغة الأصل، حتى يمكن للمترجم أن يحل كل مفرد من الترجمة محل نظيره من الأصل، الثاني تشابه اللغتين في الضمائر المستترة والروابط التي تربط الكلمات بعضها ببعض، وتطابق في مواقع أحوال الكلمات كالفاعل والمفعول به، والصفات ونحو ذلك"⁽³⁾.

إذن فالترجمة التي تهمنا في هذا المقام، هي التعبير بلغة ثانية عن المعاني التي تم التعبير عنها بلغة أولى، ولكن التعبير عنه في اللغة العربية مثلاً يتم بوسائل ليست هي الوسائل التي تُستعمل للتعبير عنه في اللغة الإنجليزية أو اليابانية أو الفرنسية أو الروسية وغيرها من اللغات، ومثل ذلك وارد أيضاً في جميع المعاني. فالترجمة إذن تعبير دقيق عن المعاني بالوسائل التركيبية والصرفية والصوتية المتوافرة في لغة ثانية، شرط أن تكون معادلة للوسائل التي إستعملت للتعبير عن هذه المعاني في اللغة الأولى، وشرط صحتها أن يكون مدلول العبارة أو النص في اللغة المصدر هو ذاته في اللغة الهدف.

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1396 هـ، ص 129.

(2) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ط 2، 1396 هـ ص 27.

(3) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1396 هـ، ص 9.

إذن، وبالنظر إلى التعريف السابق فإن الترجمة تتطلب عموماً معرفة كافية بمعجم اللغة المصدر، ومعجم اللغة الهدف، وبقواعد اللغتين النحوية (بالمعنى العام للنحو)، إلا أنه ليس من الضروري أن تتوافر في كل لغة الألفاظ الدالة على المعاني المعبر عنها بألفاظ لغة أخرى، ذلك أنّ الترجمة ليست مجرد إنتقال من لغة مصدر إلى لغة هدف، بل هي إنتقال من لغة موسومة بتجارب متكلميها، ومخزّنة لعناصر نسقهم التصوري، إلى لغة موسومة بتجارب متكلمين مختلفين عن الأوائل، ومخزّنة لعناصر نسقهم التصوري المغاير.

فكيف يمكن لمترجم أن يترجم إلى اللغة الفرنسية - مثلاً - كلام العربي القائل "أثلج الله صدرك" دون أن يعرف إقتزان الماء البارد بالفرح والسرور في تصور المتكلم العربي، الذي يعيش في بيئة صحراوية قاحلة، ودون أن يعرف أنّ ترجمة هذه العبارة ترجمة حرفية تراعي تكافؤ المفردات المعجمية، وتراعي القواعد النحوية، سيؤدي إلى خلاف معناها تماماً في لغة متكلمين يعانون من برودة الثلج المتهاطل عليهم أغلب أيام السنة، ولا يربطون في تصورهم بين الماء البارد أو الثلج وبين الفرح والسرور.

إنّ الترجمة السليمة يجب ألا تقف عند حدود مراعاة التكافؤ بين المفردات المعجمية، ولا عند تطبيق القواعد النحوية، وإنما يجب أن تتعداه إلى مراعاة المواضع الثقافية والإعتقادات الدينية والتصورات المختلفة، وهي أعسر من التأليف، من حيث أنها تتطلب الدقة والأمانة في نقل المعنى دون زيادة أو نقصان أو تشويه، أما في التأليف، فلصاحبه كل الحرية في أن ينصرف عن النص إلى ما يقاربه.

ولا أكون مخطئة إذا قلت أنّ أكثر طلاب الترجمة -الذين عاشرتهم- يتبعون المنهج الأول، أي الترجمة الحرفية، فما أن يستلموا النص حتى يشرعوا في نقل ألفاظه بما يعادلها في لغة أخرى من البداية حتى النهاية، فتكون النتيجة عملاً ركيكاً من جمل لا معنى لها ولا تناسق بينها، والأصح التمعن أولاً في النص، وقراءته عدة مرات حتى تتوضح المعاني جلها و تفصيلها و تفهم الأفكار

وتتجلى في الذهن، و هذا لن يتم إلا إذا تناسى المترجم مفردات النص الأصلي لإفساح المجال للألفاظ و العبارات المؤدية للمعنى الصحيح في اللغة التي ينقل إليها النص، مع عدم التقيد بالتركييب، فقد يعبر عن الكلمة في لغة أخرى بجملة كاملة ، والعكس صحيح كذلك.

إذن، فخلاصة القول أنّ الترجمة المعنوية -التي أراها الأصح- هي عملية ذهنية تتجلى في ربط كل عنصر من العناصر اللغوية المكونة للنص الأصلي، بما يعادله دلاليا في النص الهدف، مع مراعاة تامة و شاملة للسياق، فما يقصد به هنا يختلف معناه و يعبر عنه بطريقة مغايرة هناك .

إنّ الأخذ بصحة الترجمة المعنوية، لا ينسبنا طرح مبدأ أساسي في الترجمة ألا وهو "موضوعية المترجم" أي أنّ هذا الأخير وحرصا منه على الأمانة العلمية، ليس من حقه أن يناقش مدى مصداقية النص الذي يريد ترجمته، ولا أن يصدر حكما عليه، و يبرزه في النص المنقول إليه فهو مقيد بظوابط أخلاقية تربطه بصاحب النص الأصلي من جهة، ومع لغته من جهة أخرى، فينبغي له توخي الدقة كل الدقة، لكي لا يقول صاحب النص ما لم يرد قوله.

هذا، ولا ينبغي علينا في الترجمة تناسي أبعاد النص التي -وإن لم تراعى- إختلت الترجمة كيفما كان نوعها، وأنا أرى أنّ للنص ثلاث أبعاد أساسية، لا خيار للمترجم سوى تحقيق المعادلة بين النص المنقول منه، و المنقول إليه على صعيد كل بعد :

بعد تركيبى : إذا ما نظرنا إلى هذا البعد في الترجمة السليمة، نجده بالغ الأهمية ذلك أنّ كل لغة تتميز ببنية خاصة بها تجري على ألسن الناطقين بها بسلاسة تامة، كون اللغة ظاهرة إجتماعية وعقائدية وفكرية، فالبناء اللغوي للغة العربية مثلا يختلف عن ذلك الموجود في الفرنسية والإنجليزية، والتعبير عن حالة ما في الجملة العربية يتم إما "بمبتدا + خبر" أو "بفعل + فاعل"، بمعنى أنه يمكن لها الإستغناء عن الفعل دون الإخلال بالمعنى، في حين أنّ البناء التركيبى للغة الفرنسية مثلا يشترط وجود الفعل للتعبير عن حالة نفسية أو إجتماعية أو ثقافية.

بعد دلالي : إنّ هذا البعد يعتبر -بالنسبة لي- العمود في تركيبة كل بناء أو نص، والأساس الذي تقوم عليه الترجمة الصحيحة، فله من القيمة التي تجعله يغير من قواعد المعادلة التركيبية التي سبق ذكرها إذا كان ذلك يخل بها، فهو في نظري المحرك الرئيسي للترجمة و قائدها الأبرز. ويرتكز هذا البعد على التكافؤ المعنوي بين النص المنقول منه و النص المنقول إليه، أي على المترجم إيصال الفكرة المتوخاة من الأصل إلى اللغة الهدف تماما كما أرادها صاحبها حتى وإن اضطر إلى الإخلال بالتركيبة العامة .

بعد زمني: يساهم البعد الزمني في فهم النص و أحداثه و إبراز حقائقه . ولغات العالم كلها تبرز ثلاث أزمنة رئيسية هي "ماضي و حاضر و مستقبل"، ولكن لكل لغة ميزاتها، ففي اللغة العربية يمكن التعبير عن الأزمنة الثلاثة في آن واحد، كقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز "و كان الله غفورا رحيمًا" ف "كان" هنا لا تفيد الماضي، ذلك أنّ الله عز وجل دائم الصفات لا يحده في ذلك زمان، في حين أنّ الأمر مستحيل في اللغة الفرنسية أو الإنجليزية، و هذا من الإعجاز اللغوي، وبالتالي فترجمة هذه الآية الكريمة تكون:

« Allah est Pardonneur et Miséricordieux »

وليس

« Allah était Pardonneur et Miséricordieux »

لا يمكن إحصاء أهمية الترجمة بمختلف أنواعها في بعض السطور، لأنّ الترجمة لطالما أدت دورا بالغا في نقل الحضارات والثقافات والمعارف بين الشعوب، وأنها كانت ولا زالت تحدث كلما إلتقت حضارة بأخرى، سواء أكان عن طريق التجارة أو الحرب و غيرها، ونتيجة لذلك قامت نقاط الالتقاط بين البشر، ففويت وحدتهم و تعززت روابطهم.

وإذا ما رجعنا إلى ترجمة معاني القرآن -محل البحث- فإنني أقول أنه لما كانت عالمية الإسلام ووجوب تبليغ الدعوة، أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه و سلم بدين الإسلام، وجعل رسالته هي الخاتمة والناسخة لما قبلها، عامة للعالمين الجن والإنس، في كل زمان وفي كل مكان، قال تعالى: "وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به" (الأنعام 19)، وقال سبحانه: "وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها" (الأنعام 92)، وقال: "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً" (الأعراف 158).

وبما أن الإسلام دين عالمي لسائر البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم لقوله تعالى: "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً" (سبا 28)، و بما أن تبليغه واجب على المسلمين لغيرهم على حسب اختلاف لغاتهم، كان من الضروري ترجمة معانيه إلى لغات العالم أجمع، حتى يتمكن غير الناطقين بالعربية من قراءته ومن ثم فهمه.

ويمكن تصنيف الحاجة إلى ترجمة معاني كتاب الله العزيز إلى دواع ترجع إلى طبيعة القرآن ذاته، ودواع ترجع إلى مقتضيات الدعوة، ودواع ترجع إلى الواقع المعاصر. وفيما يلي سأبين هذه الدواعي وما يترتب عليها:

- دواع ترجع إلى طبيعة القرآن ذاته :

من أهم خصائصه المميزة أنه:

- كتاب يحمل آخر رسالة إلهية
- كتاب موجه إلى الناس أجمعين
- كتاب معجز في لفظه وفي معناه
- كتاب محفوظ بحفظ الله إلى يوم الدين

ويترتب على هذه الخصائص التي تميز القرآن عن غيره جملة إقتضاءات نورها كالاتي:

1- تضمُّنه الثوابت الواردة في كل الرسالات السماوية قبله، وينبني على هذا المعنى، أنَّ مبادئ الإسلام وأحكامه الموجودة في القرآن الكريم، تعكس خلاصة المبادئ والأحكام التي تنزَّلت على البشرية مجزأة منذ آدم عليه السلام، حتى خاتم الأنبياء والرسل، وهي ما جاءت به الشرائع السماوية السابقة، ما علمنا منها وما لم نعلم.

2. إكمال الدين الذي يبشره، إذ إكمال بإكمال مبادئه وأحكامه، حتى شملت الإنسان في كل نشاط من نشاطاته، وفي كل مجال من مجالات حياته، وكمل برضوان الله المتجلي في قوله عز وجل: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" (المائدة:3).

3. بقاءه وإستمراره بحفظ الله له إلى يوم الدين، وذلك لما يتضمنه الدين الذي يبشر به في ذاته، من قابلية التجديد بالإجتهد من جهة، ولما تقتضيه مشيئة الله من عدم تحريفه أو العبث به من جهة أخرى قال تعالى: "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون" (الصف:8) .

4. ظهوره على كل كتاب، وظهور دينه على كل دين، فلا يُتقدم عليه في مبادئه وأحكامه، وفي شموله وتجده، فالإسلام قد ختم كل دين، فإكمال وكمل حتى صار: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ" (آل عمران:19).

5. عالميته، فهو كتاب موجه للعالمين مهما اختلفوا زماناً ومكاناً وعرقاً ولساناً: "قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً" (الأعراف:158).

وتقتضي عالميته ألا يُؤثر تطاول الزمان فيه، فلا تبلى مبادئه وأحكامه، ولا تتخلف سننه وقواعده، ولا يتعطل منهاجه، وكذلك هو شأنه مهما اتسع مكانه، أو اختلفت أعراق معتنقيه، وألسنتهم وعاداتهم، دين يسع الناس جميعاً، والمكان جميعاً، والزمان جميعاً.

6 - تضمنه لمبادئ تستجيب لما خلق عليه بنو البشر، ويعني ذلك أنّ كل مولود يولد مزوداً بمبادئ الإسلام بصورة فطرية، وأنّ كل بني البشر يشتركون في إكتساب هذه المبادئ، بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم وألسنتهم، ويعني ذلك أنّ كل إنسان يولد ولديه إستعداد فطري لتقبل مبادئ الإسلام، ولا ينقصه إلا محيط مناسب للعمل وفق تلك المبادئ. وبهذا المعنى نفهم قول الرسول: "والذي نفسي بيده ما من نسمة تولد إلا على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها"⁽¹⁾ وبناء عليه، لا يمكن للإنسان أن يحصل على توازنه النفسي والاجتماعي، ولا على راحته وسعادته دون إعتناق هذا الدين، والعمل وفق مبادئه، فلم يُكتب لهذا الدين أن يكون خاتماً لكل الأديان، وأن يكون عالمياً موحهاً لكل إنسان، لولا أنه يلبي حاجات الإنسان الأساسية في كل زمان وفي كل مكان.

- دواع ترجع إلى مقتضيات الدعوة :

لقد كان محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، النموذج الأمثل في تبليغه رسالة الإسلام إلى القريب والبعيد، وفي دعوة الناس إليها، وفي إنتهاجه من السبل الملائمة، ما يمكن لدعوته في الأرض بحسب ما تقتضيه كل مرحلة، وقد خلف بعد موته تراثاً ضخماً في مجال الدعوة الإسلامية تحفظه لنا كتب السيرة والحديث. وأوّل مانستفيده من ذلك التراث الضخم أنّ الإسلام لم ينفصل يوماً عن الدعوة منذ نزول قوله تعالى: "اقرأ باسم ربك الذي خلق* خلق الإنسان من علق* اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم" (العلق 1-5)، إلى قوله تعالى: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" (المائدة 3)، وأنه ما ينبغي أن تُعطّل يوماً حركة الدعوة إلى الإسلام بمقتضى خاتمته وعالميته وفطريته، ومن أجل ذلك وُكِّل أمر الإستمرار في تبليغ هذا الدين والدعوة إليه -بعد موت رسول الله- إلى العلماء وفي مقدمتهم الصحابة رضوان الله عليهم. وبمقتضى ذلك، فإن الدعاة مدعوون

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، سنة 1403هـ، رقم الحديث 15710

لتبليغ رسالة الله إلى الناس أجمعين، في مشارق الأرض ومغاربها، ومطالبون بتنويع الوسائل والآليات والمناهج تبعاً لمتغيرات الواقع. ومن هذه الوسائل وأهمها نقل معاني القرآن الكريم إلى كل شعوب العالم، مهما اختلفت لغاتهم وأعرافهم.

- دواع ترجع إلى الواقع المعاصر:

تدلُّ معطيات كثيرة من الواقع المعاصر، على الحاجة إلى تبليغ الناس في بقاع الأرض، رسالة الله إليهم، وإطلاعهم على مضامين ما أنزله الله إليهم في القرآن الكريم، ومن هذه المعطيات، وضع الجاليات الإسلامية بصنفيها، حيث "تتميز في شرق أوروبا بأنَّ أكثر من 90% منها من المواطنين الأصليين لهذه البلاد، أما الجاليات الإسلامية في غرب القارة الأوروبية، فتتميز بأنَّ أكثر من 90% منهم هم من الوافدين والجاليات المهاجرة"⁽¹⁾.

ومن المعلوم أنَّ هذه الجاليات تعاني من مشاكل عديدة ومتنوعة، تحول دون تفقهها في دينها ومعرفتها بالقرآن، ومن هذه المشاكل الحملة الإعلامية المنظمة التي تقدم الإسلام بصورة مشوهة، حتى إنها اخترقت مجال ترجمة معاني القرآن الكريم، فقد بين الدكتور وجيه حمد عبد الرحمن "أنَّ معظم الترجمات ترمي إلى ترسيخ مفاهيم خاطئة حول القرآن الكريم، بالزعم بأنه من صنع البشر، وتجريده من صفته السماوية، والإدعاء بأنَّ القرآن يخاطب العرب دون سواهم من البشر، بهدف التقليل من عالمية الرسالة الإسلامية، كما أنَّ بعضهم عمد إلى التلاعب بترتيب السور القرآنية كما فعل رودول ويل..."⁽²⁾، يضاف إلى ذلك حملات التبشير الشيطانية في أوساط أبناء الجاليات الإسلامية، وكادت تقطع صلاتهم ببلدانهم الأصلية وما تزخر به من قيم دينية وحضارية.

(1) صلاح الدين الجعفرأوي، الوجود الإسلامي في أوروبا، جامعة الصحوة الإسلامية، الدار البيضاء، 1997. ص13

(2) وجيه حمد عبد الرحمن، وقفة مع ترجمات لمعاني القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ص12.

ومن هذه المعطيات أيضا، إقبال الغربيين الملحوظ على إعتناق الإسلام نتيجة إقتناعهم بأن حضارتهم المادية المتقدمة لا تؤمن لهم الحياة الطيبة السعيدة، وهم في أشد الحاجة إلى معرفة مضامين كتاب الله معرفة صحيحة لا تشوبها شائبة.

إنَّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب، ولكن كثرة من إعتنقوا دين الاسلام وإصطدوا بفهم كتابه وتعاليمه، ومن هنا كانت الصعوبة في تطبيقه التطبيق الأسلم، وهكذا كان تعدد اللغات بين شعوب العالم من المشكلات التي تواجه الشعوب في فهم رسالة الإسلام، والتعرف على دينها، وقراءة كتاب الله، وصارت هذه المشكلة تواجه حتى الدعاة، ومن هنا كانت ضرورة ترجمة معاني القرآن لغير العرب .

و في مقالة قيمة للكاتب حدروق ميموني نشرها موقع الفسيح، يقسم القرآن إلى ثلاثة مستويات كما يلي:

- **مستوى أول** يتصل بذات الله عز وجل، يتحدث فيها عن ملكوته وعلمه، وإرادته، وقدرته، مستعملا نفس اللغة التي يتحدث بها البشر، غير أنَّ مراده من دلالاتها يخرج عن نطاق الإستيعاب البشري، وهي الطبقة التي إن دخلها العقل محاولا تصور الحدود والكيفيات ضللا بعيدا، وعادت عليه محاولاته بالباطل، وليس أمامه إلا التسليم والتصديق، والإيمان بما أخبر، وقد تولى الله عز وجل الإخبار عنها بما يكفي الذات المؤمنة.

إنَّ لغة النص القرآن هنا، لا تتعامل مع المفاهيم بنفس الطريقة التي تتعامل معها في الحديث البشري العادي، ذلك أنَّها لاتعترف بالزمان والمكان على النحو الذي يدركه الناس، فالزمان بالنسبة لله عز وجل حدث وإنتهى، أي أنه يعلم مبتداه ومنتهاه، وقد جرى القلم بتسجيل أحداثه دقيقها وجليلها، ماضيها ومستقبلها وحاضرها، فالأزمة اللغوية تفقد دلالتها النحوية إذا ما دخلت مجال هذه الطبقة، وكل ترجمة لا تلتفت إلى هذه الحقيقة ، ستفوت على نفسها إدراك حقيقة اللغة أولا، وحقيقة المراد الإلهي ثانيا.

- مستوى ثاني: ومجمله بشري، ولكنه على الرغم من بشريته يظل بعيدا عن العقل وأحكامه وموازينه المشروطة بالزمان والمكان والفهم المتاح، وهو المستوى الذي تولى بيان الأحكام المتعلقة بالعبادات وكيفيةاتها، فاللغة فيها نفس اللغة التي تجري على ألسنة الناس، ولكنها تلمس من الطبقة الأولى خصوصية إنتمائها إلى إرادة الله في الصيغ التعبديّة التي يتقرب بها عباده منه.

- مستوى ثالث: وهو ما يتصل بواقع الناس ومعاشهم، وهو بذلك يفتح مجال التفسير والتأويل فإذا قارنا بين الطبقات من حيث السعة والشمول، وجدنا أنه المجال الذي يتحرك فيه العقل أدنى المجالات، إلا أنّ إعجازه يظل مفتوحا على البحث والاستكشاف .

إنّ الترجمة التي تتجاهل هذه المعمارية في القرآن الكريم -يقول صاحب المقال- تشوّه النص، وتكون مثارا لشكوك كثيرة تنتاب المتلقي، عندما تتعارض مفاهيمها مع منطق الأشياء والفطرة فيه، أو تحمل إليه اللغة التي لم تتعرف على حدودها الدلالية، عكس ما حملت اللغة المصدر من بيان عن الله عز وجل. وإنّ المتتبع لمعظم محاولات ترجمة معاني القرآن الكريم، يكتشف مقدار الجناية التي إرتكبها أصحابها في إدعائهم القدرة على نقل النص القرآني في جملة (كما فعلت دونيز ماسون وريجيس بلاشير مما سأبينه لاحقا)، بل إنّ هيمنة المعتقدات المسيحية أو اليهودية على المترجم، وتجاهله لمراجعة التفاسير، جعله يقع فريسة المقابلة بين عقيدته والعقيدة الإسلامية، يجري فهمه للأولى على الثانية، فيشوه روح الدين الإسلامي، قبل تشويه روح النص .

لهذا كله، وغيره من الأسباب كانت ترجمة معاني القرآن الكريم أمر غاية في الدقة والأهمية، ذلك أنّ هذا الكتاب العظيم يمتاز بخواص كما سبق ذكرها، تجعل من الصعب ترجمة مغزاه، كون النص القرآني منفرد في أسلوبه، ولا ينتمي إلى أي نوع من أنواع الكتابة المألوفة، فلا هو من النشر المعروف ولا هو بشعر، كما أنّ قارئه قد يستنبط منه عدة معان، لذا فإنّ ما يقوم به المترجم ما هو إلا نقل لإحدى هته المعاني المحتملة التي فهمها من النص الأصلي لهذا كله، وغيره

من الأسباب، كانت ترجمة معاني القرآن الكريم أمرغاية في الدقة و الأهمية، ومنه فالترجمات تتفاوت في دقتها وصحتها اللغوية وفق كفاءة مترجميها، وإتقانهم للغة العربية من جهة واللغة الثانية من جهة أخرى. إذن فمن المستحيل ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى بنفس الدقة التي جاءت بها اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، ذلك أنه من الصعوبة ترجمة ما تحمله كلماته من مدلولات ومعانٍ تمثل روح القرآن وسرّه الخالد، كما أنّ أسلوب القرآن الكريم أسلوب مميز وفريد، مميز في بيانه، وفريد في إعجازه، ما يجعل عملية ترجمته إلى لغة أخرى عملية في غاية الصعوبة لما له من خصائص بلاغية وبيانية لا متناهية، لذا ولكي ينقل المترجم معاني القرآن على أفضل وجه، فإنه يتوجب عليه فهم الخصائص البلاغية والبيانية التي تتمتع بها اللغة العربية.

إلى جانب ذلك، يتوجب على المترجم أن يكون على دراية تامة بأسباب نزول الآيات والبيئة التي نزلت فيها، كما يجب توخي الأمانة في النقل، دون تغير أو إضافة أو حذف لمعاني القرآن، ومن المحقق أنّ هناك ترجمات كثيرة لمعاني القرآن في العالم غالبا ما كانت رغبة في وضع نظريات خاصة في تفسير الإسلام ونشأته، ومن هنا كانت إساءة هذه الترجمة أكثر من إفادتها، فقد شوهت صورة الإسلام في عقول كثير من الأوربيين الذين رغبوا في فهم الإسلام من كتابه الخالد مستعينين بهذه الترجمة .

"والمقصود بترجمة معاني القرآن الكريم، ترجمة معانيه وتفسيرها، لا ترجمة حروفه وألفاظه، والقرآن عند أهل السنة والجماعة هو: "كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود"⁽¹⁾. بمعنى أنّ ترجمة معاني القرآن الكريم هي نقل المعنى السياقي الدقيق للأصل (القرآن المنزل باللغة العربية) إلى حدود ما تسمح به البنية الدلالية والنحوية في اللغة الهدف، أي نقل معنى النص القرآني الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، إلى لغة ثانية حتى يسهل على المهتدين الجدد للإسلام وغير المسلمين الأعاجم، من الإطلاع على مضمون الرسالة التي يحملها القرآن الكريم بين ثنايا سورة وآياته. عدا ذلك، فإنّ القرآن لا يمكنه أن يترجم، بمعنى أنه من غير

(1) ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 ، 1413هـ ، ص172

الممكن ترجمة ألفاظه إذ ليس بمقدور العباد أن يحيطوا بمراد الله عز و جل، و يستوعبوا كل ما تتضمنه كلماته من الدلالات والمعاني، ولهذا السبب لا يمكن القول بـ"ترجمة القرآن الكريم" لأن الدلالة هنا تشير إلى ترجمة النص القرآني مباشرة، بما يحمله من خصائص لفظية وبلاغية ودلالية، بخلاف أن نقول "ترجمة معاني القرآن الكريم" والتي تعني تفسير معنى النص القرآني بلغة أخرى دون حمل الخصائص اللفظية والبلاغية والدلالية عليه، وإن كان بعض المترجمين يشيرون صراحة إلى أن ترجمتهم هي "نص القرآن باللغة الإنجليزية أو الفرنسية وغيرها من اللغات، فالقول بـ"ترجمة معاني القرآن الكريم" أسلم للمترجم من الوقوع في المحذور الشرعي لهذا المسألة، وبالتالي الخروج من دائرة الخلاف بين من هو مجيز لها ومن هو رافض لها.

إن ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى -في نظري- من أشرف ما يمكن أن يخدم المسلم منا دينه وربه متى ما تحلى ذلك بالدقة والأمانة، وإخلاص النية لله سبحانه وتعالى، ولعل من البديهي القول أن أي عمل بناء هادف يبدأ ويبنى على خطة العمل التي تسبق القيام به، ومشروع ترجمة معاني القرآن الكريم عمل كبير ومهمة في غاية الحساسية، لأنها تتصل بتبليغ كلام الله عز وجل المنزل على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام للناس كافة، لذلك كان لزاماً على المسلمين ومن يعنى منهم بذلك على وجه الخصوص، أن يولوا هذا الأمر غاية إهتمامهم، وأن يبذلوا في سبيل إنجاحه منتهى جهدهم .

إن ترجمة معاني القرآن الكريم، هي لا شك من أصعب الترجمات، كونها تتعامل مع نصوص دينية تتصل بالعقائد والشرائع والعبادات والأخلاق والقيم التي يحتوي عليها الدين، وليس من السهل نقل هذه المعاني إلى لغات أخرى لأنها تتعلق بوعي الإنسان وممارساته اليومية وإعتقاداته التي يصعب نقلها إلى لغة أخرى، أضف إلى ذلك فإن المصطلحات القرآنية تعاني غموضاً عند التحول أو إعادة الصياغة إلى لغة أخرى لعدم ثراء هذه اللغات، مما يحمل معه كارثة فكرية وروحانية، خاصة إذا كانت متعلقة بإسم الله الجليل أو رسوله الكريم كما سأبرزه لاحقاً، فهذه أسماء

تستحق الإحترام والإجلال، فكل فرد يحق له أن ينادى بإسمه، فما بالك بجلال المولى عز و جل و نبيه الحبيب.

إذن فترجمة معاني القرآن الكريم متعلقة أساساً بالمعنى، وترجمة اللفظ أو العبارة منه إلى لغة أخرى هدفها التعبير عن المعنى الذي يحمله هذا اللفظ أوتلك العبارة، ولا شك أن معظم المقلبين على هذه الترجمات، يفهمون من عبارة "ترجمة القرآن الكريم" أن ما بين أيديهم هو قران مترجم ترجمة أمينة وصحيحة، ومن ثمة يذهب بهم الاعتقاد بإمكانية ترجمة القرآن العظيم، وبأن الكتاب المترجم يعكس بدقة ما ورد في القرآن، ويؤدي بهم ذلك إلى حمل أخطاء الترجمة المتعددة على أنها من القرآن، وإلى فهم الإسلام على غير وجهه الصحيح، وإلى إهتزاز إيمانهم به فتؤدي أعمال من هذا القبيل، إلى عكس ما يُتوخى منها. ولقد حفلت كثير من الترجمات بأخطاء في الفهم والتأويل، وفي ذلك دليل على أن ما يُقدّم -باعتباره ترجمة للقران الكريم- ليس إلا تفسيراً من التفسيرات، بما أنه لا يعكس خصائص لغة القرآن، ولا يعبر عن آياته بأمانة، ولا يبلغ قوة معانيه ودقة عباراته.

إن هؤلاء وأولئك حين يصيرون يساعدون أمهم وشعوبهم على إلتماس سبل الهداية من الأبواب الصحيحة للقران، وحين يخطئون فهم لا يضررون القرآن، ولن يضرروه ولن يشوهوه، بل هم يسيئون إلى عقولهم وعقول شعوبهم، وكما تموت التفاسير الضعيفة، فكذلك الترجمات الضعيفة والسيئة، سواء أكانت عن عمد أم عن خطأ، فهي تضيع في زوايا الإهمال والنسيان، لأنها ضدّ قوانين الأشياء، وضد أصول العلم الذي يطمح إلى التقدم في الوصول إلى درجة من اليقين القائم على أسس من العقل القويم. قال تعالى "فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال" (الرعد17).

وكما أنَّ التفسير لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يبلغ درجة ما في القرآن في وجه من وجوهه، فكذلك الترجمة لن يمكنها قط أن تبلغ مستوى النص الأصلي العربي للقران المبين، ولكن هذا لن يقف قط عقبة أمام توجُّه هؤلاء وأولئك المستمر والدائب لمحاولة الوصول إلى أقصى درجة القرب من النص الكريم.

ولذا، فإنَّ المجتهدين في مجال الدراسات حول ترجمة معاني القرآن الكريم قد أصروا على أن تركز الترجمة على المعاني الأصلية، ولذا تبدو الإجابة عن هذا السؤال: "ماذا يراعى في لغة الترجمة" إجابة معقدة وبالغة الدقة، ولا بدَّ أن تصحبها إحتياطات كثيرة أهمها إستقراء ملاحظات أهل البيان في كل لغة يترجم إليها القرآن عن موقفهم الشعوري والعقلي والقلبي معاً إذ يقرؤون الترجمة، ولكن هؤلاء ومعهم المثقفون من القراء مهما كان موقفهم من قبول الترجمة أو رفضها، فلن يتسنى لهم أن يحكموا ما داموا لم يقرؤوا النص العربي، ولم يعرفوا وجوه إعجازه، ولن يستطيع أن يتصدى لتحديد درجة الترجمة من الجودة أو الرداءة، إلّا عالم مزدوج اللغة، ضليع في كلتا اللغتين عربية القرآن، ولغة الترجمة على قدم وساق.

ولهذا فقد تنادى علماء المسلمين منذ مدة بأنَّ الطريق الذي يجب أن يسلك في مشروع الترجمة لإبلاغ كلام الله عز وجل، إلى أولئك الذين لم يتمكنوا من الوصول إليه، أو معرفته بنصه العربي يمكن أن يحصل "بتفسير القرآن تفسيراً موجزاً، موضحاً لمعاني الآيات، بحيث يتولاه مجموعة من العلماء القادرين، ثم يترجم هذا التفسير على أنه ترجمة تفسير كذا أو تفسير فلان وفلان، وذلك حتى يؤكد أنه بيان لما فهمه أولئك المفسرون فحسب" (1).

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1396 هـ، ص 170.

إنَّ من مظاهر التوفيق لشخص أو جماعة أو مؤسسة، أن يكون لهم عناية بكتاب الله عز وجل؛ وبخاصة تيسير وصوله للناس ونشره بينهم، كما قال به عليه الصلاة والسلام "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"⁽¹⁾.

ولعظم المسؤولية، وأهمية العمل في هذا الباب، ولكون الترجمة نوعاً من التفسير، لأن المترجم موضح ومبين لمعاني الكتاب الكريم، فإنه لا بد أن يتحقق فيه شرطان حسب ما ذكره الزرقاني :

الأول : تحقق شروط المفسر.

الثاني : تحقق شروط المترجم.

حيث قال في مناهل العرفان⁽²⁾ : وإذا كان تفسير القرآن بياناً لمراد الله بقدر الطاقة البشرية، فهذا البيان يستوي فيه ما كان بلغة العرب، وما ليس بلغة العرب، لأنَّ كلا منهما مقدور للبشر، وكلا منهما يحتاج إليه البشر، بيد أنه لا بد من أمرين:

- أن يستوفي هذا النوع شروط التفسير، باعتبار أنه تفسير.
- أن يستوفي شروط الترجمة باعتبار أنه نقل لما يمكن من معاني اللفظ العربي بلغة غير عربية.

و سوف أتحدث عن هذين الشرطين بشيء من التفصيل .

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ط2، دار المعرفة ، بيروت ، بولاق، 1301هـ، المجلد 6، ص108

(2) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر ، بيروت ، ط 1، 1396 هـ ، ص96.

- تحقق شروط المفسر : أما الجانب الأول، وهو تحقق شروط المفسر، فقد تحدث

العلماء في هذا الباب بتفصيل كبير، وهذا جملة ما ذكروه من الشروط في ما يلي⁽¹⁾ :

1- صحة الاعتقاد، ولزوم السنة.

2 - صحة المقصد.

3 - الإعتماد على ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضوان الله

عليهم .

4 - العلم باللغة العربية وفنونها .

قال مجاهد: "لا يحلُّ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إن لم يكن عالماً بلغات العرب"⁽²⁾.

وقال أبو حيان الأندلسي في معرض ذكره لما ينبغي أن يحيط به المفسر:

"ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان"⁽³⁾.

5- معرفة علوم القرآن التي تشمل أسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي

والمديني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن، وهي من أهم

العلوم التي ينبغي أن يعرفها المفسر⁽⁴⁾، بل إنَّ علوم القرآن بالنسبة للمفسر مفتاح له، مثله مثل

علوم الحديث بالنسبة لمن أراد أن يدرس الحديث دراسة حقة⁽⁵⁾.

(1) جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، ص (387-388).

(2) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، ط 1، ص 292.

(3) أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1403 هـ، المجلد الأول، ص 7.

(4) مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف بالرياض، 1413 هـ، ص 16.

(5) محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط 3، 1407 هـ، ص 25.

6 - معرفة أصول الفقه .

"ولعل من أهم أسباب الانحراف الذي نشأ في اتجاه بعض المفسرين، غياب القواعد المحررة التي تضبط الاستنباط من كتاب الله عز وجل، لذلك تتبين أهمية العلم بأصول الفقه بالنسبة لمن يتولى النظر والتبيين لمعاني الكتاب الكريم"⁽¹⁾ .

ثانياً تحقق شروط المترجم :

يشترط في القائم بالترجمة، المعرفة التامة باللغتين، لغة الأصل ولغة الترجمة، وأن يكون متمكناً محيطاً بأساليبهما وخصائصهما⁽²⁾ .

وهناك مسائل تتصل بالمترجم ، وقد تكون مفيدة في رفع مستوى كفاءة الترجمة :

أولها: أهمية إختيار مترجم تكون لغته الأصلية هي اللغة التي يترجم إليها، وتكون لغته الثانية هي اللغة العربية التي يترجم منها.

وقد يكون من المفيد -أكثر في نظري- وجود إثنين يعرفان اللغتين المترجم منها والمترجم لها، لكن أحدهما لغته الأصلية الأولى والآخر الثانية، ويكون الأساس من يترجم إلى لغته الأصلية، وذلك لكي يتم تبادل الخبرة والتشاور بينهما في فهم الصيغ والمعاني والتعبير الأنسب للترجمة.

الثانية: إن لم تكن اللغة الأصلية للمترجم تلك التي يترجم إليها، فمن المهم أن يكون متمكناً من التعبير البليغ باللغة التي يترجم إليها، وقدرته على الصياغة الراقية في عرف تلك اللغة وأساليبها، وذلك أخرى بأن تكون صياغته وأسلوبه أكثر تأثيراً في القارئ، وبخاصة أنه يترجم معاني كبيرة وعظيمة هي معاني الكتاب الكريم، وقد جاءت بأسلوب أبلغ ما يكون، فحري بأن تنقل بأمثل ما يستطيع المترجم لمعانيها من الفصاحة والبلاغة وحسن السبك.

(1) محمد بن لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1408 هـ، ص 136 .

(2) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1396 هـ، ص 81.

ومما يساعد المترجم في عمله الدقيق هذا:

- التدقيق اللغوي، الذي يهتم بصحة اللغة و التركيب .
- التدقيق الفقهي الذي يتأكد من أن الأحكام التي ترجمها المترجم هي التي شرعها الإسلام، و من أن الصياغة المقترحة لا تشوه المعنى المتوخى لدى القارئ.

و بالرجوع إلى ما سبق، تنقسم ترجمة القرآن الكريم إلى نوعين رئيسيين:

الترجمة الحرفية: وهي ترجمة كل لفظة في القرآن الكريم بما يماثلها في اللغة المترجم إليها، حرفاً بحرف ومثلاً بمثل، ويجب أن يراعى فيها محاكاة الأصل في نظمه وترتيبه، والمحافظة على جميع معانيه من غير شرح ولا بيان⁽¹⁾. وهذه الترجمة - إن قُدر عليها - فهي مطابقة للأصل في ترتيبه ونظمه تمام المطابقة، ولا إختلاف بينهما إلا في اللغة فقط، وهي في واقع الأمر غير ممكن ولا مقدور عليها، فهي تكاد تكون نظرية بحتة وذلك لتعذرهما، وليست محل خلاف في عدم جوازها لعدم إمكانها أصلاً كما سبق وأن وضحت وسأوضح لاحقاً.

الترجمة التفسيرية: ويمكن أن نقسهما إلى قسمين:

1- ترجمة تفسيرية يقوم بها المترجم ابتداء ومباشرة من القرآن الكريم، بحيث يفهم معنى الأصل ثم يترجمه إلى اللغة الأخرى، بألفاظ وجمل تكون شرحاً لغامض الأصل، وتوضيحاً لما فيه من المعاني، وتفصيلاً لما أجمل فيه، دون أن يلتزم بالوقوف عند كل لفظة، وإستبدال ما يوافقها بها في اللغة المترجم إليها⁽²⁾.

2- ترجمة تفسيرية بحيث يُفسَّر القرآن الكريم أولاً باللغة العربية، ثم يقوم المترجم بترجمة هذا التفسير⁽³⁾.

(1) المرجع السابق ، ص85.

(2) المرجع السابق، ص87.

(3) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

والفرق بين القسمين، أنَّ المترجم في القسم الأول، لابدَّ أن يكون عالماً بالتفسير، وقادراً على الترجمة معاً، أما في القسم الثاني، فيكفي أن يكون قادراً على الترجمة بشروطها وضوابطها، فهو يترجم ما قام به العالم أو العلماء بالتفسير.

وهذه الترجمة بقسميها ليست ترجمة للأصل، بل لمعناه وشرحه وتفسيره، فهي إذن ترجمة للتفسير لا للقرآن، فتأخذ بذلك حكم ترجمة التفسير.

إنَّ الفارق بين الترجمة الحرفية والترجمة التفسيرية، يكمن أولاً في أنَّ صيغة الترجمة الحرفية لا يراعى فيها الأصل، والإتيان بعبارات تشعر بتفسير الآية. أما الترجمة التفسيرية، فإنها قائمة على الارتباط بالأصل، حيث هي شرح للمفرد أو المركب شرحاً متصلاً به، بحيث لا يمكن تجريد التفسير وقطعه عن أصله مطلقاً، ولو جرد لصار لغواً أو أشبه باللغو، فلا يؤدي معنى سليماً. ثم إنَّ الترجمة الحرفية لا يجوز فيها الإستطراد، لأنَّ الأصل فيها أن تكون مطابقة لأصلها، بينما الترجمة التفسيرية قد يكون الإستطراد فيها مطلوباً، لأنَّ الأصل فيها البيان والتوضيح⁽¹⁾.

إنَّ الأصل في الترجمة الحرفية أن تتضمن الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده دون زيادة أو نقصان، أما الترجمة التفسيرية فإنَّ الأصل فيها قائم على الإيضاح والبيان إجمالاً، أو تفصيلاً وافياً بجميع المعاني والمقاصد، أو مقتصراً على بعضها دون بعض، مما قد يشعر القارئ أن للأصل معاني أخرى قد تكون أولى مما ذكره.

أما الترجمة التفسيرية فليست كذلك، "حيث لا يدعي المفسر التفسير النهائي للآية، بل قد يذكر وجوهاً محتملة للآية، أو يختار من بينها، وأحياناً يصرح بعجزه عن فهم كلمة أو جملة بقوله الله أعلم بمبراده أو نحو ذلك، وبهذا يعلم أنَّ الترجمة التفسيرية لا يمكن أن تقوم مقام الأصل، ولا أن يدعى فيها الإطمئنان إلى وفائها بجميع أغراضه ومعانيه"⁽²⁾.

(1) المرجع السابق، 91

(2) المرجع السابق، ص (114-118).

إن الحديث عن ماهية ترجمة معاني القرآن الكريم، وعلمية الإسلام تقتضي نشر لغته، ونشر هدايته للناس بلغاتهم، وما رسائل الرسول صلى الله عليه و سلم وكتبه إلى ملوك عصره، إلا سعي إلى نشر الإسلام عالمياً، وبيان لأهمية الترجمة. ولكنني أقول ختاماً أنّ القرآن قد نزل بلسان عربي مبين، وجعله الله معجزاً بهذا اللسان، ومن أراد فهمه حق الفهم وإدراك إعجازه، فلا خيل له في نظري أحسن من اللسان الذي به نزل.

المبحث الأول: أهم مشاكل ترجمة معاني القرآن

لقد سبق و أن بينت، أنَّ لغة القرآن لغة عربية خاصة بالقران، فهو لا يقارن بأي نص من العربية أو من غيرها، وتتفق كذلك على أنَّ الترجمة بأية لغة لن تضاهي نص القرآن الكريم، ولذا لن تصل الترجمات إلى درجات الكمال، فالكمال لن يكون إلا في النص القراني العربي المبين. ولذا فإن رغبة دارسي الترجمة المثالية قديماً وحديثاً في محاولة الوصول بالترجمة عمومًا إلى أن يكون النص الأصلي وترجمته متطابقين لا يمكن أن يتحقق قط فيما يخص ترجمة معاني القرآن، ولذا فإن العلماء قد إتفقوا على تسمية النص الأجنبي : "ترجمة معاني القرآن" وليس ترجمة القرآن، إذ إنه لا يعقل أن يسمى قرآنًا في ذاته، لأن هذا الأخير يطلق بصفة حصرية على كلام الله عز و جل و لا على أي كلام آخر، حتى وإن كان هذا الكلام ترجمة له.

ولكن لا بد هنا أن نحدد ما المقصود بعبارة "لغة الترجمة"؟ ولا بد أن نحاول حصرها أو رسم حدود لها حتى يمكن الكلام عليها، ورسم هذه الحدود يتطلب منا التمييز بين جهتين في نص القرآن العربي المبين سبق أن أشرنا إليهما، وقد حددتهما الشاطبي في "الموافقات" إذ يقول: "للغة العربية من حيث هي ألفاظ دالة على معان نظران أحدهما: من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مطلقة دالة على معان مطلقة وهي الدلالة الأصلية. والثاني: من جهة كونها ألفاظاً وعبارات مقيدة دالة على معان خادمة وهي الدلالة التابعة و هو ما يفي به القرآن"⁽¹⁾.

وهذا يعني أنَّ الأولى هي الجهة التي تشترك فيها جميع الألسنة، وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين، فلا تختص بأمة دون أخرى، في حين أنَّ الجهة الثانية تختص باللسان القراني، وهي تكمن في الجانب البلاغي، وهي أكبر مدار للإعجاز، وتلك هي التي لا يمكن أن تترجم حسب ما نفهمه من قول الشاطبي .

(1) أبي إسحاق الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص(6-7).

ومعنى هذا أنه لن يترجم القرآن كاملاً قط، أو أنه لن يترجم منه إلا جانب الدلالات، أي جانب المعاني التي تشترك فيها جميع الألسنة.

وخصوصيات لسان القرآن الكريم، لا تكمن في جانب التركيب والبلاغة وحدهما مدار الإعجاز، بل قد يتطرق ذلك إلى عالم مفردات اللغة، فإذا كان في العربية مفردات عامة، لها ما قد يوازيها في مفردات اللغات البشرية، مما هو عام بين الأمم وألسنتها، فإن كثيراً من مفردات عربية القرآن قد يستعصي على ذلك، أي قد لا يجد ما يوازيه في اللغات الإنسانية كلها، فبعض مفردات القرآن يعد مفاتيح حضارة العرب، يعكس صور تقاليد عربية بحتة تجاه الطبيعة، وتجاه نمط الحياة العربية قبل الإسلام وإبان نزول الوحي، وفي كل لغة طائفة من المفردات مفاتيح حضارة اللغة، يصعب على لغة أخرى الوفاء بها.

إنَّ من أهم المشاكل المتواترة في ترجمة معاني القرآن -في نظري- المشاكل الثقافية، فاللغات لا تعمل بمعزل عن ثقافتها، بل هي جزء لا يتجزأ من تلك الثقافات. والثقافة هي مقومات إجتماعية صنعها الإنسان لنفسه على مر العصور، هي التي تحدد مدى إتساق سلوك الفرد مع الجماعة أو خروجه عليها، وعناصر الثقافة عديدة، منها اللغة والأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والأعراف والمؤسسات، وغير ذلك الكثير مما يصعب حصره، واللغة إن لم تكن السبيل الوحيد، إلا أنها أهم السبل التي يعبر بها الإنسان عن ثقافته، فهي الكاشف لها والمفصح عنها. ومن الظواهر اللغوية التي لا يمكن تفسيرها، وبالتالي ترجمتها دون أن يكون المترجم منتمياً بالنشأة لثقافة اللغة الهدف، ما يعرف بالتعابير الإصطلاحية، وما أكثر تواترها في القرآن الكريم.

وقد نلتمس العذر لمترجم معاني القرآن الكريم إذا أخفق في الوصول إلى المكافئ الدقيق لهذا التعبير الإصطلاحي أو ذاك، لأنَّ التعابير الإصطلاحية عموماً تختلف جذرياً عن أصناف المفردات الأخرى، وتتسم في جملتها بخاصية الثبات نتيجة لجريانها على ألسنة الناس لفترات طويلة، قبل أن تصبح مكتسبات لغوية متداولة على نطاق واسع، لا يخطئ من يسمعها من أهل اللغة، في فهم

معناها ومغزاها.

وترجمة التعابير الاصطلاحية تختلف في منهجها عن مناهج الترجمة الأخرى، لأن المكافئ فيها ثقافي بقدر ما هو لغوي، و تعبير مقابل تعبير، وبما أن موضوع الدراسة هنا هو القرآن الكريم، فستكون دراستي هنا منصبة على المصطلحات "الدينية و الشرعية" التي جاء بها كتاب الله العزيز، وأهم مشاكل ترجمتها.

ولترجمة المصطلح الديني من لغة إلى لغة أخرى، قواعد ومناهج لابد من مراعاتها، لأنه ليس كلمة عادية، بل يحمل معه أبعاداً ثقافية ودينية، ولفهمه لابد من فهم المنظومة الدينية والثقافية التي أخذ منها ذلك المصطلح، وإذا ما حاولنا نقل المصطلح إلى اللغة الثانية، فإنه سيفقد تلك الأبعاد والمعاني الثانوية التي يحملها في طياته، وذلك لعدم وجود لفظ مطابق له في اللغة الثانية، بسبب إختلاف الثقافة والبيئة لكلا اللفظين: اللفظ الأصلي واللفظ المقابل له في اللغة الأخرى، وبسبب أنه لا توجد لغتان متماثلتان في كل الجوانب أبداً.

وفي باب ترجمة المصطلحات والترجمة الدينية عامة ، يمكن الاستفادة من تجارب باحثين يوجين نيدا " Eugene Nida " صاحب كتاب :

« Towards a Science of Translating » " نحو علم للترجمة " حيث يقسم فيه

المصطلحات إلى قسمين ⁽¹⁾:

- المصطلحات اللغوية التي تكون لها مفردات لغوية مطابقة ومتوافرة بيسر.

- المصطلحات اللغوية التي تعين هوية الخصوصيات الثقافية.

أما عن طريقة التعامل مع هذه المصطلحات: ففي المجموعة الأولى ليس ثمة مشكلة، أما بالنسبة للمجموعة الثانية من المصطلحات فيمكن أن تؤدي إلى حصول عدة إرتباكات، ولذلك

(1) يوجين نيدا، نحو علم للترجمة، ترجمة ماجد النجار، بغداد، مطبوعات وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة، 1976م، ص (465 - 504)

يجب أن تختار إستعمال مصطلح لغوي آخر، يظهر شكل المدلول رغم أنه لا يظهر الوظيفة المكافئة له، أو إستعمال مصطلح لغوي يعين الوظيفة المكافئة على حساب التطابق الشكلي⁽¹⁾. والذي يهمني في هذا البحث هو المجموعة الثانية من المصطلحات، وكيف نتعامل معها، "فبالنسبة لترجمة مصطلحات تنتمي للصنف الثاني يصعب تجنب بعض التداعيات الأجنبية في المعاني، لذلك فإن أي ترجمة تحاول سد الثغرة الثقافية الواسعة لا يمكن أن ينتظر منها إزالة جميع بصمات الإطار الأجنبي، لأن تعابير أي لغة تكون مطمورة في التركيب الفكري لها، ومن الحتمي أيضاً أن تكون هناك مواضيع وتفاصيل لا يمكن المحافظة على طبيعتها بواسطة عملية الترجمة عندما تمثل لغة المصدر ولغة المتلقي ثقافات مختلفة جداً فيما بينها"⁽²⁾، وبالتالي من الضروري قبل البدء بترجمة المصطلح من معرفة سياقه الثقافي في لغة المصدر، والرسالة التي ورد فيها، "لأن المصطلح لا يمتلك معاني منفصلة إلا إذا ورد في إطار ثقافي كلي"⁽³⁾.

إذن، وبالعودة إلى ترجمة القرآن الكريم ومصطلحاته -محط إهتمامي- لابدّ من معرفة أمور عديدة، كأركان الإسلام والإيمان والسيرة النبوية الشريفة وغيرها، وذلك كي يفهم المراد الحقيقي من كل مصطلح، كألفاظ الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها، وبالتالي ترجمتها بشكل صحيح.

وكذلك من الضروري أن يعرف المترجم السياق الثقافي للغة المتلقي، وكيف يمكنه أن يقرب الترجمة لذهن ذلك المتلقي.

ولكن كيف يمكن المترجم أن يعرف مدى تكافؤ الترجمة بين اللغة الأصلية واللغة المتلقية؟ من الواضح -كما يقول نيدل- أن العملية التي يستطيع المرء بواسطتها تحديد التكافؤ بين لغة

(1) المرجع السابق، ص 332.

(2) المرجع السابق، ص (322 - 323)

(3) المرجع السابق، ص 471.

المصدر ولغة المتلقي، تعتبر عملية عالية التعقيد، ولكنها يمكن أن تلخص في منهجين بسيطين تماماً هما⁽¹⁾:

1- تحليل مكونات الرسالة إلى أبسط تركيب دلالي لفظي لها مع عرض واضح جداً للعلاقات.

2- إعادة تكوين مكونات الرسالة في لغة المتلقي بالشكل الذي تستخدم فيه تلك التطابقات التي:

- أ. تتوافق مع الترجمة ذات التكافؤ الشكلي أو الترجمة ذات التكافؤ الدينامي أو الترجمة التي تجمع بين الأسلوبين المتقدمين كحل وسط.
- ب. والتي توفر أنسب شحنة إيصال موجهة للمتلقين المقصودين

فبما أنه ليس بين اللغات ألفاظ متكافئة تماماً ، فلا بد للمترجم أن يسعى لإيجاد أقرب مكافئ ممكن. وهناك شكلان للتكافؤ: الأول التكافؤ الشكلي، والثاني التكافؤ الدينامي⁽²⁾.

"وعند ترجمة مصطلح ما بطريقة التكافؤ الشكلي، فإنَّ المترجم ينقل مصطلحاً معيناً في وثيقة اللغة الأصلية بالمصطلح المماثل له في وثيقة لغة المتلقي... وعندما يعجز المترجم عن إيجاد مصطلح متكافئ، فإنَّ المترجم قد يستخدم مرادفات عديدة لشرح المصطلح شرحاً صحيحاً، ثم يوضح ذلك في الحاشية حتى لا يلتبس الأمر على المتلقي. وتسمى هذه الترجمة أيضاً بالترجمة المصقولة، المفسرة بحواش، حيث يحاول المترجم فيها إستخراج ونقل شكل ومحتوى الرسالة الأصلية حرفياً ومعنوياً قدر الإمكان، وهذا يعني أنَّ الرسالة في ثقافة المتلقي تقارن بشكل متواصل بثقافة المصدر لتحديد مقاييس الدقة والصحة والضبط"⁽³⁾.

(1) المرجع السابق، ص(472-473)

(2) المرجع السابق، ص(308-318)

(3) المرجع السابق، ص(308-309)

أما الترجمة ذات التكافؤ الدينامي التي تبناها نيدا، وعدّها الطريقة الأمثل في الترجمة- فإنها تستند إلى مبدأ التأثير المكافئ، وفي مثل هذه الترجمة لا نهتم كثيراً بمكافأة الرسالة في لغة المتلقي بالرسالة في لغة المصدر، بل مكافأتها بالعلاقة الدينامية، بحيث تكون العلاقة بين المتلقي والرسالة في الأساس، تلك العلاقة نفسها التي كانت بين المتلقين الأصليين وبين الرسالة، وتهدف الترجمة ذات التكافؤ الدينامي إلى بلوغ أقرب مرادف طبيعي لرسالة لغة المصدر، وهذا المرادف الطبيعي يجب أن يتناسب مع:

- 1- لغة وثقافة المتلقي ككل.
- 2- سياق الرسالة المعينة.
- 3- جمهور القراء في لغة المتلقي.

وبعدّ إنسجام الترجمة مع لغة وثقافة المتلقي مجموعة، عنصراً أساساً في أي ترجمة مقبولة أسلوبياً، وقد أوضح ذلك فريير بقوله:

"نعتقد أن لغة الترجمة ينبغي أن تكون عنصراً نقيّاً غير محسوس وغير مرئي، وأن تكون وسيلة لنقل الفكر والشعور وليس غير ذلك، وينبغي أن لا تجذب الإنتباه لها مطلقاً... ويجب أن تتحاشى جميع الإستيرادات من اللغات الأجنبية.. إنّ مثل هذا التكييف للغة وثقافة المتلقي يجب أن يفضي إلى ترجمة لا تحمل أي أثر للنص الأجنبي⁽¹⁾.

إنّ هذه النظرية تؤمن بضرورة إبعاد العناصر الأجنبية في الترجمة كما سبق وبيننا، وهدفها هو ثقافة المتلقي، ولو كان في ذلك إنقاص من ثقافة اللغة الأصلية المنقول منها النص، وهذا غير مقبول في رأيي بالنظر إلى مقومات الترجمة السليمة، التي يتحتم عليها توخي الأمانة في كل شيء ، حتى في نقل السيمات الثقافية.

ف "نيدا" بهذا النظرية، يفرض معايير لغة المتلقي وثقافتها على حساب ثقافة النص الأصلي، وهو بذلك يخفي الاختلاف القائم بين النص الأصلي والنص المترجم، وهذا الإخفاء بالتأكيد

(1) المرجع السابق ، ص 310.

يحول دون حدوث الترجمة إستجابة لدى المتلقين النهائيين مشابهة لإستجابة المتلقين الأصليين.

إذن أي منهج نتبع في ترجمة المصطلحات الدينية والشرعية المذكورة في القرآن الكريم؟ يدعو "لاورنس فينوتي" في كتابه "*The Translator's Invisibility*" إلى منهج "تغريب الترجمة" Foreignizing translation method، وهو منهج يخرج ترجمة النص الأصلي عن التعصب للغة الهدف وثقافتها، ويحافظ على ثقافة النص الأصلي، وهذا يعني إخراج المتلقي إلى جو جديد، وثقافة لغة جديدة، وقد أطلق على هذا المنهج إسم "المقاومة" *Resistancy*، لأنه يتعد عن منهج السلاسة الخادع، ويقاوم ثقافة اللغة المترجم إليها، ويراعي ثقافة اللغة الأصلية، ويعتبر فينوتي أن منهج التغريب يهدف للحد من العنف العرقي والعنصري، والتحيز اللغوي، وإدماج الثقافات في عملية الترجمة⁽¹⁾.

إنّ منهج تغريب الترجمة الذي ينادي به لاورنس فينوتي، هو الأنسب في نظري في ترجمة المصطلحات الدينية والشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، لأنه يحمل بين طياته ثقافة النص الأصلي، وهذا أمر مراد ومهم في نص معجز كالقرآن، إذ من الضروري المحافظة قدر الإمكان على ألفاظه ومصطلحاته وترجمتها بالطريقة الصحيحة، خوفاً من الوقوع في التحريفات، ذلك أنّ مصطلحات كالصلاة والزكاة والصوم والحج لها من الدلالة مالا يتوافق مع معناها في اللغات الأخرى، فهي مصطلحات شرعية ذات مدلول خاص في الشريعة الإسلامية، ولهذا لا بدّ عند التعامل مع هذه الألفاظ وما ماثلها من إتباع المنهج السابق ذكره، فمصطلح الصلاة مثلاً في الإسلام، يختلف عن مفهومه لدى الديانات الأخرى، فعند مراجعة معاجم اللغة نرى أنّ الصلاة لغة معناها الدعاء والتبريك والتمجيد⁽²⁾ يقال صليت عليه أي دعوت له، قال تعالى: "وصل

(1) Lawrence Venuti, *The Translator's Invisibility. A history of translation*. Routledge. London . 1995

(2) عبد السلام هارون ، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الجليل، ص17

عليهم إنَّ صلاتك سكن لهم " (التوبة 103)، وقال تعالى: "هو الذي يصلي عليكم و ملائكته" (الأحزاب: 43 ، وقال الله تعالى: " إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي " (الأحزاب 56)، فالصلاة من الله على رسوله ثناؤه عليه في الملاء الأعلى، ومن الملائكة دعاء وإستغفار كما هي من الناس كذلك، والصلاة إصطلاحاً كما جاء بها الشرع هي الركوع والسجود وسائر حدود الصلاة، والتي أمرنا الله بأدائها⁽¹⁾ قال تعالى: "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وإركعوا مع الراكعين" (البقرة 43).

إذن فللصلاة كما رأينا، معان عديدة في القرآن الكريم، كالدعاء والرحمة والإستغفار والصلاة المشروعة، وإنَّ كلمة الصلاة بمعناها الإصطلاحي لا يمكن أن يقابلها كلمة "prière" باللغة الفرنسية أو "prayer" بالإنجليزية ، كون كلمة الصلاة لها بعد ديني محدد ومفهوم خاص في الفقه الإسلامي والشرعية ، ولا يمكن لكلمة "prière " أو "prayer" أن تحمل كل تلك المعاني، بل العكس صحيح، وهو أنَّ المتلقي غير العربي عندما يسمع هذه الكلمات، فإنه يذهب إلى معنى آخر خاص بطقوس الصلاة عنده، وفي معتقده المسيحي أو غير المسيحي، ولهذا لا بد أولاً في نظري من ذكرها صوتياً " Salat"، ثم تشرح الكلمة بين قوسين أو في الحاشية بما يناسب. نفس المشكل يطرح بالنسبة لكلمة "زكاة"، التي هي حق مالي معلوم في زمن مخصوص لقوم مخصوصين، وهي من أركان الإسلام المفروضة على المسلم القادر، والتي لا يمكن أن تقابلها كلمة "charité" في الفرنسية مثلاً والتي تعني الصدقة التطوعية. إذن فلا بدّ من كتابتها في اللغة المنقول إليها كما هي، مع الشرح المرافق لها بين قوسين.

إذن فمن الضروري في نظري إبقاء المصطلح كما هو في النص الأصلي، ونقله صوتياً، ثم إيجاد شرح للمصطلح يوضع إما في النص بين قوسين أو في الحاشية، وبهذا يكون المترجم قد حقق المراد لأنه حافظ على المصطلح الأصلي ومدلولاته الثقافية والدينية ، وذلك بالشروحات المفصلة.

(1) المرجع السابق، ص19

هذا إضافة إلى مصطلحات إسلامية أخرى وردت في القرآن الكريم ، لا يقابلها في اللغات الأخرى مصطلح يوازي مفهومها الأصلي كالكعبة المشرفة، مقام إبراهيم، السعي بين الصفا والمروة، الإعتكاف، قيام الليل، الظهار، صحيح البخاري، السنة، الشيعة، أهل الجماعة، زكاة الفطر، المهاجرون، الأنصار ،الطلاق البائن بينونة صغرى وبينونة كبرى، والطلاق الرجعي، والوقف الإسلامي إلخ...

إذن تتلخص أهم مشاكل ترجمة المصطلحات الإسلامية عموماً فيما يلي:

- صعوبة التعبير عن المصطلح الإسلامي بلغة أجنبية، وهذا عائد إلى عدم وجود أي أثر لهذا المصطلح في لغة الترجمة كمصطلح "الإعتكاف"، مما يحتم إبقائه مع إضافة الشرح.
- خصوصية المصطلح الإسلامي من حيث مدلوله وأدائه والعاطفة الدينية الخاصة بتجاهه، وقد ضربت على ذلك مثلاً في الفقرة السابقة بالصلاة و الزكاة، والأمثلة كثيرة، فهذه المصطلحات موجودة في اللغات الأخرى بمرادفات مباشرة، لكن هذه المرادفات لا تحمل خصوصية المصطلحات الإسلامية، والشحنة الدينية والروحانية التي ترافقها.
- التعارض الثقافي بين اللغات، فهناك من المصطلحات الأجنبية ما يتعارض ثقافياً مع مرادفاتنا الإسلامية، فلا بد من أخذ حذرنا منها في الترجمة، فمثلاً "الجهاد" كثيراً ما يترجم بـ guerre والفتوحات الإسلامية "Colonisations islamiques" إستعمار إسلامي "فالجهاد ليس مجرد حرب، بل قتال في سبيل الله، كما أنَّ الفتوحات الإسلامية ليست إستعماراً بأي شكل من الأشكال، بل هي جهاد في سبيل الله ، وفتح للبلاد لنشر الإسلام دين الرحمة والعدل.
- في ضوء ما سبق ، أرى ما يلي في التعامل مع الألفاظ الإسلامية عند ترجمتها:
- أولاً: مراعاة الهدف من ترجمة معاني القرآن الكريم، المتمثل في الإبلاغ عن كتاب الله و الدعوة لإتباعه.

ثانياً: الجمهور المستهدف من الترجمة وخلفياته اللغوية والثقافية، فالترجمة التي نعدها للقارئ المسلم يجب أن تختلف عن الترجمة المعدة لغير المسلمين، كذلك يجب أن يختلف أسلوب تعاملنا مع المصطلحات تبعاً لخلفية القراء حتى المسلمين منهم، فالمسلم الذي يعتنق الإسلام حديثاً من بيئة غير إسلامية، ليس كمثل المسلم الذي نشأ وترعرع في بلد إسلامي وبيئة إسلامية.

إنّ ترجمة المصطلح الديني والشرعي الذي جاء به القرآن الكريم ذو أهمية بالغة، فهذا الكتاب الكريم قد أوجد مصطلحات جديدة في اللغة العربية، أضفى عليها مفاهيم وأبعاداً جديدة لم تكن معروفة قبل نزول القرآن الكريم، ولترجمته من لغة إلى لغة أخرى قواعد ومناهج لا بدّ من مراعاتها، لأنّ المصطلح الإسلامي ليس كلمة عادية، بل يحمل معه أبعاداً ثقافية ودينية، وفهمه لا بدّ من فهم المنظومة الدينية والثقافية الإسلامية بكل أبعادها، وإذا ما حاولنا نقله إلى لغة ثانية، فإنه سيفقد تلك الأبعاد والظلال والمعاني الثانوية التي يحملها في طياته، وذلك لعدم وجود مطابق له في أي لغة أخرى، لذا فمن الضروري توخي الدقة والحظر في ترجمة المصطلحات الإسلامية، وذلك بهدف إيصال معناها الحقيقي للقارئ غير العربي.

المبحث الثاني: حكم ترجمة معاني القرآن

لقد سبق وذكرت في الفصل الأول من هذا البحث، أنَّ الترجمة هي همزة وصل بين الثقافات، و جسر تنقل بين الحضارات، و أداة إتصال بين الشعوب و الأمم، لذا فإنَّ الحاجة إليها ضرورية في مختلف ميادين الحياة العامة و الخاصة، و بما أنَّ هذا الفصل مخصص لترجمة كتاب الله الكريم على وجه الإنفراد، فإنني أقول أنَّ ترجمة معاني القرآن الكريم هي لا شك وسيلة لتبليغ رسالة الله للعالمين أجمع، و قناة من قنوات الدعوة إلى الله تعالى و إعلاء كلمته، كما أنَّها الملاذ الوحيد للمسلمين غير العرب لفهم كتابهم الكريم .

إنَّ النظر في مسألة ترجمة معاني القرآن لأمر دقيق وفي بالغ الأهمية، كون الأقوال والفتاوى تتضارب عليها، فالكل يعترف بأنَّها مسألة ذات خطورة تتعلق بالدين والعلم، وأنَّها لا يمكن أن تعامل معاملة مسائل الأيام العادية، فتزوج و يذهب رواجها بإنقضاء أمدتها فيفرغ عنها و ينسى أمرها.

لقد ثار جدل كبير حول هذه المسألة الدقيقة بين العلماء المسلمين، فحرمها بعضهم تحريماً مطلقاً بكل أنواعها، بينما أجازها بعضهم الآخر، وتوسط معظمهم في الحكم، فأجازوا ترجمة معاني القرآن الكريم أو ما يسمى بالترجمة التفسيرية، التي تحاول نقل المعنى البياني الدقيق للأصل في حدود ما تسمح به البنية الدلالية والنحوية في اللغة الهدف، فهي تنقل المحتوى دون التقيد بترتيب كلمات الأصل، أو مراعاة نظمة، لتقرب بذلك الصورة للقارئ بأبهى حلة. في ذات الحين، حرموا الترجمة الحرفية لأنَّها تتصرف في نظم الكلام، محاولة بذلك إبدال لغة القرآن بلغة أخرى، في حين أنَّ القرآن الكريم كلام الله الذي تحدى به العالم على أن يأتوا بمثله، فلا يمكن لبشر الإتيان بما يعادل كلام الله في لغة أخرى، لأنَّه كتاب معجز كما سبق لي و أن بينت في الفصل الأول من البحث، ناهيك عن أنَّ اللغة العربية التي إختارها المولى عز و جل لإيصال رسالته إلى العالم أجمع، لها من الخاصية والجمال ما يميزها عن باقي لغات العالم كلها.

إنَّ القرآن الكريم برنينه العذب، يؤثر في قلب سامعه، و يدمع عينه، لأنه كلام معجز بلسان عربي مبين غير قابل للترجمة، فلا يمكن لبشر أن يسدَّ مسدَّ كلماته الأخاذة المتناهية الجمال و الرونق، أو عباراته المقدسة التي ما دون سواها عيب ونقص وظلام، فكل حرف من حروف هذا الكتاب العظيم بمثابة خزينة للحقائق، وصحيفة من الكلمات.

والترجمة الصحيحة لمعاني القرآن الكريم بالنسبة لي ضرورية، لأن أول ما يعترف به غير المسلم على الإسلام هو كتابه المنزل القرآن الكريم، فلا بدَّ أن تفهم معانيه بصورة صحيحة غير محرفة كما يفهمها علماء المسلمين. و قد أسلم كثيرون بسبب إطلاعهم على ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم، بينما حدث العكس أن أخذ بعضهم صورة سيئة عن الإسلام و نبي الإسلام محمد صلى الله عليه و سلم، بسبب بعض الترجمات الفاسدة.

وقبل الخوض في الحكم من ترجمة معاني القرآن الكريم، لابدَّ لي أن التأكيد على أنَّ لغة القرآن لغة عربية خاصة بالقرآن، و لا تقارن بأي نص عربي آخر مهما بلغت فصاحته، فلقد تطرقت في المدخل إلى ميزة اللغة العربية عموماً على غراميزة عربية القرآن، إيماناً مني أنَّ هذه الأخيرة تسمو فوق كل لسان، ولا أظن عاقلاً يخالفني الرأي إلا جحوداً، وكذلك الترجمة، فأية ترجمة بأية لغة لن تضاهي نص القرآن الكريم، ولذا لن تصل الترجمات إلى درجات الكمال، فالكمال لن يكون إلا في نص القرآن العربي المبين.

و يختلف حكم ترجمة القرآن الكريم حسب نوع الترجمة كما يلي:

1- حكم الترجمة الحرفية:

إنَّ الترجمة الحرفية هي أن يترجم القرآن بلغة أخرى تحاكيه كما وضحت آنفاً، بحيث تأخذ ألفاظ اللغة المترجم إليها محل ألفاظ اللغة الأصل، و هذا معناه القول "بترجمة القرآن" لا "ترجمة معانيه" وهذا غير ممكن بالنسبة لكتاب الله العزيز، إذ من المعلوم أنَّ القرآن الكريم في قمة

العربية فصاحةً وبلاغةً، وله من خواص التركيب وأسرار الأساليب ولطائف المعاني، وسائر آيات إعجازه ما لا تضاهيه فيه لغة، وهذه لا يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى إتفاقاً، ولو ترجم القرآن ترجمة حرفية - وهذا مستحيل - لضاعت خواص القرآن البلاغية كلها.

إنّ هذه الترجمة مستحيلة ، لأنها حتى تكون ممكنة لابدّ من أمرين⁽¹⁾:

أ- وجود مفردات في اللغة المترجم لها، مساوية للمفردات في اللغة المترجم منها، حتى يمكن أن تحل كل مفردة في الترجمة محل نظيرتها في الأصل.

ب- تشابه اللغتين في الضمائر وروابط المفردات كالعطف والإستثناء، إلى غير ذلك مما يؤلف التراكيب، وهذان الشرطان عسيران عند ترجمة كلام الناس، فما بالك بالقرآن الكريم، كلام رب العالمين، المعجز، ولذلك حكم بإستحالة الترجمة الحرفية بالمثل للقرآن الكريم. وكلا الشرطان مستحيلا التحقيق.

" إنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل على رسول ، المعجز بألفاظه ومعانيه، ولا يقول أحد من الناس إنّ الكلمة من القرآن إذا ترجمت يقال فيها إنها كلام الله، فإن الله لم يتكلم إلا بما نتلوه بالعربية، ولن يتأتى الإعجاز بالترجمة، لأن الإعجاز خاص بما أنزل باللغة العربية، والذي يتعبّد بتلاوته هو ذلك القرآن العربي المبين بألفاظه وحروفه وترتيب كلماته"⁽²⁾ .

إنّ القرآن الكريم هو اللفظ والمعنى، ولقد وصف الله القرآن بأنه عربي فقال: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا"^(يوسف2)، وقال: "كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون"^(فصلت3)، فالقرآن بلفظه ومعناه عربي، ولا يصح أن يقال عن كتابة بعض معانيه بغير العربية إنها قرآن .

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1396 هـ، ص 9.

(2) مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف بالرياض، سنة 1413 هـ، ص 325.

إنَّ القول بـ "ترجمة القرآن" هي "مثْلٌ للقرآن"، وكل مثل للقرآن مستحيل، فالقرآن تحدّى العرب أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، فعجزوا عن المعارضة والمحاكاة - وهم أئمة البلاغة والبيان - قال تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين* فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين" (البقرة 23-24)، فهم عجزوا عن محاكاته ومعارضته بالعربية، فكيف بلغة غير عربية .

- "إنه لابد في تحقق الترجمة الصحيحة من الوفاء بجميع معاني القرآن الأصلية والثانوية، وهذا غير ممكن الإحاطة به بترجمة حرفية" (1).

إنه لابد أن يكون في اللغة المترجم إليها مفردات مساوية لمفردات القرآن الكريم، ووجود ضمائر وروابط فيها مساوية لضمائر وروابط القرآن الكريم، حتى يمكن أن يحل كل مفرد من الترجمة محل نظيره من الأصل، وهذا - كما هو معلوم - غير متوافر في اللغات، فكل لغة لها أسلوبها وطرائقها المنفردة بها عن غيرها .

و تعزيزاً لهذا القول، دعوني أستعرض معكم ما قاله ابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن": "وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول ومآخذه، ففيها: الإستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص.. وبكل هذه المذاهب نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من الترجمات على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نُقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وتُرجمت التوراة والزيور، وسائر كتب

الله تعالى بالعربية، لأنَّ العجم لم تتسع في المجاز إتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى: "وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء" لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد، فخفت منهم خيانة ونقضا، فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطت لهم، وأذنبهم بالحرب لتكون أنت وهم، في العلم بالنقض على إستواء⁽¹⁾.

يقاسمه الرأي نفسه ابن قدامة قائلاً: "ولنا قول الله تعالى: قرآنا عربيا، وقوله تعالى: "بلسان عربي مبين"، ولأنَّ القرآن معجزة: لفظه ومعناه، فإذا غيّر خرج عن نظمه، فلم يكن قرآناً ولا مثله، ولا تجوز قراءته بغير العربية، ولا إبدال لفظها بلفظ غير عربي، سواء أحسن قراءتها بالعربية أو لم يحسن، وبه قال الشافعي وأبو يوسف ومحمد، وإنما يكون تفسيراً له، ولو كان تفسيره مثله لما عجزوا عنه كما تحداهم بالإتيان بسورة من مثله، أما الإنذار: فإنه إذا فسره لهم، كان الإنذار بالمفسر دون التفسير⁽²⁾.

كما علق أبوطاهر عبد القادر بدران على حرمة ترجمة القرآن حرفية بقوله: "لقد كان للمحافظة على لغة القرآن وتدبر الناس إياه بهذه اللغة العربية أعظم الأثر في الوحدة الإسلامية وقوتها، بحيث لم يكن يستطيع عدو أن يتسرب إلى أي ناحية، حتى هجر المسلمون كتاب ربهم ولغته العربية، وشغلوا بكتب الأعاجم التي صرفتهم عن الخير كله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولقد كان حامل راية الدعوة إلى "ترجمة القرآن" الشيخ محمد مصطفى المراغي، وكان الأستاذ السيد رشيد هو حامل راية الردّ عليه بأقوى حجج وأدفع براهين، ولم يمنع ما كان بينهما من الصداقة الوثيقة أن يصدع السيد بالحق لله⁽³⁾.

(1) أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، دار التراث القاهرة، ط2، ص(20-21)

(2) ابن قدامة المقدسي، المغني في الفقه الحنبلي، دار الفكر، بيروت، ط1، ص486.

(3) المرجع السابق، ص487.

2- حكم الترجمة التفسيرية:

سبق أن بيّنا أن الترجمة التفسيرية هي ترجمة لتفسير كلام الله تعالى ومعناه وليست لنصه، فهي إما أن يقوم بها فرد واحد يتولى التفسير والترجمة معاً، وإما أن يقوم بها من يتولى الترجمة فقط دون التفسير، وعلى كلتا الحالتين فإنها ترجمة تفسيرية، وتأخذ بذلك حكم التفسير، وكلمة المسلمين كادت تتفق على جواز الترجمة التفسيرية للقران الكريم، أي "ترجمة معانيه" لمن كان أهلاً لذلك، بل إن تفسيره وتدبر معانيه أمران مطلوبان لقوله تعالى " أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" (محمد24)، فإذا كان التفسير مشتملاً على معنى الأصل وشرحه مما يسهل فهم القرآن وتدبره، كانت الترجمة لهذا التفسير أو المعنى مشتملة أيضاً على هذا كله، لأنها ترجمة للتفسير لا للقران.

"ولا شك أن كلاً من التفسير وترجمته بيان ناحية أو أكثر من نواحي القرآن، لا يحيط بها إلا من أنزله بلسان عربي مبين، وليس في واحد منهما إبدال لفظ مكان لفظ القرآن، ولا إحلال نظم محل نظمه، بل لفظ القرآن ونظمه باقيان على حالهما صورة ومعنى من غير خلل ولا نقصان. وإذا كان الأمر كذلك فإن هذه الترجمة لا بأس بها، لكونها ترجمة لتفسير القرآن لا للقران نفسه، ولما يترتب عليها من المصالح المهمة مثل تبليغ معاني القرآن، وإيصال هدايته إلى المسلمين وغير المسلمين ممن لا يتكلمون بالعربية، ولا يعرفون لغة العرب، فإن الله تعالى بعث محمداً برسالة الإسلام إلى البشرية كافة على اختلاف أجناسها وألوانها ولغاتها، وشرط لزوم الرسالة البلاغ، والقران الذي نزل بلغة العرب صار إبلاغه للأمة العربية ملزماً لها، ولكن سائر الأمم التي لا تحسن العربية، أولاً تعرفها، يتوقف إبلاغها الدعوة على ترجمتها بلسانها"⁽¹⁾.

(1) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ط2، 1396هـ، ص 28.

إضافة إلى ذلك، فإننا نسجل أن كثيرا من المستشرقين وأصحاب العقائد المنحرفة، قد عمدوا إلى القرآن الكريم، فتناولوه بالترجمة والتفسير بإسم الإسلام والعمل على نشره، وهدفهم تضليل الناس وتنفيرهم منه، وصددهم عنه، و لذلك أرى أنه من الأولى أن يقوم المسلمون بترجمة معاني كتابنا العزيز، لإيصاله إلى الناس كافة، بالوجه الذي يرضيه ربنا تبارك و تعالى، لا بالوجه الذي يصبو إلى إبرازه أعداء هذا الدين.

وقد أشار شيخ الإسلام /ابن تيمية إلى جواز تعلم اللغات الأخرى، و بالتالي ترجمة معاني القرآن حيث قال: "وأما مخاطبة أهل الإصطلاح بإصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه، إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه. ولذلك تترجم معاني القرآن لمن يحتاج إلى تفهمه، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم، ويترجمها بالعربية، كما أمر النبي زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ليقراً له ويكتب له ذلك حيث لم يأتمن اليهود على ذلك"⁽¹⁾.

ومما يدل على جواز الترجمة التفسيرية من كلام العلماء أيضا، ما أجاب به الزمخشري عن السبب في عدم إنزال القرآن بجميع الألسنة حيث قال: "لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، فبقي أن ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنهم أقرب إليه، فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوّل عنهم وانتشر، قامت التراجم ببيانه وتفهمه، كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم، مع ما في ذلك من إتفاق أهل البلاد المتباعدة، والأقطار المتنازحة، والأمم المختلفة، والأجيال المتفاوتة، على كتاب واحد

(1) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، درء تعارض العقل والنقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 1 ص(43-44).

وإجتهدهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه، وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد، ولأنه لو نزل باللسنة الثقلين كلها - مع اختلافها وكثرتها - وكان مستقلاً بصفة الإعجاز في كل واحد منها، وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها يتلوه عليهم معجزاً ، لكان ذلك أمراً قريباً من الإلحاء" (1) .

وقال الشاطبي في الموافقات: "فأما على الوجه الأول - يعني التي يشترك فيها جميع الألسنة - فهو ممكن، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة، ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه، وكان جائزاً بإتفاق أهل الإسلام فصار هذا الإتفاق حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي" (2) .

"وقال ابن بطال - فيما نقله عنه ابن حجر في معرض توضيحه لحديث جاء في باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب: إنَّ الوحي كله - متلوّاً كان أو غير متلو - إنما نزل بلسان العرب، ولا يرد على هذا كونه بعث إلى الناس كافة عرباً وعجماً وغيرهم، لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربي وهو يبلغه إلى طوائف العرب، وهم يترجمون مقاصده لغير العرب بألسنتهم" (3) .

وقال ابن حجر كذلك: "فمن دخل الإسلام، أو أراد الدخول فيه، فقرأ عليه القرآن فلم يفهمه، فلا بأس أن يعرب له، لتعريف أحكامه، أو لتقوم عليه الحجة فيدخل فيه" (4) .

وجاء في مطالب أولي النهى: "ويحسن ترجمة القرآن لحاجة تفهيمه بها، وتكون تلك الترجمة عبارة عن معنى القرآن وتفسيراً له بتلك اللغة لا قرآناً ولا معجزاً" (5) .

إذن فالأدلة كثيرة على جواز الترجمة التفسيرية لمعاني كتاب الله، ولكننا وإذا قلنا بجوازها فإنَّ

(1) أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة العبيكان الرياض، المجلد 3، ص 362

(2) أبي إسحاق الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 52 .

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط2، دار المعرفة ، بيروت ، بولاق ، 1301هـ، المجلد 9، ص 8.

(4) المرجع السابق، ص 431.

(5) مصطفى السيوطي الرحباني، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المكتب الإسلامي للنشر، ط 1 ، ص 433.

ذلك يكون بضوابط وشروط لابد من توافرها ، وهو ما سأبينه فيما يلي .

من المعلوم أن القارئ لترجمة معاني كتاب الله الكريم -في الغالب- لا يعرف اللغة المترجم منها، ولا يفهم لغة النص المترجم، وبالتالي فإنه يقرأ الترجمة على أساس أنها مسلّمة، سالمة من الأخطاء والتحريفات، وحتى تكون الترجمة وافية بالمطلوب محققة للغرض المقصود، أرى أنه لابد أن تتوفر فيها، إضافة إلى ما ذكرته سابقا، الضوابط والشروط التالية:

1- أن يكون المترجم عالماً بتفسير القرآن الكريم، متمكناً منه، عارفاً بضوابط التفسير وقواعده، متوافرة فيه شروط المفسر وآدابه⁽¹⁾.

2- أن تكون الترجمة متضمنة أصح طرق التفسير المعتمدة، ويختار من الأقوال والوجوه في تفسير الآية أصحها.

3- أن ينبه في مقدمة الترجمة على ما يلي:

أنّ الترجمة التفسيرية المدونة ترجمة لما فهمه المفسر أو المفسرون من معاني القرآن .

أنّ الترجمة لا تتضمن كل وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن .

أنّ ترجمة القرآن الكريم غير ممكنة بسبب طبيعة القرآن نفسه .

أنّ الترجمة التفسيرية لا تغني عن القرآن ، حيث فيه من الأسرار والحكم والألفاظ والتراكيب ما لا يستطيع إدراكه بالترجمة .

4- كما يشترط في المترجم تحقق ما يلي:

أ- أن يكون مجيدا للغة العربية ، ليتمكن من فهم المعنى فهما صحيحا .

ب- أن يكون مجيدا للغة المترجم إليها ليستطيع ترجمة ما فهم بأسلوب واضح .

د - أن يكون المترجم بعيداً عن الهوى، والميل إلى عقيدة زائفة تخالف ما جاء به القرآن الكريم .

(1) علي بن سليمان العبيد ، تفسير القرآن الكريم، أصوله وضوابطه، مكتبة التوبة، ط1، 1418هـ، ص93 .

5- أن يطلق على هذه الترجمة ما يدل عليها صراحة مثل: " ترجمة تفسير القرآن الكريم إلى اللغة، أو ترجمة معاني القرآن إلى اللغة ... " .

ولا يجوز أن تسمى الترجمة " القرآن الكريم " أو " ترجمة القرآن الكريم " فهذا الإطلاق يتبادر منه أنها ترجمة لنص القرآن، وهو غير جائز كما سبق أن بيّنت.

6- أن تخضع الترجمة إلى مراجعة دقيقة من لجان متخصصة، فمما لا شك فيه أن الترجمة ليست من السهولة بمكان، بحيث يقدم عليها كل شخص يرى في نفسه القدرة على الترجمة، فالمترجمون أو اللغويون على مستويات متفاوتة في تمكنهم من اللغات، وهذا التفاوت في القدرات يجعل كل ترجمة عرضة لأن تخضع لهذه النسبة أيضاً، وكثيراً ما نشب الخلاف نتيجة عدم دقة الترجمة، كما نلاحظ إختلاف الترجمة بإختلاف المترجم، حيث أن المترجم في الأصل يقوم بعمل فني يعتمد على الإجتهد، إذ هو يبين معان ودلالات تختلف بإختلاف فهم النص المراد ترجمته، وتختلف صياغة الترجمة بين مترجم وآخر، بل قد يظهر الإختلاف في الترجمة نفسها، فلو ترجم شخص نصاً، ثم طلب من آخر عكس الترجمة، أي إعادة نص الترجمة من اللغة التي ترجم إليها إلى اللغة التي ترجم عنها، لا شك أنه لن يكون النص المترجم، النص الأول نفسه.

و لكنني أعتقد أن الإقرار بالترجمات التفسيرية للقرآن الكريم، أو ما يعرف بـ "ترجمة معاني القرآن لا ينبغي أن تكون عذراً للركون إليها، بل على المسلم أن يتعلم اللغة العربية التي أنزل به كلام الله، لكي يدرك مدلول الخطاب الإلهي، وإلا فإننا إذا سلمنا بالترجمة وأنها تغني عن الأصل، فقد حرمتنا المسلمين من حلاوة وروعة قراءة القرآن الكريم باللغة التي أنزل بها، وتدبره ومعرفة أحكامه وأسراره وإعجاز آياته، وقد عبّر ابن فارس عن فضل لغة القرآن الكريم على سائر اللغات بقوله: "ولو أراد معبر بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق، واليقين والشك، والظاهر والباطن، والحق والباطل، والمبين والمشكل، والإعتزاز والإستسلام، لعَيَّ به، والله جلّ ثناؤه أعلم حيث يجعل

وإذا قلت بهذا، فلأنني على يقين أن كثيراً من المسلمين من غير العرب تعلموا اللغة العربية من أجل فهم القرآن وإدراك معانيه وحكمه وأسراره، لأنهم بلا شك إعتقدوا أنه لا يمكن الوصول إلى فهمه إلا بلغته الأصلية، وقد فاق كثير منهم أهل العربية، فالفضل لله يؤتاه من يشاء.

إذن، يتبين لنا مما سبق، أن الترجمة الحرفية للقرآن الكريم بمعناها الإصطلاحي مستحيلة، لذا فحكمها أنها محرمة بالإجماع لأنها غير ممكنة، وقد اعترف بهذا كثير من المترجمين لمعاني القرآن، ومنهم المترجم المسلم الإنجليزي بكتول في مقدمته لترجمة القرآن الكريم حين قال بأنه "على الرغم من أنني سعت إلى تقديم تأويل شبه مطابق وملائم بالنص العربي الأصلي، لا أستطيع نسخ سيمفونيته التي لا تضاهى، والأصوات التي تحرك دموع الإنسان ونشوته. هذا المجلد لا يمثل سوى محاولة لتقديم معنا وبعضاً من سحر القرآن باللغة الإنجليزية. لا يمكنه أبداً أن يحل محل القرآن الكريم باللغة العربية الأصلية، ولم يكن المقصود كذلك".

« Although i have sought to present an almost-literal and appropriate rendering worthy of the Arabic original, i cannot reproduce its inimitable symphony, the very sounds of which move men to tears and ecstasy. The present volume represents only an attempt to present the meaning and some of the charm of the Qur'an in English. It can never take the place of the original Arabic Qur'an, nor it is meant to do so »⁽²⁾

أما الترجمة المعنوية التفسيرية للقرآن الكريم، فهي أيضاً بالغة الصعوبة، وإن كان البعض قد حرمها لإستحالتها عندهم⁽³⁾، إلا أن معظم العلماء المسلمين وبخاصة علماء الأزهر الشريف قد

(1) ابن فارس، الصاحبي، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بالقاهرة، ص 19.

(2) Muhammad William Pickthall, The Meaning of the Glorious Qur'an, Istanbul, 1996, p13

(3) عثمان عبدالقادر الصافي، القرآن الكريم، بدعية ترجمة ألفاظه ومعانيه وتفسيره وخطر الترجمة، بيروت، 1413، ط 1،

ص(110-118)

أجازوها ولكن بشروط دقيقة وقاسية⁽¹⁾.

"ونحن عندما نقول بجواز الترجمة التفسيرية، فإننا نعتمد على حجة قوية، وهي أن الترجمة المعنوية إيضاح للمعنى، فهي بهذا مرادفة للتفسير، لأن التفسير إيضاح، وهو علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، ويتحقق التفسير ولو بعرض معنى واحد"⁽²⁾، فكما أن تفسير القرآن بالعربية ضروري ولأمانع منه، فكذلك نقل معاني تفسير القرآن إلى لغة أخرى ضروري ولا مانع منه، وهو جزء مهم من وسائل إبلاغ الدعوة الإسلامية ونشرها في بقاع العالم. ولهذا أرى أن يطلق على ترجمات القرآن الكريم إسم ترجمة معاني القرآن باللغة الفرنسية أو غيرها من اللغات، وأن لا يطلق عليها إسم ترجمة القرآن لأن كلمة "ترجمة القرآن" توحي بأن معظم معاني النص موجودة أمام القارئ، مع أن الواقع ليس كذلك.

إذن فترجمة معاني القرآن الكريم جائزة بالإجماع على الرغم من أن بعضهم يشترط في المترجم أن يكون مسلماً، ويحرمون شرعاً أن يقوم غير المسلم بها، إلا أنني أعتقد أن هذا الشرط غير ملزم لصاحبه إذا ما راعى الدقة والأمانة، وعمل بأحد التفاسير الموثوقة لكتاب الله كتفسير ابن كثير أو الرازي وغيرها، واتخذها مرجعاً لترجمته، فكل ترجمة يراعى فيها بيان المعنى و تفسيره دون التعرض لنظم الأصل و ترتيبه، و يكون الإعتماد فيها على الأحاديث النبوية وعلوم اللغة العربية والأصول المقررة في كتب الشريعة الإسلامية، هي ترجمة صحيحة في نظري، فلا يجوز للمترجم الإستقلال برأيه و هواه في فهم القرآن، أو حتى الإعتماد على تفسير غير معتمد، فالترجمة المعنوية تبقى صحيحة ما دامت هذه الشروط قائمة، و إلا فتسقط الصحة، و يمنع العمل بها، فكما تحرم الترجمة الحرفية للقرآن الكريم، كذلك الترجمة المعنوية تحرم بلا ضوابط مسبقة. فمن غير المعقول لكل مطلع على لغة الضاد، التصور أن ترجمة معاني القرآن إلى لغات أخرى، يمكن لها أن

(1) محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، بيروت، 1983، ط2، ص (75-79)

(2) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، 1396 هـ، ص 92

تتوفر على الصحة الوافية، والدقة المتأهية التي تتميز بها لغة القرآن، فالكل متفق على أن لغة العرب أتم وأكمل لسان نطق به بشر، وأكبر دليل على ذلك نزول القرآن بها، و تحملها لمرتبة الإعجاز، فلا يسع أي لغة تأدية ما تؤديه من الأغراض و المعاني، فيكفي النظر إلى كتاب الله الكريم والتمعن فيه لإدراك إستحالة ترجمة ألفاظه إلى لغة أخرى، فهو كلام الله البالغ من الكمال و الجلال حد الإعجاز، فلا داعي لفتوى عالم في رأيي للقول بجرمة ترجمة هذا الكتاب العظيم ترجمة حرفية، لما يظهر جليا لكل عاقل أن كلام الله لا يعادله كلام.

إذن يمكني الخلاصة إلى أن ترجمة القرآن ترجمة تفسيرية ، أمر جائز حسب أغلب العلماء بل هي واجب دعوي لتبليغ القيم و المبادئ الاسلامية، حيث قال جل شأنه: " يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته " (المائدة67). أما ترجمته ترجمة حرفية، فهو محرم شرعا بإجماع العلماء، ذلك أنه لا يمكن لبشر الإتيان بكتاب يعادل كلام المولى عز و جل، و لذلك من الأرجح إستعمال إصطلاح " ترجمة معاني القرآن " لا " ترجمة القرآن " تفاديا للخلاف و دفعا للشكوك.

الفصل الثاني:

تاريخ ترجمة معاني القرآن

1- الترجمات الإستشراقية

2- الترجمات الإسلامية و شبه الإسلامية

لم يوفر أعداء الإسلام جهداً في محاربته، في محاولة منهم القضاء عليه بشتى الوسائل المتاحة. ومن الأسلحة القوية التي إستعملت في حجب الحق الساطع عن بني البشر من غير المسلمين، ما يسمى الترجمة القرآنية، التي غالباً ما تنافي ترجمة معاني القرآن الكريم، وفقاً لمصادر أهل السنة والجماعة ، وفهمهم لمعانيه كما سنرى لاحقاً.

وبإستعراض أشهر تلك الترجمات، تتبيّن الصورة المشينة التي تسعى جاهدة لتقديمها عن الإسلام الذي تتهم رسالته الخالدة بأنها موجهة للعرب دون سواهم، وأنها دعوة إصلاحية إقليمية، وأنّ مصدر القرآن الكريم هو محمد صلى الله عليه وسلم، كما زعمته الترجمات الإستشراقية البعيدة كل البعد عن الموضوعية والمنهج العلمي، حالهم في ذلك حال آبائهم المكذبين المفترين الجاحدين للحق الساطع المبين، وذلك لتجنب النظر في حقيقة الدعوة ومناقشة مضمونها، بينما نجد الرسول صلوات ربي وسلامه عليه، بما أوحى الله به إليه من كتاب وسنة، يعرض عليهم موضوعها عرضاً مباشراً بألف عبارة وعبرة، وبكل برهان ودليل، يذكّرهم بحقيقة خلقهم، وحق خالقهم، والإعداد لمصيرهم، وما تحمله لهم الدعوة من رشد وإستقامة وإصلاح ، لكل أمورهم، فما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة.

وكل كتاب سماوي، يجتهد في ذلك كله، فلا يلبث الجهلة والحاقدون أن يلجؤوا لأساليب التهديد والوعيد والبطش، ومن ثمّ الكيد والتآمر، كما كان وسيظل عليه حال القرآن، ومن ذلك خطط المستشرقين في تحريفه، و النيل منه بكل الطرق، و بشتى الوسائل، وعلى رأسها تناوله بالترجمة، و ذلك لتسويق آرائهم الفاسدة، وتضليل المسلمين، وتشويه صورة الإسلام وإثارة الشبه والمطاعن في الدين، ولكنهم كسابقيهم من الكفار المعاندين، تركوا المناقشة الجادة الموضوعية لعقيدة الإسلام وأصوله- كيف يناقشونها وهم يأخذون بعقيدة يبنونها على أشياء يعلنون عجز العقل عن مناقشتها وفهمها- ولم يكن قصدهم في يوم من الأيام الإهتداء والوصول إلى الحق، ولهذا إسترسلوا في حملات يشككون فيها في صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، ويتهمونه

بالأخذ من كتبهم، ويتحدثون عن اضطراب ترتيب القران، وغير ذلك من الموضوعات الجانبية، إلا أنه ومع كل هذه المكائد، تقبل الملايين من البشر في مشارق الأرض ومغاربها على إعتناق الإسلام، الذي يعترف أعداؤه بأنه أسرع الديانات إنتشاراً في العالم. وهنا أطرح السؤال التالي لماذا ينتشر الإسلام هذا الإنتشار إذا كان حاله ما زعمته ترجمات إستشراقية حاقدة ؟ أم يريدون الزعم بأنه ينتشر بحد السيف، وسيف المسلمين قد أخمد..

إلى جانب ذلك، تأتي ما يعرف بـ "الترجمات القاديانية"، و"القاديانية" -حسب بحث قيم وجدته على الإنترنت⁽¹⁾ بعنوان "موقف الأمة الإسلامية من القاديانية"- هي حركة أحمدية ظهرت في الهند، بتدبير وتأييد من القوى المناهضة للإسلام من وثنية وملحدة وباطنية، وهي عقيدة وثنية مادية إلحادية، لا صلة لها بالإسلام إلا بطريق الإدعاء، وإنما تسيطر عليها الرمزية والتأويلات الباطنية التي يحملون بها نصوص الإسلام ما لا تحمل، فذهبت إلى أن باب النبوة لم يقفل، وأنكرت عالم الملائكة والجن والمعجزات، وأولت نعيم الجنة وعذاب النار بأنها من قبيل المجاز لا أكثر، كما جاء في الترجمة الذائعة الصيت -حتى في الأوساط الإسلامية- ألا وهي ترجمة عبد الله يوسف علي، التي تطرى من قبل كبار الكتاب والباحثين، وتطبع ملايين النسخ منها بتمويل من بعض الجهات، والمراكز الإسلامية، التي لم تتنبه إلى مدى خطورتها من الناحية العقديّة حسب ما خلص إليه البحث، فمترجمها ينفي بعث الأجساد، والنعيم الحسي، والعذاب الحسي، وعالم الملائكة والجن والشياطين، ويرى البحث أن الكثير ممن يطرونها يركزون على جمال أسلوبها اللغوي، وكثرة التعليقات، وكأنّ الشكل والكم يعوّل عليهما، أكثر من التعويل على المضمون والكيف.

في مقابل كل ذلك، نجد جهود المسلمين في الدعوة إلى كتاب الله ضاربة في القدم، فمنذ بزوغ فجر الإسلام، اضطلعوا بدورهم العالمي الذي إختاره الله عزّ وجلّ لهم وهو تبليغ الرسالة السماوية الخاتمة الخالدة إلى البشرية جمعاء، لا فرق في ذلك بين عربي وأعجمي، أو أبيض

(1) موقع "اسلام اون لاين" بحث أعدته جماعة من علماء باكستان و طبعه الأزهر سنة 1976م

وأسود، أو رجل وامرأة، فالإسلام هو الرحمة المهداة التي أنزلت على المبعوث رحمة للعالمين، وإمام الأنبياء والمرسلين، وخاتمهم محمد بن عبدالله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، الذي بشرت ببعثته الكتب السماوية كافة قبل أن تمسّها يد التحريف، ولم يدع النبي وسيلة من وسائل الدعوة إلا واستخدمها، ومن هذه الوسائل إستخدامه الترجمة لمخاطبة غير العرب، ودعوتهم إلى الدين الحق والرد على رسائلهم، فروى الإمام البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت، أنّ النبي أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى "كتبْتُ للنبي كتبه، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه" (1).

"إنّ رسول الله، لما رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست، أرسل إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وكتب إليهم كتباً، فقليل: يارسول الله، إنّ الملوك لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً، فيأخذ رسول الله يومئذ خاتماً من فضّة، فصفه منه، نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، وختم به الكتب، فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وأصبح كل واحدٍ منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم. أرسل النبي إلى هرقل دحية بن خليفة الكلبي، وإلى المقوقس صاحب مصر والإسكندرية حاطب بن أبي بلتعة، وإلى كسرى عبدالله بن حذافة السّهمي، وأرسل إلى الحارث بن أبي شمر الغساني -وكان نصرانياً بظاهر دمشق- فبعث إليه شجاع بن وهب الأسدي، وأرسل إلى غير هؤلاء" (2).

وفي رواية أخرى، ذكر أنّ رسول الله قال لأصحابه: "إيتوني بأجمعكم بالغداة، وكان رسول الله إذا صلى الفجر يجلس في مصلاه قليلاً يسبح ويدعو، ثم إلتفت إليهم، فبعث عدة إلى عدة، وقال: إنصحو الله في أمر عباده، فإن من أخبر عن شيءٍ من أمور المسلمين، ثم لم ينصح، حرّم الله عليه الجنة، إنطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى بن مريم، فإنهم أتوا القريب وتركوا البعيد، فأصبحوا (يعني الرسل) وكل منهم، يعرف لسان القوم الذين أرسل إليهم، وذكر ذلك

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط2، دار المعرفة، بيروت، ط1، بولاق، 1301 هـ،

المجلد4، ص185

(2) ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المحمد، الرياض، 1416 هـ، ص193

للنبي فقال: هذا أعظم ما كان من حق الله عز وجلّ عليهم في أمر عباده"⁽¹⁾.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضا أنّ الفرس ترجموا مصاحف كثيرة إلى اللغة الفارسية، فقال: "وأبناء فارس المسلمون لما كان لهم عناية بهذا، ترجموا مصاحف كثيرة، فيكتبونها بالعربي، ويكتبون الترجمة بالفارسية، وكانوا قبل الإسلام أبعد عن المسلمين من الروم والنصارى، فإذا كان الفرس المجوس قد وصل إليهم معاني القرآن بالعربي وترجمته، فكيف لا يصل إلى أهل الكتاب وهم أقرب إلى المسلمين منهم؟"⁽²⁾.

إنني أرى- و بعد تمعن في عدد من الترجمات التي إطلعت عليها خلال دراستي هذه، ومن خلال النسخة التي حصلت عليها لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية ، والتي أشرف عليها مجمع الملك فهد بن عبد العزيز، والتي كانت المرجع بالنسبة لي لتوافقها مع تفسير ابن كثيرالذي رجعت إليه- أنّ الترجمات السليمة اليوم، هي الترجمات التي تتولى المملكة العربية السعودية وحدها نشرها، ذلك أنّ الأزهر الشريف لم يوفق في نظري في ذلك، لأنه بارك وأثنى على ترجمات غير صحيحة مئة بالمئة، كترجمة المستشرق الفرنسية **دونيز ماسون** كما سنرى لاحقا ، والتي هي محل دراستي التطبيقية هذه.

إنّ المسلمين-ويا للأسف- لم ينجحوا حتى الآن في وضع ترجمات جماعية للقران الكريم، وما الترجمات المتوافرة اليوم إلا جهود فردية، إستغرقت من أصحابها سنين عديدة، وهي ترجمات قاصرة تحمل أخطاء كثيرة، والمطلوب اليوم هو ترجمة جماعية ، تعبر عن المعنى الصحيح للنص الأصلي من غير تحريف ولا إنقاص، وهذه المهمة هي مسؤولية أولى الأمر من المسلمين ، علمائهم وحكامهم.

(1) المرجع السابق، ص 194 .

(2) المرجع السابق، ص (196-197).

يمكنني تلخيص حركة ترجمة معاني القرآن الكريم عبر العصور، حسب ما إطلعت عليه من مادة علمية ، إلى ثلاث أقسام:

- الترجمات الإستشراقية.
- الترجمات الإسلامية.
- الترجمات شبة الإسلامية.

وفيما يلي تفصيل هذه الأقسام.

المبحث الاول: ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم

إنَّ الإستشراق ظاهرة مرتبطة بدراسة علوم المسلمين من طرف غير المسلمين، "ويصعب تحديد بداية الإستشراق، فمن المؤرخين من يعود به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري، إلا أنَّ الإستشراق اللاهوتي بدأ عام 1312م بشكل رسمي، عند ما صدر قرار مجمع فيينا الكنسي، وأنشأ عددا من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية. أما في أوروبا، فلم يظهر مفهوم الإستشراق إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، فقد ظهر أولا في إنجلترا عام 1779م، وفي فرنسا عام 1799م كما أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م (1)

"يطلق الإستشراق على ما يبحث عن الشرق وشؤون الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضاراته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته" (2).

ويقول الدكتور أحمد سمائلو فيتش: "إنَّ المستشرق عالم متمكن من المعارف الخاصّة بالشرق ولغاته وآدابه" (3).

وتقول الدكتورة عفاف صبرة: "المستشرقون إصطلاح يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية، فهم يدرسون العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ، وكلّ ما يخصّ شعوب الشرق مثل: الهند وفارس والصّين واليابان والعالم العربي، وغيرهم من أمم الشرق" (1).

(1) إدوارد سعيد، الاستشراق، ترجمة كمال أبو دين، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1981، ص (13-15).

(2) مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، المكتب الإسلامي، ط2، 1979م، ص 19.

(3) أحمد سمائلو فتش، فلسفة الاستشراق، دار المعارف، مصر، ص 22.

ويقول الدكتور ميشال جحا: "المستشرقون هم أولئك الأساتذة والباحثون الأكاديميون، الذين تخصصوا في دراسة اللغة العربيّة والحضارة العربيّة وقضايا العالم العربي وبالدين الإسلامي"(2).

"أما الأستاذ مالك بن نبي، فقد صرح بكلمة مهمّة أهملها أصحاب الآراء السابقة، وهي كلمة "الغرب" حيث قال: إننا نعني بالمستشرقين: الكتّاب الغربيّين، الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية"(3).

وأي كانت الوجهة التي ينطلق منها الفكر الإستشراقي، فإنّ هذا المصطلح قد أخذ مفهوما إصطلاحيا إرتبط بالكتابة عن الإسلام والمسلمين، من منطلقات لم تكن بالضرورة إيجابية، وهذه النظرة السلبية لظاهرة الإستشراق، حجت في الحقيقة بعض الجوانب الإيجابية له في خدمة الإسلام مرات وكرات، وأصبح من المستحيل عند البعض تقبل أية معلومة ولو صحيحة صادرة عن مستشرق، أو حتى منقولة عنه، و أنا منهم صراحة، رغم أنني أوّمن بأنّ هذا الموقف لا يتوافق مع النظرة الإسلامية للحكمة بغض النظر عن مصدرها البشري والجغرافي والزمني، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، بل وإنّ العدل في الحكم على الأشياء والأشخاص مطلب شرعي، ولكن مكرمهم الدائم، وحقدهم الأذع على الإسلام والمسلمين هو السبب في ذلك، إذ أنني و غيري، بتنا لا نثق البتة فيهم وما يقولون، و لكن الحق والحق أقول، يتوجب علينا كعقلاء -إذا إدّعينا ذلك- أن نأخذ كل ذي عمل على حد سوى وأن لا نخلط الحابل بالنابل، ونضع الجميع في زاوية واحدة، فكثرتهم المستشرقون الذين ساهموا إسهاما معتبرا في خدمة الإسلام وتراثه فيما يتعلق مثلا بحفظ المخطوطات و تصنيفها ونشرها، وتحقيق بعض الدراسات

(1) عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية القاهرة، 1980م، ص9

(2) ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، ص15.

(3) محمد فتح الله الزيايدي، الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة 2002م، ص16

والتجمات، ممن تشرفت الجامعات العربية بإستقبالهم من إسبانيا والبرتغال وفرنسا وإنجلترا وألمانيا وغيرها، فأخذوا من ينابيع العلم والمعرفة في أجواء بعيدة عن العنصرية والإنغلاق، فنهجوا مناهج الجد والحداثة، لا مناهج الرواسب والتقليد، فأضافوا للإسلام الشيء الكثير حقيقة، وإستطاعوا إيصاله بأمانة إلى أولئك الجاهلون للغة الضاد، فكان لهم الفضل الكبير -بعد الله سبحانه وتعالى- في إسلام العديد منهم.

في مقابل ذلك، هنالك آخرون منهم تصدوا لهذا كله، وأظهروا خلطا عجيبا من الدوافع التنصيرية الدينية والسياسية والفكرية من جهة، و الإهتمام العلمي المحض من جهة أخرى، مع إصرارهم العجيب على إتخاذ الموضوعية دليلا في دراساتهم عن الإسلام والقران، وكل نتاج فكري لدى المسلمين كحجة على النقض من وجهة نظرهم، مما قد يسيء إلى ديننا العظيم وكتابنا الكريم كونهما لا يقومان على المنطق البشري والموضوعية التي يفهمها الواحد منا، و هذه الإساءة في الحقيقة هي إساءة إلى الفكر العالمي أجمع، لا الإسلامي منه فقط، لأن لديننا الحنيف دور حضاري عالمي يقدم للفكر الانساني أفقا لم يكن ليدركها دونه، وأبعادا جديدة لم يكن ليعرفها لولاه، ويأتي هذا كله تحت ستار جميل، وأسلوب راق لإيصال فكرة معينة، شأنها النيل من الإسلام والحد من إنتشاره الواسع، كونه الحق الساطع، والبرهان القاطع، مما أدى إلى نفور إسلامي شبه عام من الإستشراق والمستشرقين، ذلك أن إنحرافهم الفكري المتعمد في غالب الأحيان، صورة صادقة لإصداراتهم القديمة والحديثة، على مر العصور.

وبين ذاك وذاك، فأنا أرى أن قالب المكر والتشويه والنيل من الإسلام، قد غلب على قالب الإحتكاك بالثقافة الإسلامية، والإهتمام بها، ومحاوله نشرها بنية صادقة لدى المستشرقين ذلك أن التاريخ على مر عصوره، قد أكد لنا ذلك، من خلال إبراز تلك الحملات العدائية الشرسة التي شنّها المستشرقون على ديننا الحنيف عامة، وعلى كتابنا العظيم خاصة، محاولة منهم النيل منه وإحباط كلمته التي أعلاها المولى جل في علاه، هذا الكتاب الذي سيطر على الأمم

المختلفة الأجناس والأعراق والألوان والألسن، وجعلها أمة واحدة تنطق بالتوحيد، وتعلي كلمة الله.

لطلما حاول المستشرقون أن يثبتوا أنَّ القرآن الكريم من تأليف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، شأنهم في ذلك شأن مشركي مكة الذين بلغهم الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته والوحي القرآني، فزعموا أنه قد أصبح شاعرا أو ساحرا مجنوناً، وهي إفتراءات تنطبق اليوم على مزاعم المستشرقين الماكريين، الذين تجاوزوا أحيانا الإدعاء أنَّ القرآن من تأليف محمد، إلى أن إفتروا أنَّ القرآن قد عرف تطورات وتعديلات تمت خلال السنوات الأولى للهجرة، كما أنَّ نبينا صلوات ربي و سلامه عليه -حسب ما يدعيه عموماً ريتشارد بيل "Richard Bell"- قد تعلم من اليهودية والنصرانية مثلاً أنَّ الملائكة هم رسل الله، كما أنَّ كلمة "وحي" تعني أيضاً طرح إقتراح أو إشارة من غير كلمات بل هي خط سلوكي عملي موجه.

"The word *awha* is also used as « suggest » or « make a sign or indication »...it is usually not words but a practical line of conduct, something to do not to say...later when through increasing familiarity with Jewish and Christians ideas, he learned for ewemple as angels as messengers of God... »⁽¹⁾

لقد قام عدد من المستشرقين على مر العصور و تعاقبها بترجمة معاني القرآن الكريم ليس للاستفادة منه أو أفادة قومهم به -إلا القليل منهم- بل لخدمة مصالحهم، و تحقيق مقاصدهم لشن المزيد و المزيد من الهجمات كما سنرى لاحقاً، ولإثبات أنه كلام البشر، ولقد صرح الكثير منهم علناً ما يكتبون من ضغينة وحقد لنبينا الحبيب عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولكتاب الله المبجل، كقول جورج سيل: "أما أنَّ محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن، والمخترع الرئيسي له، فأمر لا يقبل الجدل، و أنَّ كان من المرجح أنَّ المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته

(1)Richard Bell "Mohammed's call to the Moslem world". Paperback edition Watt. January 1977. (P13-20)

هذه لم تكن معاونة يسيرة⁽¹⁾. كلام خطير لا أساس له من الصحة، فأين برهان هذا الرجل المفترى، و أين دليله في ذلك، فهو وأمثاله يتبعون كل المناهج، ويسلكون كل المسالك التي تخدم أغراضهم، فيخضعون بذلك النصوص القرآنية للفكرة التي يتبعونها، ويجرفون النصوص تحريفًا مقصودًا، أو يؤولون معنى النص حسب أهوائهم حين لا يمكنهم التحريف، و يتجاوزون كل ما من شأنه إثبات أن القرآن كلام الله، لا كلام البشر.

إنَّ أغلب محاولات المستشرقين لترجمة معاني القرآن الكريم باءت بالفشل، لا في أعينهم بل في أعيننا، لأنها تنطوي على تشويه و قصر متعمد، إلى جانب عدم إستيعابهم الكامل لمقومات اللغة العربية و أسرارها، فحرفوا بذلك كلام الله، و شوهوا مدلوله، و أوقعوه في عيوب وأخطاء فادحة، أبرزها أخطاء دلالية و لغوية و أخرى متعلقة بالنص القرآني من ناحية الرسم و ضبط الشكل و الأداء.

إنَّ ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، لم تتم بقصد المعرفة الخالصة أو الفهم المجرد، أو التفاعل والتكامل مع الآخرين، بل إنها تمت بقصد معرفة المواطن التي يمكن الوثوب منها عليه، أو البحث عما يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التركيز عليها لقهر "الآخر" وهزيمته والسيطرة عليه⁽²⁾.

يقول يوهان فوك في تأريخه للدراسات العربية في أوروبا: "لقد كانت فكرة التبشيري الدافع الحقيقي خلف إنشغال الكنيسة بترجمة معاني القرآن"⁽³⁾. ويضيف "هذه الفكرة التي أدت إلى الترجمة، قد شهدت توسعًا من خلال تنقلات الوعاظ الدينيين لطائفتي الدومنيكان والفرنسيسكان"⁽⁴⁾.

ويظهر هذا بجلاء من خلال أمور :

(1) إسماعيل محمد عزت، التبشير و الاستشراق، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1991، ص 54

(2) عبد الحميد مذكور، الترجمة والحوار مع الآخر، دار العلوم، القاهرة، 1996 م، ص 47.

(3) يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت، ص 14

(4) السابق، ص 22.

أولها : أنَّ أول نصوص مترجمة من القران إلى اللغات الأجنبية قد جاءت ضمن كتاب " الجدل " الذي ألّفه ابن الصليبي مطران ديار بكر، وهو مخطوط بالسريانية وموجود في كنيسة بطريكية السريان ببيروت (1).

الثاني: ما ذكره جورج سيل في مقدمة ترجمته للقران بأن الهدف منها هو تسليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيرية ضد الإسلام والمسلمين لأنهم وحدهم قادرون على مهاجمة القران بنجاح، وأن العناية الإلهية قد إدّخرت لهم مجد إسقاطه (2).

الثالث: أنَّ الكنيسة حرمت طبع أو نشر ترجمة القرآن، حتى إنَّ ترجمة بطرس الموقر ظلت حبيسة محفوظات دير كلويي، ولم يفرج عنها إلا بعد أربعة قرون (3).

لقد عمد المترجمون إلى تشويه ترجمة القران بإسنادها إلى مترجمين من الدرجة الثانية والثالثة ومعاملة النص القرآني معاملة مؤلفات بشرية، وذلك للحد من إمكان إقبال غربيّ على هذه الترجمات والإفادة منها، وبذلك تألّف حاجز نفسي عميق بين غير المسلم والقرآن، وكانت هذه الترجمات أحد أسباب سيول الأباطيل والمطاعن والشتائم التي ساقها كتاب التنصير ضد القرآن الكريم (4).

ويعدّد صالح البنداق وجوه تشويه ترجمات القران فيما يلي: (5)

1 . إزاحة الآيات من مكانها التوقيفي لتضليل القارئ، وإبعاده عن الإحاطة بحقيقة النص القرآني .

2 . الترجمة الحرّة، وتحاشي الترجمة العلمية إمعاناً في التحريف والتضليل، مما يترتب عليه تحوير المعاني وتبديلها، وعرض النص القرآني كما يراه المترجم، لا كما تقتضيه آياته وألفاظه .

(1) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القران الكريم ، دار الآفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت 1983 ص97 .

(2) أحمد عبد الحميد غراب ، رؤية إسلامية للاستشراق ، المنتدى الإسلامي، لندن ، 1411هـ ، ص35

(3) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القران الكريم ، دار الآفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت 1983 ص(95 - 96) .

(4) قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، دار الرفاعي، الرياض سنة 1983م، ص67

(5) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القران الكريم ، دار الآفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت 1983 ص(101 - 108) .

3. التقديم والتأخير والحذف والإضافة .

وتعود الترجمة اللاتينية الأولى للقران إلى " بطرس الموقر " التي تمت عام 1143م، اضطلعت فقط بتقديم مضمون الفكرة، ولم تكثر بأسلوب الأصل العربي وصياغته، وقام الدافع التنصيري حائلا أمام الوفاء بتحقيق هذا الغرض ⁽¹⁾ .

وقد كانت هذه الترجمة "المشوّهة" الأصل نبع الترجمات الأخرى، فمنها نبعت الترجمة الإيطالية الأولى التي أشرف عليها أرينفايني عام 1547 م ، وفي سنة 1616 م ترجم سالمون شفايجر إلى الألمانية عن الإيطالية، وعن الألمانية إلى الهولندية في سنة 1641م ⁽²⁾ . وعن هذه الترجمة اللاتينية الأولى، وضع الحاخام اليهودي يعقوب بن إسرائيل أول ترجمة بالعبرية عام 1634م ⁽³⁾ .

ومما يلاحظ أيضا على ترجمات المستشرقين إضافتهم إلى نصوص الترجمات "المشوّهة" للقران الكريم مقدمات تفسيرية وملاحق شارحة لا لمضمون النص المترجم، بل جدليات ضد أصالته وسخرية من محتواه، ومحاولات للحطّ منه .

أما الترجمات الفرنسية للقران، سواء اعتمدت على الترجمة اللاتينية الأولى أم على الأصل العربي، فإنها شوهت النص الأصلي وابتعدت عنه، كما تقول الباحثة هداية عبد اللطيف مشهور في دراستها حول ترجمات القران للفرنسية : " رجعت إلى خمس وعشرين ترجمة للقران بالفرنسية، فوجدتها كلها محرّفة، وتضيف نصوصًا من التوراة إلى آيات القران الكريم دون الإشارة إلى ذلك " ⁽⁴⁾ .

(1) يوهان فك، تاريخ حركة الاستشراق ، ترجمة عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت ، ص 11 .

(2) المرجع السابق، ص 18 .

(3) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القران الكريم ، دار الآفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت 1983 ، ص 96 .

(4) مجلة الحرس الوطني ، العدد 129، المملكة العربية السعودية، 1413هـ، ص37

وهكذا فقد تضمنت الترجمة اللاتينية الأولى " ترجمة بطرس الموقر " التي قام بها الراهب الإنجليزي روبرت الرتيبي والراهب الألماني هرمان الدالماني عددًا من المقدمات والملاحق سميت بمجموعة "دير كلوني"، وهي ⁽¹⁾:

1. خطاب بطرس إلى بيرنهارد "القديس برنار دي كليوفر".
2. مجموعة مختصرة من الوثائق الشيطانية المضادة للطائفة الإسلامية الكافرة .
3. مقدمة روبرت الرتيبي .
4. "تعاليم محمد" لهرمان الدالماني .
5. "أمة محمد ونشوزها" لهرمان الدالماني .
6. تاريخ المسلمين "أخبار المسلمين المعيبة المضحكة".

ولما انتهى الكاردينال يوحنا الأشقوبي الإسباني من ترجمة معاني القران إلى اللاتينية بمساعدة آخرين، وألحق بالترجمة جدلية ضد الإسلام بعنوان : "طعن المسلمين بسيف الروح"، وحينما نشرت مطبعة بتافيا بإيطاليا الترجمة اللاتينية ذائعة الصيت التي قام بها الراهب الإيطالي لودوفيجو مَرْتَشِي 1698 م بموافقة البابا أنوسنت الحادي عشر ، جاءت الترجمة في قسمين : يشتمل القسم الأول على النص العربي مع ترجمته اللاتينية، وحواشي جزئية للرد على بعض المواضع، ويشتمل القسم الثاني على كتاب " الرائد إلى الرد على القران" ⁽²⁾ .

أما ترجمة جورج سيل الإنجليزية التي ظهرت في لندن عام 1734م، وأعيد طبعها أكثر من ثلاثين مرة، فقد تضمنت مقدمة جدلية ضد القران، وصفت في أدبيات التنصير بأنها قيّمة، وأنها

(1) يوهان فك، تاريخ حركة الاستشراق ، ترجمة عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت ، ص 17 .

(2) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، طبع دار العلم للملايين، بيروت ، 1989م، ص 303

أفضل وصف موضوعي للإسلام و أصبحت هذه المقدمة إحدى الجدليات الأساسية التي يعتمد عليها التنصير في الجدل ضد أصالة القران الكريم ⁽¹⁾ .

وقد أسهمت مدرسة النقد التاريخي في الغرب، التي أسسها الكاثوليكي ريتشارد سيمون بكتابه "التاريخ النقدي للعهد القديم" عام 1678م بدور فعال في مجال دراسة القران ونقده، حيث تناولت بالدراسة مصادر القران من خلال بحوث كل من ريتشارد سيمون و يوهان سملر، والقس الألماني تلننج برنارد فيتر، و جان استروك، و كارل دافيد إيلجن، و دي فيته، و هيرمان هونفلد، و تيودور نولديكه، وفلهاوزن، في إكتشاف الوثائق أو النسخ التي شكلت مصادر كتابة التوراة على يد محرريها من اليهود ⁽²⁾ .

و فيما يلي إستعراض لأهم الترجمات الإستشراقية .

1- الترجمة اللاتينية:

يذكر المؤرخون أنَّ حركة الترجمة الاستشراقية يعود تاريخها إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، فأول ترجمة كاملة تلك التي دعا إليها ورعاها رئيس دير كلوني بطرس الطليطلي ⁽³⁾ وقام بها رهبان ريتيننا، وعلى رأسهم روبرت أوف تشتر الذي كان إنجليزي الأصل، وهرمان الدماطي من أصحاب صومعة "الدماطيا"، وراجع هذه الترجمة اللاتينية بيير دي بواتي، وتمت هذه الترجمة في سنة 1143م/528هـ.

وبقيت هذه الترجمة الخطية محفوظة في صومعة الراهب بطرس المذكور طيلة أربعة قرون، ثم طبعت في "بازل" سنة 1543م، وطبعت طبعة ثانية في بازل أيضاً في سنة 1553م، والذي

(1) إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، القاهرة 1964 م، ص 58 .

(2) محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، دار عين للبحوث والدراسات، القاهرة 1997م، ص

(3) أحمد غراب، الرؤية الإسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن، 1411هـ، ص 23 .

قام بنشر هذه الترجمة اللاتينية هوتودر بيلياندر، في ثلاثة أجزاء وكان لاهوتياً من زيورخ "سويسرة"⁽¹⁾.

وفي سنة 1689م، ظهرت الترجمة اللاتينية الأخرى التي قام بها مع النص العربي المستشرق لود فيجو ماراشي⁽²⁾، وأضاف ليوجي بعض الإقتباسات من التفاسير المختلفة، أختيرت بعناية لتعطي أسوأ إنطباع عن الإسلام للأوروبيين، وقدم لترجمته بجزء كامل، ضمّنه ما سمّاه "تفنيد مزاعم القرآن" يقول الشيخ عبد الله عباس الندوي: "إنه لا يعرف أحد من معاصريه، ومن بعده المراجع التي إستفاد منها أثناء عمله للترجمة، فلم يكن ثمة قاموس عربيّ أو كتاب عربيّ في مكتبته التي بيعت بعد موته، وكان مستشاراً للأسقف العاشر، وأهدى ترجمته إلى إمبراطور الروم ليولد الأول"⁽³⁾.

2- الترجمة الإيطالية الأولى:

بعد أن فتحت الترجمة اللاتينية باب الهجوم، توالى الترجمات الأوربية واحدة تلو الأخرى.

ففي عام 1547م ظهرت عن هذه الترجمة اللاتينية ترجمة إيطالية قام بها أندريا أريفابيني في فينيسيا⁽⁴⁾ وهي تقع في 150 ورقة من الحجم الصّغير، وإدعى المترجم أنّه إعتد على الأصل العربي للقران مباشرة لا عن الترجمة التي نشرها بيلياندر⁽⁵⁾.

3- الترجمة الألمانية الأولى:

(1) المرجع السابق، ص 114

(2) عبد الله عباس الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند العرب، دار الفتح، جدة، 1392هـ، ص 29.

(3) المرجع السابق، ص 30

(4) عبد القهار العاني، الاستشراق والدراسات الإسلامية، دار الفرقان، الأردن 1421هـ، ص 24.

(5) المرجع السابق، ص 51.

كانت ترجمة أريفابيني الإيطالية مصدراً لأول ترجمة ألمانية قام بها سلمون شفايجر، الذي كان قسيساً واعظاً كنيته فراون كيرشة، في نورمبرج سنة 1616م، وهذه الترجمة الألمانية بطبعة شفايجر أعيدت طباعتها في عام 1623م، ثم عام 1659م، ثم عام 1664م⁽¹⁾.

4- الترجمة الهولندية الأولى:

كانت الترجمة الألمانية الآنف الذكر مصدراً لأول ترجمة باللغة الهولندية، وقام بها رجل مجهول عام 1641م، وطبعت في هامبورج، وهذا يعني أن هناك ثماني طبعات في أربع لغات كلها من مصدر واحد، وهي ثلاث طبعات باللاتينية، وثلاث بالألمانية لشفايجر، وواحدة بالإيطالية وواحدة بالهولندية⁽²⁾.

5- الترجمة الفرنسية الأولى:

قام المستشرق أندريه دي ريبور المولود عام 1580م ، والذي كان قنصلاً في الإسكندرية بمصر، بترجمة لمعاني القرآن الكريم في جزأين، مدّعياً أنه يجيد اللغة العربية، وأنه تحمل مشقة أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الفرنسية، كأول ترجمة للقران الكريم، ثم تساءل الدكتور عبد القهار: هل دي ريبور ترجم حقاً عن العربية ؟ أو كانت مصادر أخرى تعينه على ترجمة النص العربي بالصورة الرهيبة الممزقة التي وصل إليها؟ وهل كان على غير علم بالترجمات التي ظهرت قبلها في اللغات الأوربية؟ وهل يُعد عمل دي ريبور بداية في ذاته مثل ترجمة دير كلوني دون التأثير بالترجمات التي سبقته؟ ومهما كان الأمر فإن ترجمة أندريه دي ريبور هي الأولى في اللغة الفرنسية، قام بوضعها سنة 1647م⁽³⁾.

ويقول الدكتور عبد الرحمن بدوي في موسوعته: "إنّ هذه الترجمة الفرنسية نقلت إلى لغات أخرى، الإنجليزية والهولندية، ومن الهولندية إلى الألمانية أيضاً"⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق، ص52.

(2) المرجع السابق، ص 55

(3) المرجع السابق، ص56

(4) عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م، ص305

7- الترجمة الإنجليزية الأولى:

طُبعت لأول مرة ترجمة إنجليزية في عام 1649م، منقولة عن ترجمة فرنسية في مطبعة يونيفرسل بإنجلترا، وكانت تصدر مجزأة إلى عام 1688م، بدأ بترجمتها إلى الإنجليزية ألكسندر روز، ثم تبعه رتيبور، وسماها ألكسندر "قرآن محمد" وطُبعت هذه الترجمة بكاملها في عام 1718م في لندن⁽¹⁾.

أما أقدم ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن الكريم من اللغة العربية مباشرة، فهي التي قام بها "جورج سيل"⁽²⁾.

ولكون السبب الحقيقي لوضع ترجمات القرآن هو نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم، كان موقف المستشرقين في ترجماتهم حياله الإنكار الشديد والرفض التام، والإفتراءات المتعددة المتمثلة أساساً في "أنه ليس وحياً، وأنه ليس فيه إعجاز، وأنه يحتوي على التكرار والتناقض، وأنه مستمد في معظمه من اليهودية"⁽³⁾، وما إلى ذلك من الأوصاف التي لا تليق بكلام الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما جاء في قوله تعالى "إِنَّ هَذَا إِلَّا فِكَ افْتِراءه وَأَعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً" (الفرقان:4).

أضف إلى ذلك ترجمة المستشرق رودويل، حيث ظهرت الطبعة الأولى من ترجمته عام 1886م 1304هـ، وقد أحدث هذا المترجم بدعة في المنهج القرآني المؤلف، فقد رتب السور على ترتيب زمني حسب نزولها، "فبدأ بسورة العلق، وإختتم بسورة المائدة، وزعم أن هذا الترتيب التاريخي يعطي صورة صحيحة واضحة لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العقلية، والتطورات الجارية في النظريات القرآنية"⁽⁴⁾.

(1) عبد الله عباس الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند العرب، دار الفتح، جدة، 1392هـ، ص32.

(2) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(3) المرجع السابق، ص38.

(4) المرجع السابق، ص (39-40).

كثرت الترجمات وتعددت على مد العصور، وزعم أصحابها أنهم ترجموا معاني كتاب الله بجدارة، جدارة إنتسبوا إليها عنوة، مع أنّ أغلبهم فشل في هذه المهمة الخطيرة والدقيقة في آن واحد، فكانت ترجماتهم حرة، غير ملتزمة بأي قوانين أو شروط، موافقة لأهوائهم من حيث التصرف في النصوص بالتقديم والتأخي، بل إنّ بعضهم قد إستنبط مبادئ إسلامية أساسية من خلال ترجماته، كما حاولوا البحث عن القراءات الشاذة لإلتخاذها ذريعة لإدخال الشك في توثيقية القران - كما سأبينه لاحقا في تعليقاتي على مقدمة دونيو ماسون- فنشرت بذلك ترجمات مضللة تنطوي على الحقد والتعصب للإسلام والمسلمين، بإثبات أنّ هذا الدين دين عنف وكراهية وظلم خاصة إتجاه المرأة، وذلك بالتركيز على الآيات التي تدعي مثلا إلى ضربها حين نشوزها، دون تبيان كيفية هذا الضرب، والحدود التي وضعها الشرع في ذلك، وأنّ الغاية منه هو ترهيبها لا أذيتها وتعذيبها، كذلك الحال عندما يكون الأمر متعلقا بآيات تعطي المرأة نصف حق الرجل في الميراث، فيسلط الضوء على عدم عدالة المولى جلّ في علاه، الذي يتنزه بعظمته عن كل هذا، وآيات أخرى من تلك التي تعتبر شهادة الرجل كشهادة إمرأتين، فيتهم الإسلام بالإجحاز للرجل، والإنتقاص من عقل المرأة، و غيرها من الأمور المشينة لديننا الحنيف، الذي يترفع عن هذا كله فيهملون بذلك الأصل الذي يتمثل في تكريم المرأة تكريما غير مسبوق، ذلك بإعطائها الحق في الميراث أساسا و الحق في المبايعة أوالانتخاب بمفهومنا المعاصر الذي لم تعرفه أوربا "المتحضرة" إلا مع حلول الخمسينيات من القرن الماضي.

كما يؤخذ على تراجم المستشرقين -في أغلبها- أنّ أصحابها يستهلون تراجمهم لمعاني القران الكريم بوضع مقدمات، تشمل على مدح النبي صلى الله عليه وسلم والتشهير به، للإيجاء أنّ هذا الكتاب من صنعه هو، لا وحي من المولى عز و جل، فيظن القارئ غير العربي، أنه كلام موجود في القران المنزل باللغة العربية، وأنّ المترجم لم يقم سوى بترجمته، فيقع الناس بذلك في شباك أولئك المستشرقين الكائدين، الراغبين في تبيان أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم قد إستهل كتابة "القران الكريم" بمدح نفسه و الشناء عليها، حشاه صلى الله عليه وسلم، بل إنهم تجرؤوا أحيانا

حتى على حذف بعض الآيات التي تعطي لمحمد صفة البشرية، أو تلك التي تظهر عدم علمه بالغيب، إلى غير ذلك من الألاعيب التي من شأنها المساس بهذا الكتاب المبين، المنزه عن كل سوء و نقص.

إنَّ خطورة هته الترجمات المزيفة لمعاني القرآن الكريم لا تتمثل في تحريف الترجمة في حد ذاتها وحسب، بل تؤدي إلى عدم إمكانية تبليغ القرآن للناس كافة عبر أرجاء المعمورة على نحو صحيح، فيقف الإسلام هنا في مفترق صعب أمام خصومه، متصديا لحملاتهم المغرضة، لكنه إن شاء الله منتصر، لأنَّ ليس لإعدائه سوى عدة سلبية لا يعتمدون فيها على حجة أو بناء فكري صحيح، بقدر ما يعتمدون على ضعف العقائد، في عهد طغت المادية فيه على العقول والضمائر.

"إنَّ كتابات هؤلاء أشد خطرا على القارئ من كتابات المؤلفين الذين يكشفون بالعداء ويشحنون كتبهم بالكذب والإفتراء، ويصعب على رجل متوسط في عقليته أن يخرج منها أو ينتهي في قراءتها دون الخضوع لها"⁽¹⁾.

إنَّ من أبرز خصائص هذه الترجمات الإستشراقية :

- نبعها من قلوب حاقدة وهواة مغرضين، لم يكونوا أمناء مخلصين، فغلبت عليهم العاطفة الدينية على الحقائق العلمية، فكان التنصير ومحاربة الدين هما الأساس والدافع الرئيسي لوضعهم الترجمات الإستشراقية.
- رداءة غالبيتها لغة وأسلوبا.
- ويمكننا القول إنَّ عدم التمكن في اللغة العربية كان أحد أسباب ضعف الترجمات الإستشراقية، وبهذا ظهرت آثار ضعف المعرفة باللغة العربية في الأخطاء النحوية والصرفية التي حشوا بها ترجماتهم الإستشراقية .

(1) المرجع السابق، ص 20.

ولكن السؤال الذي أريد هنا طرحه بإلحاح، هو أين هي مؤسساتنا الإسلامية من ذلك كله ؟ أين هي غيرتنا على هذا الدين التي تحقق له المناعة الفكرية، حتى لا يكون هناك عبث بكتابنا الكريم، لأن ما يفعله هؤلاء المستشرقون لا يدخل بأي حال من الأحوال في إطار حرية الفكر أو التعبير، أوحى البحث العلمي كما يزعمون، لأنهم و بكل بساطة يشوهون واقعا، فالفكر السليم يبنى على غزارة المعرفة الصحيحة و سلامة المنطق، و من ثم تكون الترجمة ذات طابع موضوعي بحث لا نتاج من ضلالات وأكاذيب وإفتراءات وضلالات كقوله تعالى: "كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا" (الكهف5)، تنبع من أن أغلب الشخصيات الإستشراقية كانت متخصصة في الشرقيات عامة، والإسلاميات خاصة، فإستحوذ عليهم التنصير في تفكيرهم و كتاباتهم، ومن ثم ترجمتهم لمعاني القران الكريم، فغلبت على أعمالهم الروح التنصيرية التي لا يمكنه التحرر منها، مهما حاولوا التظاهر بالموضوعية والمنهجية، وبرزت عندهم البصمات اليهودية، وكأنهم يحاولون جعل اليهودية أو المسيحية مصدرا للإسلام عنوة، ومنبعه و صاحب الفضل عليه، و بذلك طغت على أفكارهم عدم النزاهة، فجاءت أبحاثهم مليئة بالأخطاء الشنيعة المتعمدة في أغلب الأحيان.

و قبل خضوعي في إعداد هذا البحث، كنت أظن أن هؤلاء المستشرقون الذين ينتقدون القران، و ينفرون الناس منه، قد إرتكبوا أثناء محاولاتهم لترجمة معاني القران، أخطاء عادية لا ينجو منها جهد بشر كان، أما هذا الجهل الفادح، والعناد الكبير، و سوء النية التي إلتصبتها، فهو في حقيقة الأمر شيء لم يكن يخطر ببالي، حتى أنني بعد قراءة بعض الترجمات الشهيرة أردت تسمية معظمها " بالمهزلة الإستشراقية"، مهزلة لأنني ظننت أنه كلام حتى و إن لم يوافق إعتقادي فهو كلام موزون، و تحليل معقول، و وجهة نظر مغايرة، لا جراءة جاهلة يتنبؤ لها القارئ من خلال عشرات الأمثلة، الشيء الذي صدمني، و خيب ظني أيما تخيب، ولكن لا يتسع المجال لذكرها هنا، كون الدراسة لا تنصب على تحليل ترجمات لمستشرقين مشهورين، وبحثي من شأنه

دراسة ترجمة مستشرق فرنسية ألا و هي " دونيز ماسون " وذلك في الفصل الثالث من رسالتي هته.

لقد توصلت في نهاية هذا المبحث إلى نتيجة مفادها أنّ ترجمة المستشرقين لمعاني القران الكريم ذات خطورة عظيمة، محدقة بالأمة الإسلامية ودينها وكتابها، فيجب على المسلمين الحذر والانتباه حول هذا الموضوع إنتباها بالغا، ولقد آن الأوان لأن تخضع كل هذه الترجمات للمراجعة من قبل منظمة إسلامية، تكون مسؤوليتها الدفاع عن القران، وملاحقة أعدائه الذين يتربصون له، وينتهكون حرمة، حتى لا يستطيع أحد أن يدّعي نيله من الإسلام، بما يلصقه به من تحريف وتشويه، وحتى يعلم هؤلاء الماديون، أنّ من أبرز قوانين العقل، أنّ الشكوك لا تبطل شيئا إلا إذا كانت قاطعة بطلانه.

المبحث الثاني: الترجمات الإسلامية و شبه الإسلامية لمعاني القرآن الكريم

يفترض بالترجمات الصحيحة لمعاني القرآن الكريم توجيه الناس وإرشادهم إلى خالقهم عز وجل، وتعريفهم به وبما يجب عليهم إزاءه تعالى من إعتقاد وعبادة وأخلاق، وتعريفهم بالإسلام حتى يمارسوه على الوجه الصحيح. وتحقق الترجمة الإسلامية المتحلّية بالضوابط الصحيحة جملة من الأهداف أهمها تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة على إختلاف أجناسهم وألوانهم وألسنتهم وثقافتهم.

1- الترجمات الإسلامية :

إنَّ أول ترجمة إسلامية كانت للدكتور عبد الحكيم خان، طبعت في مدينة بتيالا بالهند، عام 1905م - 1323هـ، وكان المترجم من أنصار القاديانية وأتباعها ثم عاد إلى الإسلام من جديد⁽¹⁾.

وذكر الدكتور وجيه حمد عبد الرحمن في بمقالة له وجدتها على الإنترنت بعنوان " وقفة مع بعض الترجمات الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم " ⁽²⁾، أنه من الترجمات الإسلامية الشهيرة ترجمة محمد أسد المسلم النمساوي، المعروف بمؤلفاته القيمة، وحيث إنه أوروبي الأصل والثقافة وعاش مع الإنجليز لفترة طويلة، فقد صارت مقدرته في اللغة الإنجليزية كبيرة، وكذلك معرفته باللغة العربية ، لأنه

(1) المرجع السابق ص 102

(2) موقع تفسير.

تلقاها من الأساتذة العرب، وعاش معهم طويلاً وبخاصة مع عرب الجزيرة وتشبع بروح الأدب العربي.

وبالرغم من أسلوب الترجمة الرفيع -يقول صاحب المقالة- وضلوع المترجم في اللغتين، إلا أنه قد تأثر بمنهج التأويل في تعليقاته، وترجمته لبعض الآيات التي تنطوي على معجزات وإرتكب أخطاءاً جسيمة، منها إنكار المعجزات جملةً وتفصيلاً، فيرى أنّ نزول الملائكة لنصرة المسلمين في بدر، تعبير مجازي يراد منه تقوية المسلمين وتشجيعهم، ورفع معنوياتهم، كما يفسر الثابت بالقلب الذي فيه سكينة.

فبعد ترجمته لإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى في الآية الكريمة: "ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين" (آل عمران 49)، قال مايلي :

"And (will make him) an apostle unto the children of Israel I shall fashion out of clay as it were, the shape of your destiny, and then breathe into it so that it might become (your) destiny by God's leave, and I shall heal the blind and the leper, and bring the dead back to life by God's leave and I shall let you know what you may eat and what you should store up in your houses. Behold, in all this there is indeed a message for you, if you are (truly) believers."

يقول المترجم حسب ما جاء في مقالة الدكتور وجيه حمد عبد الرحمن : "إنه من الجائز أن يكون إحياء الموتى بواسطة السيد المسيح تمثيلاً مجازياً، بمعنى إعطائه إياهم حياة جديدة، فإنهم كانوا ميتين روحياً، ويضيف أنه إذا صح هذا التأويل - وإني لواقف من صحته - فإبراء الأعمى

والأبرص يحمل معنى مماثلاً، وهو إبراء المرضى من الأمراض الباطنية لأنهم كانوا مرضى روحياً وعمياً، لا يرون ما هو الصدق.

و لقد قمت في التفكير في هذا القول، وخلصت إلى القول أنه من غير الممكن أن يكون صاحب هذه الأفكار ذو عقيدة سليمة، لأنه من المعروف - كما جاء في القرآن الكريم- أنَّ عيسى عليه السلام أعطي كرامات بإحياء الموتى بإذن الله، و إبراء الأبرص بإذن الله، إلى ما ذلك من معجزات بالمعنى الحقيقي للكلمة، والتي نسلم بها كمسلمين، لا مجازاً كما يدعي المترجم. ولذا يجب توخي الحذر في التعامل مع ترجمة شخص يعطي للآيات قرآنية - متفق على معناها - تفسيراً وضعياً بمقياس بشري.

وأول ترجمة -إستناداً لمقالة الدكتور وجيه حمد عبدالرحمن- قام بها مسلم إنجليزي الأصل هو محمد مارماديوك، إعتنق الإسلام، وعاش بين المسلمين، وقد تعلم العربية والقرآن في مدينة القدس. وطبعت هذه الترجمة لأول مرة في لندن عام 1930م-1349هـ، وأعيد طبعها عام 1948م - 1368هـ وفي نيويورك عام 1931م - 1350هـ، وتولت مطبعة في حيدر آباد طبع هذه الترجمة مع النص العربي في مجلدين عام 1938م - 1357هـ، ولا يزال يُعاد طبعها في مختلف العواصم الغربية والمدن الهندية والباكستانية، إضافة إلى رابطة العالم الإسلامي التي طبعتها في مكة المكرمة.

ومن الترجمات التي أطراها الكثير من العلماء والباحثين والتي تلقى رواجاً في الأوساط الإسلامية الدولية، ترجمة عبد الله يوسف علي.

يقول الدكتور حسن المعاييرجي : "والترجمة الإسلامية المصدر، والأوسع إنتشاراً، هي ترجمة عبد الله يوسف علي ومحمد مرمدوك بكثال، وترجمة أبي الأعلى المودودي، وآخرين من علماء

الهند. وقد أصبحت ترجمة عبد الله يوسف علي هي التي يعتمد عليها في الدعوة والنشر حتى الآن لحين ظهور تفسير أو ترجمة للمعاني أوفى وأشمل" (1).

ولكن يواصل فيقول: "...وكانت ترجمة معاني القران للشيخ عبد الله يوسف علي رائدة لي في هذا العمل، فكنت أقرأ هذه الترجمة آية آية، ثم أستمع إلى شرح الحاج عمر ميتا، ولكن سرعان ما إكتشفت أن ترجمة عبد الله يوسف علي لا تخلو من الأخطاء، وأنها ترجمة بيانية منظومة نظماً حراً. وقد أباح المترجم الفاضل لنفسه في ترجمة معاني بعض الآيات، تقديم بعض الكلمات وتأخيرها عن محلها في القرآن الكريم، وذلك رعايةً للنغم الموسيقي" (2).

2- الترجمات شبه الإسلامية :

بعد غزو الإنجليز للهند، وضياح سلطان الدولة التيمورية التي أسسها المغول في القرن السادس عشر الميلادي، وجد الإنجليز أنفسهم أمام مالا يقل عن خمسين مليون مسلم، وأدركوا وهم يخططون لإستغلال البلاد في هذه الأرض الشاسعة، أنه لا قبل لهم بمجابهة المسلمين بالرغم من فقرهم وقلة ما في أيديهم، فأعدوا العدة للقضاء على روح الإسلام في هذه البلاد. وظهرت حركة "الميرزاغلام أحمد" الذي نشأ في قرية قاديان، وتسمت الحركة التي يتزعمها، والدور الذي أداه نسبة للقرية التي ولد فيها "القاديانية" (3).

و تبدأ دعوة الميرزاغلام أحمد من مرحلة إدعاء أنه المسيح المهدي، إلى ادعائه النبوة بل وإلى ما فوق النبوة فنراه يتكلم على الإلهام والعلم الباطني، والعلم اليقيني كمنزلة طبيعية يصل إليها الإنسان بلزوم متابعة النبي والفناء فيه، ويتكلم على صفات النبوة وخصائصها من غير أن

(1) حسن المعايير، الهيئة العالمية للقران الكريم ضرورة الدعوة والتبليغ، مطابع الدوحة، قطر، 1991م، ص 82.

(2) المرجع السابق، ص 7.

(3) عبد الله عباس الندوي، ترجمات معاني القران الكريم وتطور فهمه عند العرب، دار الفتح، جدة، 1392هـ، ص 79.

يصرح بكلمة النبوة والنبى التي تجمع هذه الخصائص والصفات، وحصول ذلك لأفراد الأمة عن طريق التبعية والوساطة، ولم تكن النتيجة الطبيعية لهذا المنطق وهذه المقدمات إلا أن يدعي الميرزا غلام أحمد النبوة ويصرح بها⁽¹⁾.

ومن معتقدات القاديانية حسب المرجع السابق ذكره، الزعم بأن عيسى عليه السلام هاجر بعد موته الظاهري إلى كشمير في الهند، لينشر تعاليم الإنجيل في البلاد. وأنه توفي بعد أن بلغ من العمر مائة وعشرين عاماً، وأن قبره لم يزل هناك، وأن الميرزا غلام أحمد هو المهدي والنبى، كما أن القاديانيين يزعمون بأن المعجزات التي ذكرها القران الكريم ما هي إلا من قبيل المجاز والتعبيرات الرمزية⁽²⁾.

ومن الترجمات القاديانية الذائعة الصيت كما ذكر الدكتور عبد الله بن عباس الندوي، ترجمة محمد علي اللاهوري، وترجمه غلام فريد، وترجمه سيد ظفر الله خان. كما صدرت ترجمة لخواجه كمال الدين بإسم "التفسير العصري للقران الكريم" طبعت في لندن عام 1948م - 1368هـ. ويحوي هذا التفسير النص القرآني بالخط العربي، ثم يليه النص القرآني بالحروف اللاتينية، ويليه الترجمة لكل آية مرقمة، وعلى الحاشية تفسير عام حسب مرئيات المترجم ومعتقداته الخاصة، فقد أول الآيات بتأويلات بعيدة كل البعد عن الصحة ومما قال: المراد بالدخان، هو دخان القاطرات التي تجر العربات على سكة الحديد⁽³⁾.

ترجمة محمد علي اللاهوري :

طبعت هذه الترجمة بإسم "القران المجيد" ست طبعات في وكنج بإنجلترا، والسابعة في لندن، فظهرت الطبعة الأولى عام 1916م - 1335هـ، حيث لم يكن بين المسلمين - كما يقول الدكتور عبد الله بن عباس الندوي - ترجمة واضحة باللغة الإنجليزية لعالم مسلم، أو منسوب

(1) المرجع السابق، ص 81

(2) المرجع السابق، ص 84

(3) المرجع السابق، ص 88

للإسلام برسالة القران الكريم، فتلقاها المثقفون المسلمون بإستحسان عظيم. وقبل أن تظهر ترجمتا بيكثال وعبدالله يوسف علي، كانت هذه الترجمة تعد ممثلة وجهة نظر المسلمين، الذين تشبعوا بروح الثقافة الغربية نحو القران⁽¹⁾.

ترجمة ظفر الله خان :

طبعت هذه الترجمة في مطبعة كورزون في لندن عام 1371هـ تحت إسم "القران" وقد حوت هذه الترجمة جملة من الأخطاء العقديّة المتمثلة في الآراء الشاذة منها⁽²⁾ :

- تأويل المعجزة

- إنكار وجود الجن باعتبار كونهم خلقاً آخر، حيث يعتقد المترجم أنهم قوم من الإنس من الطبقة الأرستقراطية وهم لا يعيشون عامة الناس.

- الزعم بأنّ "الشيطان" عبارة عن تعبير مجازي للنفس الأمّارة بالسوء.

(1) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(2) المرجع السابق، ص 96

الفصل الثالث:

رحلة دونيز ماسون مع كتاب الله الكريم

- 1- منهج المستشرقة في الترجمة وأسلوبها فيها
- 2- من أخطاء دونيز ماسون في ترجمتها لمعاني
كتاب الله

لم تنجح معظم ترجمات معاني القرآن الكريم في إقترابها من التعبير عن المعنى المقصود من آيات الله، ولكن إذا ما قومت الترجمات الذائعة الصيت والواسعة الانتشار، وصححت أخطاءها لكان ذلك من أجدى الطرق الكفيلة بتحسين صورة الإسلام، وبيان حقائق القرآن ومعانيه الصحيحة.

ولما كانت ترجمة المستشرقة الفرنسية **دونيز ماسون** لمعاني القرآن الكريم -محل دراستي- من أبرز المحاولات المعاصرة التي لقيت صدى واسعا، وتوفية إعلامية هائلة، ومباركة من الأزهر الذي أعدها من أحسن المحاولات، حسب ما قرأته على الإنترنت، كوني لم أجد غيره سبيل (من كتب و غيرها) في التقصي حول صدى هذه الترجمة في العالم الاسلامي، فإنَّ تقويمها وإبداء ملاحظات عليها ليس بالأمر الهين بمكان، ويتطلب النظر في كيفية تعامل المستشرقة مع المعاني والألفاظ القرآنية بكل ما تتضمنه، ثم إستعراض الطريقة المتبعة في نقل الآيات القرآنية، بما تحمله من معان وإيجاءات و بيان وتركيب. وهذا ما سأحاول في هذا الفصل بإذن الله فحصه ودراسته وتصنيفه بعد إستعراض بعض مواقف المترجمة من القضايا القرآنية التي تطرقت إليها في مقدمة عملها.

من النقاط الإيجابية التي تحسب للمستشرقة إعتدالها وموضوعيتها في أغلب الأحيان، و التي لمستها في الترجمة، على الرغم من مواقفها من الإسلام التي لا تخلو من الإنتقاد طبعاً - كما سأبينه لاحقاً- إلا أنها بالمقارنة مع غيرها لا تباشر التهجم وتشويه الحقائق بصورة تصدم المشاعر، وتقوض البدايات والمسلّمات التي نؤمن بها.

إلا أنه، وبالرغم من إشتهار هذه الترجمة ومدحها من طرف الأزهر أوحى من قبل أصدقاء لها مقربين كما سيأتي بيانه في المقدمة، فإنني أرى بعد قراءة الترجمة ودراستها، أنها قد تبوّأت مكانة وشهرة لا تستحقها البتة، فأطلقت عليها أحكام جدّ إيجابية وتبجيلية من دون تفحص مضمونها، لأنه ما شاع من أن ترجمة هذه المستشرقة الفرنسية تعد أقرب ما تكون إلى الصواب أمر غير صحيح كما سأنسبته لاحقاً، وهي إشاعة قائمة على أسباب غير موضوعية ولا علمية، فالدراسة المتأنية والدقيقة للعمل التي قمت بها، تدل بوضوح على أنّ ثمة أخطاء فظيعة، ونواقص كثيرة إحتوت عليها الترجمة، تجعل من الصورة الرائجة عنها أمراً غير صحيح، لذلك فإنَّ واجب

تصحيح المفاهيم السلبية، والإجتهادات الخاطئة، والمحاولات المغرضة لقلب الحقائق، يفرض الفحص الموضوعي الجيد، والتقويم العلمي الصحيح، المدعم بالأدلة والبراهين الموثقة كما سأفعله فيما يلي.

إنَّ مقدمة ترجمة ماسون لمعاني القرآن الكريم تعدّ ذات تأثير خطير في أفكار كل من يقدم على قراءة الترجمة مصحوبة بهذه المقدمة وبخاصة بالنسبة لغير المسلمين، وبالتالي لم أكن لأقوم بدراسة وتحليل ترجمتها لمعاني كتاب الله بمعزل عن هذه المقدمة لأنها تعبير جلي عن كثير من معالم تفكيرها، وموقفها تجاه القرآن الكريم، وهي أفكار وآراء لا تعبر بتاتا عن صورة تلك المستشرقة المعتدلة و الموضوعية التي حاول البعض إبرازها .

إنَّ المدقق في هذه المقدمة التي أريد إعطاءها صفة التحايل واللباقة في آن واحد، يظهر له أنَّ المستشرقة مزجت بين أسلوب الطعن والإعجاب ببعض القضايا القرآنية، وفي عملية المزج هذه ما لا يخفى من التمويه على القارئ من جهة، وإرضاء أصدقائها وقرائها من المسلمين ربما من جهة أخرى. فمقدمة المترجمة تحمل الكثير من العبارات المشبوهة التي تعكس أسلوب التشكيك الذي إنتهجته في الوثوق بالقرآن الكريم ومصدره، كقضية ترتيب الآيات والسور مثلا بما يثير التساؤلات الغريبة والإشكالات المثيرة في ذهن.

أعتقد أنه من المستحيل على مستشرق أعجمي أن يدرك الإعجاز القرآني في تلك العلاقة الدقيقة للآيات بعضها ببعض، والتي تبرز لنا نظاما معجزا لا يمكن لبشر أن يأتي به، ولعلَّ ما أشار إليه بدر الدين الزركشي، لخير تعبير عن هذا حين قال: "لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تُطْلَع على أنه توقيفي صادر عن حكيم، أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم، وثانيها: موافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة.." (1)

(1) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، المجلد 1، ص12

*التعريف بالترجمة وبمنهج المؤلف فيها :

- إسم المترجمة: دونيز ماسون

- عنوان الترجمة: القرآن.

- تاريخ الصدور: ظهرت ترجمة دونيز ماسون المعنونة "القرآن" بتاريخ 1967م في فرنسا.

- محتويات الترجمة:

في النسخة المعتمدة في هذه الدراسة ، بلغ عدد الصفحات أكثر من 900 صفحة مقسمة على جزئين، إحتوى الجزء الأول حوالي 500 صفحة، والثاني حوالي 400 ، وتحتوي الترجمة على ما يأتي:

- مقدمة للكاتب و المترجم "جون جروجون" Gean Grosjean .

- فهرس يضم :+

- الوحي كما يفهم عند الأديان الموحدة الثلاث.

- الميلاديين.

- النبي محمد.

- القرآن.

- يلي هذا بيان لكيفية كتابة الأحرف الهجائية باللغة الفرنسية، الذي إرتأته المترجمة، ثم يتبع

بملاحظات عامة حول الترجمة، يلي ذاك النص المترجم، ثم قائمة بالمختصرات المستخدمة في

النص، فالحواشي ، فالفهرس المفصل.

الكتاب كما سبق وأن ذكرت مطبوع في جزئين، بحجمين صغيرين، يحمل الجزء الأول في

واجهته الأولى "بسم الله" مكتوبة باللغة العربية، في حين تحمل الواجهة الأخرى ترجمة معاني

آيات قرآنية من سورة البقرة، تشير إلى جزاء المنفقين أموالهم في سبيل الله، ومرضاة له. أما

الواجهة الأولى من الجزء الثاني، فكانت تكملة لـ "بسم الله" الواردة في الجزء الأول بـ "الرحمن

الرحيم"، بينما حملت الواجهة الثانية، ترجمة معاني آيات من سورة الشعراء، وأخرى من سورة النمل، تظهر جميعها ماهية القرآن وأهميته، وخصوصية نزوله بلسان عربي مبين. فلنفتح الكتاب جزءا جزءا، و نرى ما فحواه.

تستهل الترجمة التي تحمل إسم "القران" في جزئها الأول بتوطئة لـ جون جروجون (شاعرو مترجم)، يهديها إلى صديقه ماسون، يعبر فيها عن ما يخالجه من شعور إتجاه القرآن الكريم عامة و ترجمة دونيز ماسون خاصة، فيستهل القول بأنّ القرآن الكريم كتاب مقدس، موجه أولا للذين يفهمون لغته، ولكنه من الإستحالة عدم إنتشاره بين أمم أخرى، و من هنا يأتي دور الترجمات للقيام بهذا الدور-حسب قوله- مع خطر إخفاقها و فشلها، مع مدحه ترجمة ماسون التي دامت على طول ثلاثين سنة من التفكير و التدبير على أرض المسلمين، والتي كان ينتظر بثقة إتمامها.

« Un livre sacré s'adresse d'abord à ceux qui savent sa langue. Mais il ne peut s'empêcher de rayonner plus loin qu'elle. Alors commencent les traductions à leurs risques et périls. Celle qu'on va lire est due à trente ans d'attention au texte en terre d'Islam. Louis Massignon l'attendait avec confiance »⁽¹⁾

إنّ القرآن بجماله ورونقه الأمتناهيين، يقول جروجون ليس شعرا، وإنّ ميلاده كان معجزة، فهل بمقدور أي مترجم تكرار معجزة؟ كل ما يمكنه القيام به هو إنتاج صدى هذه المعجزة.

« Le Coran malgré ses envoutantes beautés n'est aps un poème. Sa naissance fut miracle. Est-ce qu'un traducteur peut refaire un miracle ? Il peut du moins en livrer le reflet ».⁽²⁾

إنّ ترجمة ماسون تختلق فواصل وقافية وتضع أحيانا أسماء مكان ألقاب لكي لا نتوه.

« Sa traduction invente une ponctuation et remplace parfois les pronoms

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P9

(2) المرجع السابق، الصفحة نفسها

par des noms pour éviter que nous soyons perdus »⁽¹⁾.

و ينوه ماسنيون أنه قد تم تلقي كلمات النبي هته كما فعل مع من سبقه.

Notons que les paroles du Prophète ont été recueillies comme celles de ses prédécesseurs »⁽²⁾

و يختتم جروجون توطئته بالقول أنه مهما يكن، فالقران هو أولا كلام موجه للقلب، تبقى لغته وستظل منارة لمن يسمعها، وينصت إليها.

« Quoi qu'il en soit, le Coran est surtout une parole intérieure. Son langage reste un dévoilement pour ceux qui l'écoutent »⁽³⁾.

تعليقاتي على ما سبق:

1- تصريح جروجون أن القران موجه أولا للذين يفهمون لغته، قول باطل، منافي لمراد الله سبحانه في تنزيله، إذ قال جل شأنه "وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أمم القرى و من حولها"(الشورى7) أي العالم أجمع، أضف إلى ذلك أن محمدا صلوات ربي وسلامه عليه، قد بعث للناس كافة لقوله تعالى "و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا "(سبا28)، وقال سبحانه : "قل يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعا" (الأعراف158).

إذن، فنبينا محمد عليه الصلاة والسلام قد جاء بهذا الكتاب للعالمين جميعا على حد سواء، و بالتالي هو ليس موجه إلى العرب بالدرجة الأولى، و بقية الناس بالدرجة الثانية حسب ما يدعي بهتانا جروجون، إنما هو قران مجيد، جاء ليخرج الناس كافة من الظلمات إلى النور، ويهديهم صراطا مستقيما.

2- مدحه ترجمة دونيز ماسون يبقى رأي خاص به، فلربما تطابقت ووجهات نظره هو، ووافقت

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967 , P10

(2) المرجع السابق، الصفحة نفسها

(3) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P11

أفكاره، إذ كان من الواجب في نظري ترك الحكم للقارئ وحده، وعدم التأثير على رأيه، سواء إيجاباً أو سلباً.

4- و صف جروجون نزول القرآن بـ "الميلاد"، وكأنَّ القرآن مولود كأبي مخلوق آخر، وهذا غير صحيح، فالقرآن الكريم لم يولد بل هو كلام الله عز و جل المكتوب في اللوح المحفوظ، الذي نزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، لقوله سبحانه في سورة القدر "إنا أنزلناه في ليلة القدر" (القدر 1) ومن ثمَّ كان يتنزل على نبينا صلى الله عليه و سلم على مدى ثلاث و عشرين سنة من الوحي حسب الأحداث و المناسبات. وسبق وأنَّ أشرت إلى أنَّ أهل السنة و الجماعة يقولون أنَّ القرآن هو: "كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود"⁽¹⁾.

5- سمى جروجون كذبا و إفتراء، القرآن الكريم "كلام محمد"، ولم يذكر أبدا أنه وحي إلهي، بل نسب كتاب الله إلى صنع النبي صلى الله عليه وسلم وتأليفه، وهذا إفتراء و بهتان عظيم، فهل من مصحف يحمل على جلده إسم محمد؟ إنَّ هذا تضليل خطير للقارئ يستهل به الكتاب، في محاولة منه توجيه العقل إلى مكان يريده هو ونعلمه نحن من نؤمن قطعا أنَّ القرآن هو كلام المولى المنزه عن كل خطأ. "إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون" (الحجر 9).

6- لقد سمح جون جروجون لنفسه بإعطاء الترجمة حق التصرف في النص القرآني، بقوله أنَّ في وسع الترجمة إختلاق فواصل وقافية خاصة بالمترجم، بل وحتى تبديل أسماء مكان ألقاب، حتى لا يتيه القارئ في الفهم، و هذا أولا مناف لمعنى الأمانة في الترجمة، ثانيا لا يحق لأحد التصرف في النص القرآني، كونه كلام الله الذي لا يقبل التبديل ولا التغيير.

كانت هذه من أبرز الملاحظات التي إرتايت أن أشير إليها في بادئ الأمر، لأنها أشياء حقا صدمتني الوهلة الأولى، و جعلتني أتنبؤ سريعا بمقصود هذا الكاتب والمفتري على الله، وهذا إن جاء في مقدمة ترجمة دونيز ماسون لمعاني كتاب الله الكريم فلغرض محدد، وهو حتما يوافق بشكل

(1) ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1413هـ، ص172

كبير أفكار المترجمة، و إلا لم تكن لتوافق أن تكتب أشياء كهذه في مستهل كتابها.

بعد هذه التوطئة "المشبوّهة" تبدأ المترجمة خاطرتها حول القرآن، وما يمد له من صلة، وذلك بذكر أنّ هذا الكتاب هو حسب ما يتداوله معظم الناس نسخة من النص الأصلي الموحى من الله، وإستشهدت بقول لويس ماسنيون "الغريب العجيب" الذي يتضارب بين الصحة والإفتراء، إذ يصرّح أنّ القرآن هو حقا إملاء غير عادي سجل من قبل النبي الملهم، وكأنه إعترف بطريقة غير مباشرة أنه ليس من تخيله وأنه وحي، ولكنه في الوقت ذاته يصف نبينا صلى الله عليه و سلم بالشخص الملهم وأنّ القرآن من إلهامه الخاص، وهذا ينفي ما قاله آنفاء، مضيفا أنّ بينا الكريم قد إختار الشكل الأدبي الرائع كدليل قاطع على إلهامه النبوي، مما جعل المسلمين يتخذون من بعده من هذا الكلام قرانا، وأنه إذا كانت المسيحية تبجل المسيح قبل تبجيل الإنجيل، فإنّ المسلمين يقدسون القرآن قبل تقديس محمد، فعيسى عليه السلام حسب دونيز ماسون لم يأت بكتاب، بل هو الكتاب والكلمة الخالدة للأب الأبدى الذي تجلى للناس من خلال المسيح، الذي سيبقى عند المسيحيين حيا و عمليا إلى زوال الأرض.

"Le livre qui nous est présenté est selon la tradition la plus constante, la réplique de l'archétype céleste, révélé par Allah », «le texte du Coran se présente comme une dictée surnaturelle enregistrée par le Prophète inspiré...il en a toujours considéré la forme littéraire comme preuve souveraine de son inspiration prophétique personnelle...les Musulmans à sa suite vénèrent dans le Coran une forme parfaite de al arole divine ; si la Chrétienté est l'acceptation et l'imitation du Christ avant l'acceptation de la Bible, en revanche l'Islam est l'acceptation du Coran avant l'imitation du Prophète » , « le Christ est le Verbe de Dieu lui-meme, il n'est pas venu avec un Livre, il est la Parole éternelle, engendrée par le Père de toute éternité, il s'est incarné et s'est manifesté aux homme..Le Christ demeure pour les Chrétiens, et j'usqu'à la fin des temps, une

(1) « Personne vivante et agissante ».

تعرج المترجمة بعد ذلك على شخصية محمد صلى الله عليه و سلم، فتذكر ميلاده والأرض التي نشأ فيها وتلقى الوحي عليها وهي مكة الواقعة في الحجاز، الممتد على طول البح الأحمر، فتقول أنه ولد عام 570، عام قالت ينسب حسب المسلمين لعام الفيل الذي يعدّ ذكرى رحلة قام بها ملك اليمن أبره إلى مكة، وتذكر أنه كان صلى الله عليه و سلم يتخذ من غار حراء ملجئاً له لحبه العزلة و التفكير، وهنا أتاه الوحي، ففزع فزعا شديداً، وكان أول من واساه في فزعه زوجه خديجة، وكانت أول من إعتنق الإسلام، تلاها صاحبه أبوبكر، فأبن عمه علي، فولده المتبني زيد بن الحارثة.

La tradition musulmane veut que l'année de la naissance du Prophète soit celle " de l'éléphant" en souvenir d'une expédition du roi yamanite Abraha » (2).

وتشير دونيز ماسون إلى أن القرآن لم يذكر سوى شخصيتين قريبتين من الرسول الكريم، هما عمه أبا لهب و ابنه بالتبني زيد بن الحارثة. أما إسمه هو صلى الله عليه و سلم، فذكر أربع مرات في صيغة محمد، ومرة في صيغة أحمد.

وعن حياته صلى الله عليه و سلم، تقول المترجمة أنه ترعرع يتيماً بعدما توفي أبوه و هو لا يزال في بطن أمه، ثم توفت أمه عند بلوغه الخامسة من عمره، فرباه جده عبد المطلب إلى أن توفي ثم رعاه عمه أبا طالب.

وتذكر المترجمة حادثة الإسراء و المعراج، التي تقول أنها وقعت نهاية الفترة المكية، والتي قرّبعدها النبي محمد مغادرة مكة متوجهاً إلى يثرب، أين توصل إلى إتفاق مع أهلها الذين وعدوا بعدم خيانتهم، فذهب معه أهل مكة -وهم المهاجرون- و تركوا أموالهم و ديارهم في سبيل الله، و نصرة لنبيهم، و هنا بدأ التقويم الإسلامي الذي يعرف بالتاريخ الهجري.

ففي يثرب، أو ما بات يعرف بالمدينة، بدأ النبي محمد حياة جديدة مبنية على الأخوة بين

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P17

(2) المرجع السابق، ص 20

المسلمين، وكونه نبي ورسول و قائد الأمة التي توجب عليه حمايتها من أعدائها الكثر، تحوّل إلى قائد محارب يتولى بنفسه قيادة المعارك التي إنتهت بانتصار المسلمين، ورجوع الرسول إلى مكة أين طاف بالكعبة سبعة أشواط، ولمس الحجر الأسود، وعامل أصحاب مكة بعدل، وحطم جميع الأصنام التي كانت داخل المعبد، وعلى رأسهم منات وعزة المذكورتين في القرآن، و هنا أمر الله نبيه بالقول "جاء الحق و إختفى الخطأ، يجب للخطأ أن يختفي، ومن هنا بدأت حملة شرسة على المشركين، أي الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى.

Le Prophète, monté sur sa chamelle accomplit les sept circuits rituels autour de la Ka'ba. Presque tous les Mekkois embrassèrent l'Islam. Mohammad les traita avec mansuétude... Dieu ordonne à son Prophète de proclamer : La Vérité est venue, l'erreur est disparu, l'erreur doit disparaître » ⁽¹⁾.

وجاء الحج الأخير، أو ما يعرف بحجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة، عندما إنتصر الإسلام على الشرك، وفتح المجال أمام الأمة لتبليغ الإسلام للعام، فجاء في الطبري قول النبي "أيها الناس إسمعوا كلامي و زنوه، لأنني أتممت حياتي، وتركت فيكم ما إن كنتم له أوفياء، لن تضلوا أبدا كتاب الله و سنة نبيه، إسمعوا كلامي وزنوه، إعلموا أنّ المسلم أخو المسلم، وأنّ حق المسلم على غيره المسلم إلا ما أعطاه إياه بكامل إرادته، فلا تظلموا أنفسكم. أإستكملت مهمتي؟ اللهم نعم، أجب الناس، اللهم فإشهد" بعدها بحين، توفي محمد تقول ماسون، وخلفه في قيادة الأمة صاحبه أبا بكر، الذي أصبح يلقب بخليفة رسول الله.

Hommes, écoutez mes paroles et pesez-les ; car j'ai accompli ma vie ; et je laisse en vous ce par quoi, si vous êtes fidèles, vous éviterez à jamais l'égarement, une chose claire, le Livre d'Allah et la *sunna* de son prophète. Écoutez mes paroles et pesez-les. Sachez que tout musulman est un frère pour un autre musulman ; que les musulmans sont frères ; que n'est licite pour un homme sur la part de son frère que ce que celui-ci donne de son plein gré. Et ne faites point tort à vos propres personnes. Ai-je rempli ma

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P28

(1) « tache ?- Par Allah, je rends témoignage »

لقد قيل الكثير حول حياة محمد الشخصية تقول المترجمة، وليس لنا أن نحكم عليها، وما نعلمه أنه بعد وفاة زوجته الأولى خديجة مارس تعدد الزوجات، وحددها بأربع حسب ما يمليه القرآن. ولم يترك محمد أي ولد تضيف ماسون، كون ولده الوحيد إبراهيم الذي أنجبه من زواجه به مريا القبطية، قد توفي و عمره ستة عشرة شهرا .

Nous savons qu'après la mort de sa première femme Khadidja, il pratiqua la polygamie, limitant le nombre de ses épouses à quatre comme l'impose le Coran...Il ne laissa aucun fils, car Ibrahim, le seul qui lui naquit de sa concubine copte Marya, mourut vers son seizième mois »(2).

تمثل شخصية محمد - كثيرة الإهتمام- حسب ماسون، مزيج لشخصيات عدّة، فيبدو الرجل حسب القرآن من ناحية عادلا بسيطا حيويا وشجاعا، ومن ناحية أخرى سريع الإلهام، وكثير الإحترام لكلام الله الموحى إليه. إنه نبي قوي، داع لتوحيد غير مسبوق، متواضع، صرّح مرتين في سورتي فصلت (الآية 6) والكهف (الآية 110) "ما أنا إلا ميت مثلكم"، وكان يذكر دائما إنتمائه إلى قريش، و هو رجل يخاف يوم الحساب و يقول " أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم"، بل إن جبريل نفسه يدعوه إلى الإعتراف بخطئه حين يقول له "كن الشخص نفسه، أطلب الغفران لذنبك".

« Il déclare à deux reprises : Je ne suis qu'un mortel comme vous

« l'envoyé céleste l'invite à reconnaître ses fautes.. :Soie constant !..Demande pardon pour ton péché » (3).

وتواصل المترجمة حديثها عن صفات نبينا الكريم صلوات ربي و سلامه عليه بقولها أنه هو قبل

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P32

(2) المرجع السابق، ص 33

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P34

كل شيء من ينذر الناس بحقائق الحياة المستقبلية، ومن يبشر المؤمنين بالجنة التي أعدت للذين يعملون الصالحات. ليس بمقدوره تحقيق المعجزات تضيف ماسون، لأنه بشرعادي، لا يعلم الغيب ولكنه يتلقى علوم الأشياء الربانية، هداه الله إلى صراط مستقيم، وألهمه التطبيقات الدينية التي لازالت مفروضة على كل المسلمين، بما فيها قراءة القرآن والصلاة .

محمد رجل يكرّس نفسه للآخرين ويتحمل أخطاء أمتة، فيصفه القرآن بـ "رسول مأخوذ من بينكم جاء إليكم يثقل كاهله الشر الذي تفعلونه". يتصف بالعدل والإحسان، أعطاه الله سلطة الحكم من بين أبناء أمتة، الذين هم مطالبون بالاحتكام إليه في نزاعاتهم، والذعون لقراراته.

«les fautes de ses compatriotes lui sont à charge...Voici commene le Coran le décrit aux hommes de sa génération :
Un Prophète pris parmi vous est venu à vous, le mal que vous faites lui pèse »⁽¹⁾

كانت هذه أبرز الصفات التي تعرضت إليها المترجمة في الكلام عن محمد الإنسان صلوات الله و سلامه عليه، والتي سأقب عليها لاحقاً.

أما عن محمد النبي، فتقول ماسون أنه أول مسلم عصره، لأن إبراهيم كان مسلماً أيضاً، وهوخاتم الأنبياء وأحسنهم في الوقت ذاته . هذا النبي ليس بشاعر، ولا هو مجنون، كما يتهمة أعداؤه، وكذلك يطمئنه ربه بقوله "ما أنت بشاعر و لا مجنون".

وتختم ماسون حديثها عن الرسول محمد صلى الله عليه و سلم بالقول أن أحسن المسلمين هم الذين وصفوا في أواخر سورة الفتح بكلمات تبدو وكأنها تنطبق على شخص محمد نفسه "محمد رسول، أصحابه عفاء إتجاه الكفار، طيبون ورحماء بينهم".

تنتقل المستشرقة بعد هذا إلى القرآن بوصفه كتاباً مقدساً، فتقول أنه كان ينزل على محمد الذي نظن في الغالب أنه كان أمياً، وهوبدوره كان يقرؤه على المؤمنين الأوائل، فيحفظونه عن ظهر قلب ليتمكنوا من تبليغه من بعد لمن حولهم، إلى أن قرروا تدوين هذه الأجزاء المقطعة، التي شكلت فيما بعد الكتاب المقدس.

(1) المرجع السابق، ص 35

و تقسم ماسون مراحل كتابة القرآن إلى ثلاثة مراحل أساسية:

- 1- الحفظ في الصدور.
- 2- تثبيت النصوص بالكتابة على بعض المواد كجلد الجمل و ما شابهه.
- 3- جمع الأجزاء المتفرقة في كتاب في عهد الخليفة عثمان.

(1)-La récitation de mémoire

-La fixation par écrit les textes, sur des matériaux : omoplates de chameaux .

-La réunion , en un recueil, au temps de calife Uthman, des éléments épars.

فعثمان، تقول المترجمة هو من أمر بجمع النصوص المأخوذة من المؤمنين في كتاب واحد، فكانت النتيجة نسخة غير مشكلة، ولا تحمل أي قافية لأنها كانت تمثل شكلا من أشكال إعانة الحفظ لأكثر ولا أقل، الأمر الذي جعل غيرهم ممن هم غرباء عن الوحي القرآني، لا يفهمون المحتوى، مما فتح المجال أمام العديد من القراءات والتأويلات، وفي بداية القرن العاشر الميلادي تمّ الإتفاق على سبع قراءات فقط.

« C'est Uthman qui ordonna de r »unir en un livre les textes recueillis par les croyants...la calligraphie ancienne maintenue ne comportait ni points ni voyelles...ces écrits étaient utilisés à titre d'aide-mémoire par des récitants qui en connaissaient le contenu, lequel aurait paru incompréhensible à ceux qui demeuraient étrangers au message de la révélation coranique. Ce mode d'écriture a donné lieu à diverses interprétations ou lectures. Au début du X^e siècle, le choix autorisé des variantes fut limité à sept leçons » (2)

(1)Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P40

(2)Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P41

على الرغم من الجدل-تعلق المستشرقة- يمكننا القول أنَّ هذا النص الذي بحوزتنا اليوم يوافق شروط أمانة معتبرة، فمعروف عنه عالميا أنه لم يتغير .

« Malgré des controverses, on peut dire que le texte en notre possession actuellement, contient les critères d'une fidélité substantielle, il est universellement considéré comme authentique »⁽¹⁾ .

إنَّ ترتيب السور ، تقول ماسون لا يعتمد على أي إتفاق مسبق ولا يتناسق بتاتا مع التنزيل
« l'ordre qui a présidé au classement numérique des Sourates ne répond pas à un plan arrêté et ne concorde nullement avec la chronologie »⁽²⁾

تعليقاتي على ما سبق:

1- قول المترجمة أنَّ القرآن "حسب ما يتداوله معظم الناس وحي من الله بكلام عربي فصيح" ينافي عقيدتنا كمسلمين، إذ نؤمن دون أي ريب أنه فعلا وحي من المولى عز و جلّ، نزل به سيدنا جبريل على نبينا الخاتم محمد صلوات ربي وسلامه عليه، فعبارة "حسب ما يتداوله معظم الناس" تدعو إلى الشك و عدم الجزم بالحقيقة الساطعة القائلة بأنَّ هذا الكلام المعجز هو كلام الله المنزه عن كل نقص أو سوء.

فيما يلي، جمع من الأدلة على أنَّ القرآن وحي من الله عز و جلّ، الذي نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم .

الدليل الأول: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو التعبء الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار

(1) المرجع السابق، ص 42

(2) المرجع السابق الصفحة السابقة

حراء فجاءه الملك فقال: إقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: إقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق. رجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فإنطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة، يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أومخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي⁽¹⁾.

الدليل الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه، قال جمعه لك في صدرك وتقرأه قال: فأستمع له وأنصت ثم إن علينا أن نقرأه، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، إذا أتاه جبريل إستمع، فإذا إنطلق جبريل

(1) صحيح مسلم بشرح النووي، ط2، 1392هـ، دار الفكر بيروت، المجلد 1، ص127.

قرأه النبي صلى الله، وهذا يدل على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفثيه أثناء تلقي الوحي، كما قرأه حرصا على الدقة في إستحفاظ القرآن الكريم⁽¹⁾.

الدليل الثالث: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فتضرب جرائها من ثقل ما يوحى إليه⁽²⁾.

وهذه الأحاديث السابقة تبين وتؤكد بيقين حقيقة الوحي، وأنّ القرآن نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وحيا عن طريق جبريل عليه السلام كما قال تعالى: "إذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون* قل نزله روح القدس من ربك الحق ليثبت الذين آمنوا وهدى و بشرى للمسلمين" (النحل 101-102).

فهذه الآيات يثق المؤمن فيها، وهي تتضمن القول الفصل في مصدر القرآن الكريم.

2- إدعاء المستشرق على لسان ماسينيون، أنّ نبينا الكريم كان ملهما يعني بالقول أنّ القرآن أو حتى جزء منه لم يكن وحيا من الله عزو جل، فالإلهام هو كل فكرة أو خاطرة تأتي إلى الذهن فجأة ومن غير مصدر معين، وكأنّ المترجمة تريد إعطاء دور أهم للرسول صلى الله عليه وسلم من ذاك الذي يجعل منه متلقي وحسب وهذا ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية وثوابتها، إذ أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم ليس إلابشر، أوحى إليه، فكثيرا ما كان يطالبه المشركين بالإتيان بآية حسب ما بين لنا القرآن الكريم في حين قال ربنا عزوجل "وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" (الأعراف 203)، فهذا يعني أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن له أية إضافة على القرآن الكريم، فكله تنزيل حكيم من رب العالمين.

(1) المرجع السابق، ص 277.

(2) المرجع السابق، المجلد 6، ص 118.

إنّ أساس الإيمان هو الثقة في صحة النص القرآني وأمانة النقل من النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة ثمّ إلى التابعين، يقول موريس بوكاي⁽¹⁾ الذي قال: "لو كان مؤلف القرآن إنساناً، فكيف إستطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما إتضح أنه يتفق اليوم مع العلوم الحديثة؟ فنص القرآن الذي نملك اليوم هو كلام الله، ومن ذا الذي كان في عصر نزوله يستطيع أن يملك ثقافة علمية تسبق بحوالي عشرة قرون ثقافتنا العلمية؟ إنّ في إشارات القرآن قضايا ذات صبغة علمية تثير الدهشة⁽²⁾."

3- دائماً، وعلى لسان ماسينيون تقول المستشرقة أنّ المسلمين قد إتخذوا من الكلام الجميل، الذي كان يأتي على لسان محمد قرانا، أي أنّ الناس من بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هم من قرروا أن يتخذوا من هذا الكلام قرانا، فيا عجباً من هذا البهتان العظيم، فلما خلق النبي صلى الله عليه وسلم أصلاً إن لم يكن لحمل الرسالة الخاتمة، وتبليغ كلام الله للناس أجمع.

4- القول بتقديس الرسول صلى الله عليه وسلم، يتعارض وأسس الإسلام الذي جاء ليساوي بين الناس مهما كانت رتبهم، فهذا الدين الحق، لا يقدر بشراً وإن كان نبياً صلوات ربي وسلامه عليه، وهو من كان يدعو الناس لرفع لقب "السيد" عنه، فما بالك بتقديسه، حيث قال في الحديث الشريف "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله"⁽³⁾ فنحن نحب نبينا، و نتبعه، و نطيعه في الأمر كله، و لكننا لا نقدره، لأنه بكل بساطة لم يدعنا لذلك.

5- "عيسى عليه السلام هو الكلمة الخالدة للأب الأبدى التي تجلت للناس" تقول ماسون،

(1) مستشرق فرنسي نال شهادة الطب وأصبح من أمهر الجراحين في فرنسا، أسلم وقال: لقد دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن، وذلك بسبب قوله تعالى: "فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية". المصدر طريق الإسلام نت.

(2) إسماعيل سالم عبد العال، المستشرقون والقرآن، سلسلة دعوة الحق الصادرة من رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، 1410هـ.

و هذا من أعظم وجوه الشرك التي جاء الإسلام لمحاربتها، فربنا تبارك و تعالى لم يلد ولم يولد، كما يقول جل في علاه في سورة الإخلاص "قل هو الله أحد* الله الصمد* لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحد" و ما سيدنا عيسى عليه السلام إلا رسول كباقي الرسل، كما أوضح لنا القرآن الكريم في عدة آيات " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" (النساء 171) فالله جل شأنه، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، و إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون، وهنا أود طرح السؤال الآتي على هذه المستشرقة : ألم يخلق آدم من غير أب ولا أم ؟ فلما لا تتخذونه ولد لله ليكون بذلك أخوا المسيح؟ حاشا وكلا، تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً، فكلنا له عبيد سبحانه، وكيف يتخذ ولداً ولم تكن له صاحبة جل شأنه، يقول في أواخر سورة مريم "وقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً* أن دعوا للرحمن ولداً* وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً" (مريم 92-88).

6- إنَّ ذكر المستشرقة أنَّ عام الفيل ينسب فقط إلى رحلة قام بها أبره إلى "مكة" غير صحيح، فقد أغفلت الجزء الأهم وهو سبب توجه هذا الملك إلى "مكة" الذي كان لهدمها، لا لزيارتها كما قالت المستشرقة.

و لقد ذكر المباركفوري في كتابه الرحيق المختوم "أنَّ أبرهة توجه بجيش عرمرم عدده ستون ألف جندي إلى الكعبة ليهدمها، واختار لنفسه فيلاً من أكبر الفيلة، وتهيأ لدخول الكعبة، فلما كان في وادي محسر بين المزدلفة ومنى، برك الفيل ولم يقدّم إلى الكعبة، وكانوا كلما وجهوه إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق، يقوم مهرولاً، و إذا صرفوه إلى الكعبة برك، فبينما هم كذلك، إذ أرسل الله عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف ماكول"⁽¹⁾.

(1) صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة و النشر، القاهرة، 1989، ص58

8- لقد اختلف العلماء في عام الإسراء والمعراج، فمنهم من قال قبل الهجرة بسنة، ومنهم من قال قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر، و منهم من قال بستة عشر شهرا⁽¹⁾.

9- قول المستشرق أن النبي الكريم محمد صلوات ربي و سلامه عليه قد عامل الناس "بعدل" إجحاف في حقه، كما أنها كلمة غامضة، يمكن أن يفهم منها أنه أقام عليهم الحد كما يستحقون، ولكنه صلى الله عليه وسلم قد أفصح عنهم، و عفي عما إقترفوه في حقه خلال سنوات طوال. فقد جاء في نفس الكتاب المذكور سابقا "أن النبي صلى الله عليه و سلم قال" يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرا، أخ كريم، ابن أخ كريم، قال فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته "لا تثريب عليكم اليوم" إذهبوا فأنتم الطلقاء"⁽²⁾

10- لم يقل النبي صلى الله عليه و سلم، عند دخول مكة "جاء الحق وإختفى الخطأ، يجب للخطأ أن يختفي" كما قالت المستشركة، وإنما قال "جاء الحق و زهق الباطل، إنَّ الباطل كان زهوقا" و شتان بين "الخطأ و الباطل"⁽³⁾.

11- ذكرت المستشركة أن النبي صلى الله عليه و سلم، قد تزوج من أربع نساء فقط، وذلك حسب ما يمليه الشرع، وهذا غير صحيح، فكانت له في الحقيقة عشر نساء، إضافة الى السيدة "خديجة بنت خويلد"، و ذلك حسب ما ذكره "محمد هارون" في كتابه المعنون بـ "ملخص السيرة النبوية" وهن كالتالي عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، و صفية، وأم حبيبة، و ميمونة، و سودة، و جويرة، و ماري القبطية⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق، ص 162

(2) المرجع السابق، ص (481-482)

(3) المرجع السابق، ص 479

(4) محمد هارون، ملخص السيرة النبوية، مكتبة مصطفى الباني و أولاده، ط2، 1947، ص 10

12- لم يكن للنبي صلى الله عليه و سلم ولد واحد فقط حسب ما تدعيه ماسون، و إنما كان له ثلاثة أولاد هم "أبا القاسم (وبه كان يكنى)، وإبراهيم، وعبد الله، إلى جانب أربع بنات هن زينب، ورقية، وأم كلثوم و فاطمة"⁽¹⁾.

13- قول المستشرق بأن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول كذا وكذا، وأن جبريل كان يأمره بكذا وكذا، مناف لماهية القرآن الذي هو كلام الله، لا كلام محمد صلى الله عليه وسلم أو كلام سيدنا جبريل، كما أن من شأنه تغليط القارئ الجاهل بكتاب الله، و خلط الأمور عليه، ليظن خطأ أن القرآن مزيج من كلام الله عز و جل وكل من النبي صلى الله عليه وسلم وجبريل، بل وحتى شخصيات أخرى كالأنبياء، فكان يجب عليها القول "قول الله تعالى على لسان النبي"، أو على لسان جبريل، فما كان لأحد منهما قول شيء إلا وحيا، فالقرآن كلام الله وحده. قال تعالى "و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" (النجم 3-4).

14- إدعاء المستشرق أن النبي صلوات ربي وسلامه عليه، يتحمل أخطاء أمتة أمر خطير، ومشوه للدين الإسلامي الذي جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم، والذي لا يتحمل أحدا من البشر فيه أخطاء غيره، لقوله تعالى "ولا تزر وازرة وزر أخرى" (الزمر 7)، وهذا مبدأ أساسي في القرآن، وهنا يتضح جليا مدى خلط ماسون بين الإسلام والمسيحية التي يدعى أصحابها أن سيدنا عيسى عليه السلام، جاء ليخلص الناس من أخطائهم ليتحملها كاملة، السبب الذي حسبهم، أدى إلى صلبه عليه السلام، وأنا أقول ما يقول الشرع، أنه لا عيسى ولا نبينا الكريم عليهما الصلاة والسلام ولا أحد من بني البشر يتحمل أخطاء و زلات غيره، فديننا دين العدل كله، وربنا تبارك وتعالى لا يظلم الناس شيئا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

(1) صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة و النشر، القاهرة، 1989، ص 70

15- لقد شوّهت المستشرقّة الفرنسية معنى "الآية 128 من سورة التوبة" حين ترجمتها كما يلي "لقد جاءكم رسول مأخوذ من بينكم، جاء إليكم، يثقل كاهله الشر الذي تفعلونه"، ترجمة خاطئة، للأصل القرآني القائل "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم"، فترجمت "عزيز عليه ما عنتم" بـ "يثقل كاهله الشر الذي تفعلونه" وهذا خطأ، فمعنى هذه الآية "أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها، بينما أتت شريعته كلها سهلة، سمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه"⁽¹⁾ فشتان بين هذا المعنى و ذاك.

16- إنّ معظم المستشرقين ينكرون أمية نبينا عليه الصلاة والسلام بالقراءة والكتابة، وذلك في رأيي من أجل الخلوص إلى نتيجة مفادها أنه صلى الله عليه وسلم قد إستفاد من التوراة والإنجيل في رسم تعاليم القرآن الكريم. ولا غرابة في ذلك، فمسألة كتابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقراءته تعد نقطة جوهرية في الإيمان بالإسلام، إذ لو أنّ مستشرقاً قال بأمية الرسول عليه السلام، ونفى القراءة والكتابة عنه، لإستوجب ذلك منه منطقياً، الإيمان بالإسلام، لأنه عندئذ يكون القرآن من مصدر إلهي، غير بشري.

فعند مراجعتي مثلاً للترجمة التي وضعتها ماسون لكلمة أمي، التي تعني الشخص الذي لا يقرأ وهم قوم **Le Prophète des Gentils** لا يكتب، وجدت "رسول الأميين الوثنيين"⁽²⁾ لم يصدقوا رسولا أرسله الله، ولا كتاباً أنزله حسب ما أورده ابن كثير في تفسير قوله تعالى⁽³⁾ "ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى" (البقرة 78)، والذي أكد على معنى الجهل بالقراءة والكتابة لمفهوم أمي فقال: قال أبو جعفر: يعني الذين لا يكتبون ولا يقرؤون، ومنه قول النبي

(1) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، المجلد الاول، دار القرآن الكريم، بيروت، 1393هـ، ص 180

(2) Denise Masson, Le Coran, Volume 1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P203

(3) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، 1393، المجلد الاول ص 527

صلى الله عليه وسلم " إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب" ⁽¹⁾. وسأفصل أكثر في هذه النقطة لاحقاً.

17- تدعي المستشرقّة الفرنسيّة ماسون بهتاناً و عدواناً أنّ الصحابة هم من قرروا بعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم جمع ما تسميه "الأجزاء المتقطعة" في مصحف واحد، وكأنّ ذلك لم يحدث تحت إشرافه و رعايته صلى الله عليه و سلم في الترتيب و التنظيم، ووضع الآية محلها و السورة محلها...فتسم بذلك الشك والتساؤل المشين في ذهن القارئ غير المطلع كامل الإطلاع على تدوين المصحف الشريف، وما يتعلق به حول مدى مصداقية القرآن الذي بين أيدينا اليوم. لتعلم هذه المستشرقّة وغيرها، ممن هم جاهلون بحقيقة الأشياء الأساسية في ديننا الحنيف، أنّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا عند نزول الوحي، وبأمر من النبي صلى الله عليه وسلم، يكتبون القرآن ويعرضونه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حفظاً وكتابة كذلك، ولم ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا والقرآن كله مكتوب، مسطور بالأحرف السبعة، غير مجموع في مصحف واحد ⁽²⁾. والأدلة على كتابة القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة منها:

قوله صلى الله عليه وسلم: " لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحّه" ⁽³⁾. وقول الصديق لزيد بن ثابت رضي الله عنهما: "إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم" ⁽⁴⁾.

وكان هؤلاء الصحابة يكتبون ما يمليه عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم وما يرشدهم إليه، فعن عثمان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشّيء دعا بعض من كان يكتب فيقول:

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط2، دار المعرفة، بيروت، ط1، بولاق، 1301 هـ، المجلد4، ص13

(2) المرجع السابق، ص80

(3) المرجع السابق، ص181

(4) المرجع السابق، ص189.

ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا. وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمة الإسلامية قد حفظت القرآن وإستظهرته وكتبتة بالطرق والوسائل الموجودة لديها.

18- عندما تصرح هذه المستشفقة بأنّ المصحف لم يجمع إلا في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه و أرضاه مفاده بالنسبة لي القول أنه لم يجمع في عهد النبي لإثارة التشكيك والشبهات، فأردُّ عليها بما جمعت من مادة فأقول الآتي:

أولاً إنّ النبي صلى الله عليه و سلم قد ترك جمع القرآن في مصحف واحد لإعتبارات كثيرة، منها كما قال الزرقاني في مناهل العرفان " أن النبي كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله نسخه من القرآن، ولو جمع القرآن في مصحف واحد وقتئذ لكان عرضة لتغيير المصاحف كلما وقع نسخ "(1).

ثم أنّ القرآن لم ينزل جملة واحدة، بل نزل منجماً في مدى عشرين سنة أو أكثر، ولم يكن ترتيب الآيات والصور على ترتيب النزول، ولو جمع القرآن في مصحف واحد حينئذ لكان عرضة لتغيير المصاحف كلما نزلت آية، ولكان في ذلك من العناء والمشقة الشيء الكثير، قال الزركشي: "فتبّت أنّ القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما ترك جمعه في مصحف واحد، لأنّ النسخ كان يرد على بعضه، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه، لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى إنقضاء زمن النسخ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين "(2).

ثانياً، وبعد بحثي، وجدت أنّ القرآن قد جمع من قبل في عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل أن يفعل ذلك سيدنا عثمان، قال الزّهرّي: أخبرني ابن السباق أنّ زيد بن ثابت

(1) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1396 هـ، ص(248-249)

(2) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، المجلد 1، ص235

الأنصاري، وكان ممن يكتب الوحي، قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال: أبو بكر إنَّ عمرأتاني فقال: إنَّ القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحرقالقتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، إلّا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن. قال: أبو بكر قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ؟ فقال: عمر هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر. قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم. فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن فأجمعه. فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعّلان شيئاً لم يفعله النبي ؟ فقال أبو بكر هو والله خير. فلم أزل أراجع حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم" إلى آخرهما. وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثمَّ عند عمر حتى توفاه الله، ثمَّ عند حفصة بنت عمر (1).

وعن ابن أبي داود بسند حسن عن عبد خير عن علي رضي الله عنه قال: رحمة الله على أبي بكر كان أعظم الناس أجراً في جمع المصاحف، وهو أول من جمع بين اللوحين (2).

وبعد وفاة الخليفة الأول أبا بكر رضي الله عنه، بدأ الاختلاف ينشب بين الناس على القراءات التي لم تكن محل نزاع بينهم أيام النبي صلى الله عليه وسلم، فعن مكّي بن أبي طالب قال: "وكان قد تعارف بين الصحابة على عهد النبي ، فلم يكن ينكر أحد ذلك على أحد، لمشاهدتهم من أباح ذلك، وهو النبي ، فلما إنتهى ذلك الاختلاف إلى ما لم يعاين صاحب الشرع، ولا علم بما

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط2، دار المعرفة ، بيروت ، ط1، بولاق ، 1301 هـ ، المجلد4، ص194.

(2) سنن أبي داود، عناية كمال يوسف الحوت، دار الجنان، بيروت، ط1 ، 1409هـ، ص (11-12)

أباح من ذلك، أنكر كل قوم على الآخرين قراءتهم، وإشتد الخصام بينهم. رأى هذا الخلاف العظيم حذيفة بن اليمان، ففزع إلى عثمان بن عفان، وأنذره بالخطر الداهم أن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة غزاها، فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين، أدرك الناس! فقال عثمان: وما ذاك؟ قال: غزوت فرج أرمينية، فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فيكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرؤون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفرهم أهل الشام. قال زيد: فأمرني عثمان أن أكتب له مصحفاً⁽¹⁾.

فإنعقد عزم الصحابة بعد ما رأوا من إختلاف الناس في القراءة على أن يجمعوا القرآن، لتكون مرجعاً للناس يرجعون إليه عند الإختلاف، فإنتدب عثمان بن عفان رضي الله عنه لذلك إثني عشر رجلاً، وأمرهم بأن يكتبوا القرآن في المصاحف، وأن يرجعوا عند الإختلاف إلى لغة قريش، وذلك كما ذكر محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح حين قال: "لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف، جمع له إثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب و زيد بن ثابت"⁽²⁾.

وقال الباقلاني: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين، وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه، و خشية وقوع الفساد والشبهة على من يأتي بعد، فأراد عثمان أن ينسخ من الصحف التي جمعها أبو بكر، مصاحف مجمعا عليها، تكون أئمة للناس في تلاوة القرآن⁽³⁾.

(1) المرجع السابق، ص15

(2) سنن أبي داود، عناية كمال يوسف الحوت، دار الجنان، بيروت، ط1، 1409هـ، ص33

(3) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، المجلد 1، ص(235-236)

إذن فالإعتماد على جمع أبي بكر الصديق واضح ويظهر هذا جليا في طلب عثمان رضي الله عنه الصحف التي جمع فيها أبو بكر القرآن من حفصة رضي الله عنها، وقد كانت هذه الصحف مستندة إلى الأصل المكتوب بين يدي النبي، فعن أنس ابن مالك قال: "... فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام فنسخوها في المصاحف" (1).

وبذلك ينسد باب الفتنة التي تزرعها ماسون و نظراؤها، فلا يزعم زاعم أن في الصحف المكتوبة في زمن أبي بكر ما لم يكتب في زمن الرسول صلى الله عليه و سلم، أو أنه قد كتب في مصاحف عثمان ما لم يكن في صحف أبي بكر إلخ.

19- "نسخة غير مشكلة، و لا تحمل أي قافية لأنها كانت تمثل شكلا من أشكال إعانة الحفظ لأكثر من أقل، الأمر الذي جعل غيرهم ممن هم غرباء عن الوحي القراني، لا يفهمون المحتوى، مما فتح المجال أمام العديد من القراءات و التأويلات، و في بداية القرن العاشر الميلادي تم الاتفاق على سبع قراءات فقط "... جملة لا تمن سوى عن جهل هذه المرأة الفاضح بعلم القراءات، و تطفلها عليه، فخلطت بينه وبين الأحرف السبعة، مما لا يدع مجالا للشك في أنها لم تفكر بتاتا في الرجوع إلى الكتب المتخصصة في هذا الميدان من أجل إستيعاب أصول وقواعد علم القراءات القرانية، فإيا أيتها "المستشرقة المرموقة" - كما يصفك البعض - إعلمي أن عدم النقط والإعجام، كان يمثل تنوع القراءات القرانية التي رواها قراء الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، و ليس إعانة على الحفظ كما تدعين، فالقرآن الكريم نزل على سبعة أحرف كما قال النبي صلى الله

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط2، دار المعرفة، بيروت، ط1، بولاق، 1301 هـ،

عليه وسلم: "إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه"⁽¹⁾.
 إنَّ من أهم حكم تنزل القرآن بسبعة أحرف التخفيف على الأمة الإسلامية كما يبرز الحديث التالي، فإنها كانت قبائل كثيرة، وكان بينها إختلاف في اللهجات ونبرات الصوت، كما هو إجابة لقصد نبيها، حيث أتاه جبريل فقال له: "إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال صلى الله عليه وسلم: أسأل الله معافاته ومغفرته وإنَّ أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى قال: إنَّ الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا"⁽²⁾، وذلك أنَّ الأنبياء السابقين عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق أبيضها وأسودها، عربيها وعجميها، "وكانت لغات العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، مختلفة وألستهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا استطاع، وهذه التوسعة كانت في الألفاظ دون المعاني، وفي حدود ما نزل به جبريل، وما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بدليل أنَّ كلا من المختلفين كان يقول: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يعقب على قراءة كل من المختلفين بقوله: "هكذا أنزلت"، ولا يتوهمن متوهم أنَّ ذلك كان بإتباع الهوى والتشهي، فذلك ما لا يقوله عاقل، لأن القراءة سنة متبعة"⁽³⁾.

إنَّ بحث موضوع القراءات القرآنية لغاية في الأهمية، إذ هو يطرح مشكلة تاريخية للنص القرآني وإن كانت هذه المسألة محسومة عند علماء المسلمين، فقد تناولتها كتب التفسير وعلوم القرآن بالبحث والبيان، وكلها وصلت إلى نتيجة واحدة، لكن طرحها من طرف المستشرقين إتخذ منحى آخر، إتسم بالتشكيك وإعتماد النصوص الشاذة، والروايات الضعيفة، مما كان نتيجته مواقف

(1) أبو محمد علي بن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق عبد الرحمن عميرة ومحمد إبراهيم نصر، شركة مكبات عكاظ، جدة، ط1، 1982، ص216

(2) صحيح مسلم بشرح النووي، ط2، 1392هـ، دار الفكر بيروت، المجلد 6، ص 103.

(3) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، 1396 هـ، ص252.

مربية حول توثيق النص القرآني بما يفتح المجال واسعا للشك في صحة هذا الكتاب العظيم، أو في وجود عناصر أجنبية عنه تسربت إليه بسبب تأخر تدوينه، أو بدائية الوسائل المستعملة، أو ضعف المنهج المعتمد. أو غير ذلك.

20- "القرآن يوافق شروط أمانة جزئية"..لاحظ مدى تشكيك المستشرقة في مصداقية القرآن الكريم، وفي عدم تعرضه للتبديل و التغيير، وسأرد عليها قائلة أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى المنزل بالوحي على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم باللفظ والمعنى، كلمة كلمة، بل حرفا حرفا، وهو الكتاب السماوي الوحيد الذي حفظه الله تعالى، فقد وصل إلينا كاملا غير ناقص، سالماً من التغيير والتحريف، كما أنّ الصحابة رضوان الله عليهم، هم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في نشر القرآن والدعوة، وإيصالها إلى الناس، فهم الذين حضروا مجالس التنزيل، وهم الذين نقلوا إلينا القرآن الكريم كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، وجميعهم عدول، وقد شهد الله تعالى لهم بذلك فقال "لقد رضي الله عن الذين يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم و أثابهم فتحا قريبا" (الفتح18).

وميزة القرآن الكريم أنه يعتمد فيه على النقل والرواية والإسناد، ولايسمح فيه بالرأي أو التفكير أو النظر أو الاجتهاد، والصحابة رضوان الله تعالى عليهم كانوا أمناء في نقل القرآن الكريم، وفي ضبط ألفاظه وكلماته وحروفه كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، فأوصلوه إلى التابعين الذين نقلوه إلى الأجيال من بعدهم جيلا بعد جيل عن طريق التواتر، حتى وصل إلينا كما أنزل والله الحمد، والتواتر هو: "ما رواه جمع عن جمع يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، فلا يتحقق التواتر إلا إذا كان هذا العدد في كل طبقة من الطبقات بدءا من أول السند إلى انتهاه، وهذا متحقق في قراءات الأئمة العشرة، وهم نافع بن أبي نعيم، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع المدينيان، وعبد الله بن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء، ويعقوب بن إسحاق البصريان، وعبد الله بن عامر الشامي،

وعاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي، وخلف بن هشام البزار الكوفيون⁽¹⁾.

"لقد نقل القرآن جيلاً عن جيل حتى وصل إلينا حفظاً ، ففي أول الأمر حفظه النبي صلى الله عليه وسلم وكان يحرك به لسانه في أشد حالات حرجه وشدته، ويقصد بذلك إستعجال حفظه، خشية أن تفلت منه كلمة ، أو يعزب عنه حرف حتىطمأنه ربه فقال له: **"إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ"**(القيامة 16-19) ، وفي هذا تعليم من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من جبريل عليه السلام ، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابقه في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل الله أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الأكمل الذي ألقاه إليه"⁽²⁾.

من الواضح أنَّ المستشرقة قد بالغت في إتباع منهج الشك والمبالغة في إثارة الشكوك حول الوقائع التاريخية الثابتة، والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، وإعتمدت في ذلك على عملية الإنتقاء بطريقة مغرضة وهادفة إلى ما تصبوا إليه من نتائج عكسية، كما أنَّ عدم ثقتها في صحة النص القرآني، دفعها إلى الشك في أمانة نقله وسلامة تبليغه، إضافة إلى الشك في جمعه وترتيبه، وهكذا يدَّعي كثير من المستشرقين أنَّ النص القرآني الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قد نالته بعد إفضائه به إلى الناس تعديلات بالزيادة والنقصان، خاصة في صورته المكتوبة، ووجدوا في موضوع إختلاف المصاحف الخاصة التي كانت بأيدي بعض الصحابة ميداناً خصباً ليشفوا رغبة في صدورهم، وهي زلزلة العقيدة، وفتح أبواب الشكوك والإرتياب، فهؤلاء

(1) عبد الفتاح عبد الغني القاضي، القراءات في نظر المستشرقين والمليدين، المدينة المنورة، مكتبة الدار، مطبعة دار مصر للطباعة، ص

المستشرقون يعرفون أنَّ الشك في نص يوجب الشك في آخر، ولذلك فهم يلحون في طلب روايات الاختلاف، وينقلونها في غير تحرز، ولا يلتفتون إلى آراء علماء المسلمين فيها. ماسون تصف القرآن بأنه يوافق شروط أمانة معتبرة، وتتحاشى الإعتراف بأنَّ القرآن الكريم قد جُمع وفق منهج علمي، قوامه التوثيق والدقة، وقد أجمع الصحابة على صحة هذا الجمع وتلقوه بالقبول والعناية، وأخذوا بما تضمنه من الأوجه والقراءات، فهي تسعى إلى التشكيك فيما هو قطعي ومتواتر، وتنطق به ملايين النسخ من المصاحف المطبوعة في مختلف بقاع العالم، إضافة إلى خصيصة الحفظ في الصدور التي تميز الأمة الإسلامية، والتي تؤكد أنَّ حفظ القرآن عن ظهر قلب بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر دليل على موثوقية النص القرآني وحفظه من كل زيادة أو نقصان.

21- سأبدأ هنا بالفصل أولاً في ترتيب الآيات، لأقول أنه قد إنعقد الإجماع على أنَّ ترتيب الآيات في السورة، كان بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد، ولم يعلم في ذلك مخالف.

قال الباقلاني: "ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا" (1).

"وعن جبريل بن نفير، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطيتهما من كنزه الذي تحت العرش، فتعلموهن وعلموهن نساءكم فإنهما صلاة وقرآن ودعاء" (2).

وعن أبي الدرداء أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال (3).

(1) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، نكت الانتصار لنقل القرآن، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية 1971م، ص 257

(2) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1396 هـ، ص 301.

(3) المرجع السابق، ص 353

وعن ابن الزبير قال: قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا" إلى قوله: "غير إخراج" قد نسختها الأخرى فلم تكتبها؟ قال: دعها، يا ابن أخي لا أُغير شيئا منه من مكانه (1).

فهذا حديث صريح في أنّ إثبات هذه الآية في مكانها مع نسخها توقيفي، لا يستطيع أحد أن يتصرف فيه، لأنه لا مجال للرأي في مثله (2).

أما بالنسبة إلى ترتيب السور فوجدت فيه قولين :

القول الأول: وهو مذهب الجمهور، أنّ النبي صلى الله عليه و سلم، فوّض ذلك إلى أمته من بعده، يعني أنّ هذا الترتيب من فعل الصحابة. وممن ذهب هذا المذهب الإمام مالك، والقاضي أبو بكر الباقلاني، فيما إستقر عليه رأيه من قوله (3).

وقد إستدلوا على مذهبهم بأدلة، منها:

أولاً: أنه لو كان ترتيب السور بتوقيف من النبي صلى الله عليه و سلم، لظهر وفشا ونقل مثله، وفي العلم بعدم ذلك النقل دليل على أنه لم يكن منه صلى الله عليه وسلم توقيف فيه (4).
ثانياً: أنّ مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل جمع القرآن في عهد عثمان، ولو كان الترتيب توقيفياً منقولا عن النبي صلى الله عليه و سلم ما ساغ لهم أن يهملوه ويتجاوزوه (5).

فمن ذلك أن مصحف أبي بن كعب، قدمت فيه النساء على آل عمران، ثم تلت آل عمران سورة الأنعام، ثم الأعراف ثم المائدة...، ومصحف ابن مسعود كان مبدؤا بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأعراف، ثم الأنعام... إلخ، ما فيهما من خلاف مصاحفنا اليوم، وروي أنّ

(1) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط2، دار المعرفة، بيروت، ط1، بولاق، 1301 هـ، المجلد1، ص47

(2) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، 1396 هـ، ص366

(3) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط2، دار المعرفة، بيروت، ط1، بولاق، 1301 هـ، المجلد1، ص28.

(4) المرجع السابق، ص55

(5) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، المجلد1، ص258

مصحف علي كان مرتبًا على النزول، فأوله سورة العلق، ثم المدثر، ثم ق، ثم المزمل ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي والمدني⁽¹⁾.

ثالثًا: حديث ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى سورة الأنفال وهي من المثاني، وإلى سورة براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، فوضعتوها في السبع الطوال، فما حملكم على ذلك؟ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه شيء دعا بعض من يكتب له فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآيات قال: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا أنزلت عليه الآية قال: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت سورة الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت سورة براءة من أواخر ما أنزل من القرآن، قال: فكانت قصتها شبيها بقصتها، فظننا أنها منها، وقُبِض رسول الله ولم يبين لنا أنه منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطوال⁽²⁾.

فقول عثمان رضي الله عنه: "وقُبِض رسول الله ولم يبين لنا أنه منها" صريح في عدم التوقيف. أما القول الثاني: أن هذا الترتيب توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وبه قالت طائفة من أهل العلم.

قال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروي ذلك عن علي بن أبي طالب⁽³⁾.

وقال الكرمانى: ترتيب السور هكذا هو عند الله تعالى في اللوح المحفوظ⁽⁴⁾.

(1) برهان الدين الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ملحق مجلة الأزهر، 1414هـ، ص16

(2) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، المجلد 1، ص259

(3) المرجع السابق ص261

(4) المرجع السابق ص275

وقال أبو بكر بن الأنباري: أنزل القرآن كله إلى سماء الدنيا، ثم فرّق في بضع وعشرين، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر، ويقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية، فيتساق السور كإتساق الآيات والحروف، كله عن النبي صلى الله عليه وسلم، فمن قدم سورة أو أخرها، فقد أفسد نظم الآيات (1).

وإستدلوا على ذلك بأنّ الصحابة أجمعوا على المصحف الذي كتب في عهد عثمان، ولم يُخالف منهم أحد، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف، لأنه لو كان عن إجتهد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، ولكنهم عدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها، ورجعوا إلى مصحف عثمان وترتيبه جميعاً (2).

"والخلاف يرجع إلى اللفظ، لأن القائل بأنّ الترتيب كان عن إجتهد منهم يقول: إنه صلى الله عليه وسلم رمز إليهم بذلك، لعلمهم بأسباب نزوله، ومواقع كلماته، ولهذا قال الإمام مالك: إنّما أُلّفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم، مع قوله بأنّ ترتيب السور إجتهد منهم، فآل الخلاف إلى أنه: هل ذلك بتوقيف قولي، أم بمجرد إستناد فعلي، وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر" (3).

22- على الرغم من الرحلة الطويلة التي قامت بها ماسون مع هذا الكتاب العظيم - كما قال صديقها جون جروجون في المقدمة - إلا أنه من الواضح أنها لم تدرك قيمته الحقيقية، لأنها لو كانت أدركتها ما وصفته بالعشوائية، وأنها هي من سيحاول إبراز قيمته على طريقته الخاصة، و كأنّ الله عز و جل لم يحسن ذلك حشاه جل في علاه، فالقرآن الكريم هو خير كتاب عرفته البشرية و سيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض و من عليها، أحبّ من أحب وكره من كره، فلا

(1) المرجع السابق ص 279

(2) محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، ط1، 1396 هـ، ص 354

(3) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، المجلد 1، ص 400

يسعنا هدايتها لذلك، إن كان الله قد أعمى بصيرتها، وجعل عليها غشاوة، فتعالى القرآن على ما تصفه به علوا كبيرا.

23- لا تفتؤ ماسون تقارن بين القرآن والكتب السماوية الأخرى، فتأثرها بهم واضح للعيان، وكأنها تحاول القول أنه متأثر بهم، أو ربما حتى مستوحا منهم -و الله تعالى أعلم- مع أنه لا يوجد دليل واحد صحيح على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ القرآن من يهودي أو نصراني. إنَّ جل المستشرقين يقفون في وجه القرآن الكريم محاولة منهم إثارة الشبهات حوله، وكثيرا ما يحرفون نصوصه ويضعونها في غير موضعها، وقد دأب المستشرقون على ذلك قديماً وحديثاً، و ذلك بسبب عداوتهم للإسلام التي تأصلت فيهم، فألجأهم إلى الكذب والتشويه ، وذكر أساطير خيالية مبنية على الأوهام.

إنَّ القرآن هو قانون الهداية الوحيد الذي يستطيع أن يلفت أنظار البشرية إليه في كل زمان، وأقول بصراحة -وأتحذئ بهذا الكلام ماسون وغيرها- أنَّ القرآن وحده يستطيع أن يحل معضلات قضايا النوع البشري المعقدة ، بحيث يتييسر للإنسانية أن تصل إلى غايتها المنشودة من الطمأنينة والهدوء اللذين تتسكع في البحث عنهما منذ قرون.

لذا أقول في نهاية تعليقي على مقدمة دونيز ماسون "المشبوهة"، أنه يتوجب حماية المسلمين من الإستشراق والمستشرقين عموماً، وذلك بتحسينهم بالإسلام ومبادئه، حتى لا يكونوا عرضة لهم ولأهدافهم، وأوصي ببيان حقيقة القرآن الكريم وعظمة هذا الدين، وبيان حقيقة المستشرقين وكشف فساد مزاعمهم ووضع برامج للحد من خططهم.

المبحث الاول : منهج المستشرقة في الترجمة وأسلوبها فيها

لقد بات جلياً، بعد تعريجنا على مقدمة ترجمة **دونيير ماسون** أنَّ هذه الأخيرة قد بذلت جهداً كبيراً في الترجمة، فقد أفضت فيها ثلاثين سنة متواصلة من البحث والتفكير كما أشار إلى ذلك جون جروجون وهذه لا شك من الإيجابيات التي تحسب لهذه المستشرقة التي توحى أنها قد وفّت العمل حقه من الوقت، وأنها كانت متريثة ومدققة وعلى غير عجلة من أمرها، وهو ما يعطي للعمل أهميته وقيّمته.

إنَّ تقييمي لترجمة معاني القرآن الكريم سيرتكز أساساً على إعتبار الأسلوب خياراً متاحاً للمترجمة فيما يتعلق بشكل النص، وإختيار الكلمات والمصطلحات والتعبير والصور البيانية والبلاغية، والبنى النحوية للجمل والعبارات الفعلية والتراكيب اللغوية وأنماطها، والسمات الصوتية والمحسّنات البديعية المختلفة ، وإختيار المترجمة لشكل معين للنص دون غيره، ولنمط معين من الجمل، ولللفة دون سواها، ولسمة صوتية دون غيرها، يعني أنها فضلتها على غيرها المتاحة لها في مخزون اللغة، وإذا أغفلتها ، يعني أنها إختارت ذلك كحل أفضل من إستخدامها، وإذا زادت فيها أو أنقصت، فيعني هذا أنها رجحت الزيادة على النقص، أو النقص على الزيادة.

وستقوم دراستي على تحليل و تقييم ترجمة **دونيير ماسون** لمعاني القرآن الكريم، ثم تقارن خياراتها بأسلوب النص القرآني الأصل، وإلى أي مدى وفقت أو فشلت في نقله ولو بشكل تقريبي، مما سيمكنني من الحكم على أسلوب المترجمة وإنعكاس ذلك على المعنى، وبالتالي إنصافها

والحكم على ترجمتها من خلال العمل المقدم، من دون التأثير بآراء وأحكام سابقة على شخصيتها سواء كانت إيجابية أو سلبية. وأعتقد أنَّ معظم الباحثين والنقاد في هذا المجال قد غالوا في هجومهم على الترجمات الإستشراقية بشكل عام، وأطلقوا عليها أحكاماً تعميمية ولم يستثنوا منها أحداً من المستشرقين، إذ إتسمت بعض هذه الأحكام بالجور أحياناً، لأنها بنيت على السلبات، مع إغفال تام للإيجابيات، حتى إنَّ بعض الباحثين نبشوا سلبات لا وجود لها، بغية دعم حججهم، وهذا ليس من الإنصاف.

تصرح **دونيز ماسون** بادءاً أنها إعتمدت في الترجمة على النسخة الرسمية للمصحف التي طبعت بالقاهرة سنة 1923م ، والتي تعتمد عليها السلطات الإسلامية الرسمية. وقد إستعانت بترجمتي بلاشير، و حميد الله وتفسير كل من البيضاوي و الزمخشري و جلالين⁽¹⁾، كما يلاحظ أنها إتخذت عدة مراجع أجنبية تطرقت إلى موضوع الإسلام عامة أو القرآن خاصة، مراجع ذات سيط محدود و ليست واسعة الانتشار⁽²⁾.

ومما يلاحظ جلياً في هذا العمل، تميز المترجمة ببساطة أسلوبها، وبعدها عن الترجمة الحرفية، وحرصها على أداء المعنى مع مراعاة خصائص اللغة الفرنسية التعبيرية، فجاءت ترجمتها بعيدة عن التعقيد سواء في الألفاظ أو المعاني، وسهلة سلسلة الأسلوب بحيث يستطيع أن يفهمها ويستسيغها كل قارئ عادي له مستوى بسيط في معرفة اللغة الفرنسية، ولولم يكن من ذوي الاختصاص، وهذا الأسلوب السهل في إستخدام الألفاظ كان طاغياً عند المترجمة مما سهل الفهم. لكنها في الوقت ذاته ، إبتعدت عن روح الأصل ووقعه وبلاغته، و مما زاد الطين بلة قلة بضاعتها في العربية، وفهمها السطحي لكثير من الآيات تبعاً لذلك - كما سيتبين لنا من الأخطاء الكثيرة التي إرتكبتها- و ذلك لعدم رجوعها إلى التفاسير المعتمدة عندما يشكل عليها

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P92

(2) L.Massignon, Situation d'Islam, Opera Minora1, 1939/ Torrey, The commercial theologie terms in the Koran 1862/ L.Gardet, Connaitre l'Islam...

الفهم، أضف إلى ذلك أنها بالمقابل كثيرا ما تلجأ إلى الكتب الدينية السابقة من تورا و إنجيل وغيرها، تستعين بها على فهم الآيات المتعلقة بأخبار الأمم الماضية، أو تستقي منها المادة اللازمة للتعليق على ترجمة هذه الآيات وتسويغ إختياراتها، و هذا في نظري خطأ فادح.

ولقد تبين لي بعد الدراسة المعمقة للكتاب، أن طريقة المستشرق في الترجمة تعكس جليا نظرتها للإسلام الذي من الواضح أنها تعدّه إمتدادا لليهودية والمسيحية التي تتفق كلها في جوهر العقيدة التوحيدية ، وذلك لكثرة مقارنتها القران بالتورا والإنجيل في ما تطرقت له من قضايا في مقدمتها، أوحى في تفسيرها للألفاظ المبهمة، وهذا التصور قد يكون صحيحا إلى حد ما، ولكنه لا ينبغي أن يحجب عنا حقيقة مهمة وهي أنّ للإسلام عقيدة وشرعية لها خصوصيات تميزه عن سائر الأديان بما فيها الكتابية، ولما كانت هذه الخصوصيات تتجلى أكثر ما تتجلى في القران الكريم، فعلى المترجم أن يبذل قصارى جهده لإبرازها، والتعبير عنها في لغة الترجمة، وذلك مثلا عن طريق إعتداد أفضل التفاسير وأشهرها لفهم الكتاب الكريم، ونقل معانيه والمفاهيم والمصطلحات الإسلامية التي يتضمنها نقلا دقيقا أميناً، يميز بينها وبين المفاهيم التي تشبهها في الديانات الأخرى، وهذا بالنسبة لي، هو النهج السليم في نقل معاني القرآن الكريم، وهو نهج يخالف ذلك الذي سارت عليه دونيز ماسون، حيث لم تستطع "أو لم ترد" التمييز في ترجمتها بشكل واضح وصريح بين المفاهيم والمصطلحات الإسلامية (زكاة، صلاة، صدقة، إلخ) كما سنرى لاحقا.

إنّ أول ما لفت إنتباهي -الوهلة الأولى- عند تفحصي لترجمة ماسون لمعاني كتاب الله، هو إختيارها لكلمة واحدة فقط كعنوان للترجمة وهي **القران**، والتي توحى بأنّ هذه النسخة المترجمة إلى الفرنسية هي الأصل عن النسخة العربية الأصلية ، وأنّ هذا القران بالفرنسية هو تماماً ما أنزل بالعربية، وهذا في نظري خطأ جسيم، فكان الأولى كتابة "ترجمة معاني القران للفرنسية" أو "القران مفسرا بالفرنسية" أو غيرها من العناوين التي لا تدع مجالا للبس أنّ هذه الترجمة من شأنها معادلة كتاب الله.

ثانياً، أنَّ النص المترجم مكتوب بشكل متقطع و بطول متباين "آية تحت آية"، و أحيانا حتى الآية الواحدة تقسم جزئين أو أكثر، مما أعطى وقفا مشبوها للآيات، وأدَّى غالبا إلى تغيير المعنى الذي جاء به القرآن، و ذكرت ماسون في مقدمتها أنها قامت بهذا مستوحية من السور الأخيرة للقرآن الكريم، التي جاءت حسبها "مقطعة"، فمعنى آية ما لا يكتمل إلا في التي تليها، لذا فإنَّ الشكل الذي عمدت إليه في الترجمة، من شأنه إبراز تلك الوقفات، أضف إلى ذلك أنَّ الآيات في السورة الواحدة تقول ماسون جاءت متضاربة، تارة كشدة عصا للكفار، وأخرى كنور ساطع يمجّد إسم الله، مما جعلها تختار هذا الشكل من الكتابة الذي لم يكن -في نظري- أمينا للأصل البتة، وهنا أتساءل لما لم تبقي ماسون على أسلوب القرآن الرائع في رسم الآيات متتالية الواحدة تلوى الأخرى، مما يحفظ تناسق النغم و المعنى في آن واحد .

إنَّ القرآن الكريم غنية بالسّمات الصوتية والمحسّنات البديعية المختلفة مما أثّر في الأسلوب القرآني وميزه عما سواه من الكتب، إنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

لذا فإنه يؤخذ على ماسون أنها شغلت نفسها كثيرا بإستنباط أنماط إيقاعية ومجموعات نسقية أشبه ما تكون بالفقرات، وأيا ما كانت تعني بهذا، فقد جانبت الصواب فيه، وفي جعل شكل نص الترجمة يبدو كالشعر الفرنسي، فمن الواضح أنها قد سعت جاهدة أن تظهر شيئا من الإيقاع في ترجمتها مما أعطى إنطباعاً مغايراً لما أرادت المترجمة أن تعطيه له ربما، ولو أنها إهتمت بتقييم الآيات ورسمها حسب الأصل العربي، لكان خيراً لها وأشدّ تثبيتاً.

إنَّ هذا الشكل من النصوص الذي إعتمدته المستشرقة في نظري ممل، وقد إنعكس سلباً على الترجمة، ولا ينم عن تقدير المترجمة لخصوصية الشكل العام للنص الأصل حق التقدير، لأنه لا وجود للفقرات أو لأي نوع من التقسيم أو التجزئة للسورة الواحدة في القرآن الكريم، أو حتى الفصل بين الآيات بمسافة كما فعلت ماسون، فالآيات تحوّلت إلى جمل أو أجزاء جمل منفردة يصعب تمييزها بسهولة عند القراءة، كما أنَّ المترجمة قسمت بعض الآيات إلى أكثر من جملة لتضاف سلبية أخرى للشكل العام لنص الترجمة.

و إذا ما رجعنا إلى أسلوب المستشرقة في الترجمة -محل بحثنا هنا- نجد لها تباينا في مراعاة خصائص أصل النص، فإذا نظرنا إلى "أسلوب التبجيل" -الذي يعد واحدا من أروع أساليب القران- فإنه يلحظ على **دونيز ماسون** قلة إستخدامها له إذا ما قارناً ذلك بالأصل، فعلى سبيل المثال ترجمة قوله تعالى " **واذكر في الكتاب مريم**" (مريم 16) كالتالي ⁽¹⁾:

"Mentionne Marie , dans le Livre"

مما قلل من أسلوب التبجيل في نظري، وكان من الأحسن في نظري القول:

« Commémore dans le livre, Marie »

أما فيما يتعلق بلفظ الجلالة "الله" والإشارات والضمائر العائدة إليه، فقد أوفتها حقها من التبجيل والتقديس، حيث إستخدمت الحرف الكبير للفظ "الله" وللضمائر العائدة عليه، ولو أنها أخطأت في ترجمة لفظة الجلالة "الله" كما سنرى لاحقا، وهذه نقطة غاية في الأهمية، فالتبجيل يحصل في الكتابة بالفرنسية، كما يحصل في الترجمة وإختيار الألفاظ **Dieu , Seigneur, Le Mésiricordieux, Le Puissant ; le Juste** المناسبة.

وعلى عكس أسلوب التبجيل، فقد أعطت المترجمة حظاً أوفر لأسلوب الإحتشام البارز في القران الكريم، وحرصت على الحفاظ عليه، وإبتعدت عن الألفاظ المبتذلة التي قد تصدم القارئ وتعطيه فكرة سيئة عن القران، وكمثال على هذا، ترجمتها لقوله عز وجل " **و راودته التي هو في بيتها عن نفسه و غلقت الأبواب و قالت هيت لك**" (يوسف 23) كالتالي ⁽²⁾:

**"Celle qui l'avait reçu dans sa maison s'éprit de lui,
elle ferma les portes et elle dit :
« Me voici à toi »"**

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P372

(2) المرجع السابق، ص 285

أيضا ترجمتها لقوله عز و جل في الآية 24 من نفس السورة " و لقد همت به هم بها" كالتالي⁽¹⁾ :

"Elle pensait certainement à lui et il aurait pensé à elle"

و إن لم تكن الترجمة صحيحة كما سنرى لاحقا، إلا أن الذي يهمنا هنا هو إبتعاد المترجمة عن أسلوب الإبتدال، وعدم إستعمالها للألفاظ الخادشة للحياء. ومن الأشياء الإيجابية التي تحسب للمترجمة الإتساق في إستخدام الألفاظ و المفردات، إذ حافظت على نفس الترجمة للفظ الواحد في أغلب النص بإستثناء البعض التي أعطت لها عدة ترجمات كلفظ "أمي" الذي تطرقت إليه في المقدمة والذي ترجمته مرة بكلمة "خائنين" في الآية 78 من سورة البقرة " ومنهم أमीون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى " :

"Certains d'entre eux sont infidèles.

**Ils ne connaissent pas le Livre,
mais seulement des contes imaginés"**

و أخرى بكلمة " رسول الوثنيين" في قوله تعالى "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل" (الأعراف157)⁽²⁾ :

"Pour ceux qui suivent l'envoyé :

Le Prophète des Gentils "

كما يعاب عليها أيضا إضافة كلمات وإشارات و ضمائر في نص وهذا من عدم الأمانة العلمية في رأيي، فنلاحظ أنها أضافت عبارة "ما هي إلا " في الآية 44 من سورة يوسف "قالوا أضغاث أحلام

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P285

(2) المرجع السابق، ص 203

و ما نحن بتاويل الاحلام بعالمين" ، مع أنها غير موجودة⁽¹⁾:

"Ils dirent :

« Ce n'est qu'un amas de rêves ;

Nous ne savons pas interpréter les rêves »"

في حين أنها أحيانا تقوم بحذف كلمات أو ضمائر كما تبين لي في نفس الآية، حيث حذفت واو العطف من الترجمة ، وأعادت بدء الجملة من جديد بقولها "نحن لا نعلم تاويل الأحلام" بدلا من " و ما نحن بتاويل الأحلام بعالمين" .

أما عن أسلوب التفسير في الحواشي، فقد إعتمدت ماسون بشكل كبير عليه نظراً للحاجة الماسة لتفسير وشرح وتوضيح معاني الآيات، وإلا فستبقى الكثير من الكلمات مبهمة بالنسبة للقارئ الأجنبي، فالمسلم الذي لم يتعلم العربية والعلوم المساعدة، يجهل مضامين القرآن، وبالتالي أظن ماسون محقة في هذا الشأن، كما أنها إختارت عدم إبراز كلمات أو تعابير معينة داخل الآيات بأسلوب الكتابة المائلة أو الداكنة كما قد يفعل غيرها، وذلك حفاظا على إيلاء أهمية متساوية لآيات القرآن الكريم، وبهذا الأسلوب ضمنت حيادها في هذا الصدد.

ولكن ما تلام عليه كثرة المغالطات التي جاءت في هذه الحواشي، والتي كان معظمها تفسيرات نصرانية أو إسرائيلية مأخوذة من كتاب غير مسلمين كما سبق و أن أشرت اليه في تعليقي على المقدمة، أضف إلى ذلك قلة المصادر التي إستعانت بها في ترجمتها إذ تكررّ عندها ذكر أسماء ثلاثة مفسرين فقط، وهم: البضاوي، والنمخشري، وجلال الدين، و إسمين مترجمين هم ريجيس بلاشير و حميد الله ، وهم ليسوا من الأسماء المشهورة في هذا المجال ، مما يعني أنها لم تتوسع كثيراً في قراءتها لمعاني القرآن الكريم وتفسيره، كما أنّ الإعتماد على ترجمة لمستشرق مشبوه - كبلشير - كفيلة بالحكم على ماسون بعدم الموضوعية ونقص الأمانة العلمية وأحسب أنه من

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, 288

الصعب الحكم على هذه المغالطات عموماً، ما إذا كانت مقصودة أم غير مقصودة، ولكن سوء النية يظهر أحياناً جلياً كما سأشير إليه، إذ تتردد هذه المغالطات عند المستشرقين بشكل عام، ذلك أنه مهما كان الواحد منهم حيادياً أو موضوعياً، فهو نصراني أو يهودي متأثر بعقيدته بشكل أو بآخر، والدليل ذلك أن معظمهم قد بقي على دينه بعد ترجمة معاني القرآن مثل ماسون، ولو أسلمت لاختلف الأمر تماماً وهذا ما يوحى بغفلتها عن حقيقة هذا الكتاب العظيم، و تمسكها بمعتقداتها النصرانية الخاطئة.

يبدو أن من أخطاء منهج ماسون في اعتماد مصادر ومراجع معينة عدم الإكتراث بموثوقيتها، لهذا نجد أنها تسعى إلى فرض فكرة معينة وتكريسها دون أن تلقي بالا إلى المصادر التي ترمي مضامينها إلى نقيض ما تذهب هي إليه، وهي تعتمد في الغالب على تقديم كتب ثانوية وغير موثوقة على ما هو معروف من كتب موثوقة ومعول عليها.

أما بالنسبة لأسلوب التوكيد بارزاً الإستعمال في القرآن الكريم، فلم تفلح المترجمة في نقله في أغلب الأحيان بمختلف أوجهه "بأنّ ونون التوكيديتين"، "بالمفعول المطلق"، "بلام الإبتدائية"، و الأمثلة في هذا كثيرة ، كترجمتها لقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تَنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة6) ⁽¹⁾ :

"Quant aux incrédules :

Il est vraiment indifférent pour eux

Que tu les avertisses

ou que tu ne les avertisses pas ;

Ils ne croients pas"

فلاحظ جلياً إغفال المترجمة لتوكيد "إِنَّ" و إستبدالها بالكلمة المسطر عليها ، مما يغير المعنى تماماً.

كذلك الحال في قوله تعالى "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا"

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P4

(البقرة 26) كما يلي (1)

**"Dieu ne répugne pas
à proposer en parabole un moucheron
ou quelque chose de plus relevé"**

فلا نرى أثراً لـ "إنَّ" التوكيدية في الترجمة.

مثال آخر عن إغفال المترجمة لأسلوب التوكيد، إهمالها للمفعول المطلق، كترجمتها لقوله تعالى في
"لقد أحصاهم و عدّهم عدّاً" (مريم 94) (2) :

**"Il les a dénombrés ;
Il les a bien comptés"**

فلا نرى أثراً للمفعول المطلق، إذ كان يلزمها في نظري إضافة « certes » لإظهار التوكيد
لتعطينا الترجمة ما يلي:

**"Il les a dénombrés ;
et certes bien comptés"**

و عن "نون و لام التوكيديتين"، نجد المترجمة قد تفاوتت في إبرازهما بين التوفيق والإخفاق، فقد
ترجمت قوله تعالى - " لئن أخرجوا لا يخرجون معهم و لئن قوتلوا لا ينصرونهم و لئن
نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون " (الحشر 12) - بإغفال تام التوكيد (3) :

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P7

(2) المرجع السابق، ص 381

(3) المرجع السابق، ص 685

**"Si les gents du Livre sont expulsés,
Les hypocrites ne partiront pas avec eux.
Si on les attaque ,
ils ne leur porteront pas secours ;
et s'ils leur portaient secours,
ils leur tourneraient en suite le dos,
puis ils ne seraient pas secourus"**

بينما أبرزته في الآية 13 من نفس السورة بإضافتها "certainement" عند ترجمتها لقوله تعالى "لأنتم أشدُّ رهبة في صدورهم من الله" فجاءت كالتالي⁽¹⁾

**"Vous jetez certainement dans leurs cœurs
plus de terreur que Dieu lui-meme"**

أما بالنسبة لأسماء الأعلام "أسماء أشخاص، أديان، أقوام" والذي اعتبره بالغ الأهمية في ترجمة معاني كتاب الله، نرى أنَّ هناك إختلافات بينة في التعامل معها. ومما يلفت النظر في هذا الصدد ، أنَّ القرآن الكريم يستعمل أحيانا إسم الموطن للدلالة على أهله وسكانه، وذلك على سبيل المجاز، ويتضح ذلك بجلاء في "سبأ" الواردة في قوله تعالى "وجئتك من سبأ بنيا يقين" (النمل22)، و"مدين" في قوله تعالى "وإلى مدين أخاهم شعيبا" (الأعراف85).

وقد فطنت المترجمة إلى هذا الاستعمال القرآني في الآية الأولى⁽²⁾، حيث كتبت "سبأ" مسبوقه بأداة التعريف في حالة الجمع، مما يفيد أنَّ هذا الاسم يدلُّ في سياقه القرآني على أهل سبأ، لا

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P685

(2) المرجع السابق، ص 465

على إسم موطنهم في جنوب الجزيرة العربية، ما جاء في تفسير ابن كثير⁽¹⁾ حيث ذكر أنّ "سبأ" تعني ملوك اليمن.

"Je t'apporte une nouvelle certaine des Saba"

و فيما يتعلق "بمدين"، يلاحظ أنّ دونيز ماسون قد اضطرت إلى إضافة عبارة "أهل"⁽²⁾ أي أنها إعتبرت توظيف "مدين" هنا يشير إلى المدينة، بينما جاء بها القرآن الكريم للدلالة مجازا على أهل مدين كون مدين تطلق على القبيلة وعلى المدينة معا كما جاء في تفسير ابن كثير⁽³⁾ و بالتالي لا حاجة لإضافة كلمة "أهل" للدلالة على قوم مدين كما فعلت ماسون.

أما بالنسبة إلى الأعلام القرآنية المبدوءة بكلمة "أصحاب" كأصحاب الأخدود، أصحاب الأيكة، أصحاب الحجر، أصحاب الرس، أصحاب الكهف إلخ فإنّ تواتر المترجمة على أن تكتب كلا من "أخدود و أيكة و الكهف" بالحرف الأتي مع التفسير - ماعدا الرس - الذي ترجمته بالبئر. و إذا ما رجعنا إلى تفسير ابن كثير، نجد أنه أعطى عدة احتمالات لكلمة رس "و أما أصحاب الرس فقال ابن عباس هم أهل قرية من قرى ثمود، و قال عكرمة أصحاب الرس بفلج و هم أصحاب يس، و قال قتادة فلج من قرى اليمامة، وعن عكرمة الرس بئر رسوا فيها نبيهم أي دفنوه"⁽⁴⁾، وبالتالي فقد إختارت المترجمة الإحتمال الأخير ألا و هو البئر.

"امرأة العزيز" وقد خصصتها بالذكر لأنها أولا وردت في قصة يوسف، وهي أطول القصص القرآنية وأدناها على الأسلوب القصصي القرآني، ترجمتها ماسون "بزوجة المكلف بتدبير الأموال

(1) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، 1393هـ، المجلد الثاني ص 669

(2) Denise Masson, Le Coran, Volume 1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P192

(3) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، 1393هـ، المجلد الثاني ص 35

(4) المرجع السابق، ص 232

العامة أو القائم على خزائن الدولة "la femme de l'intendant"⁽¹⁾ وهي ترجمة -وإن لم تكن نقلا حرفيا دقيقا للكلمة القرآنية- نجد له سنداً يؤيده من سورة يوسف نفسها، فقد أطلق لقب العزيز على سيدنا يوسف عليه السلام نفسه، بعد أن تولى تدبير خزائن مصر، كما يدل على ذلك قوله للملك، كما حكى عنه القرآن الكريم في الآية 55 من سورة يوسف: "إجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم".

هناك كثير من الألفاظ القرآنية تعاملت المترجمة معها تارة على أنها مفردات عامة ومن ثم ترجمت معناها، وتارة على أنها أسماء أعلام فأبقتها على حالها مكتوبة بالحرف اللاتيني. ومن هذه الألفاظ آخذ على سبيل المثال: "سدرة المنتهى" و"جنة المأوى" الواردتان في سورة النجم آتي 14-15 فقد ترجمتهما باللغة الفرنسية⁽²⁾ وكتبتهما في الحاشية بالصيغة العربية بالحرف اللاتيني على أن "المنتهى" إسم مكان و "المأوى" إما الجنة كما تعرف عند العموم، وإما إسم مكان، وهذا أحسبه تضليلا للقارئ، الغاية منه طمس الصبغة الروحية الغيبية، والنفحة القدسية السامية التي يستشفها كل قارئ منصف من القرآن عامة، ومن أول سورة النجم التي وردت فيها العبارتان المذكورتان بشكل خاص، وذلك بتحميل الألفاظ دلالات مادية محسوسة، وذلك في رأيي كله تحريف ظاهر للنص القرآني، وتضليل لقارئ ترجمة معانيه.

"à coté du jujubier de la limite

auprès duquel se trouve le Jardin de la Deumeure "

وهنا أيضا ، نلاحظ التعويل في التعليق لشرح ترجمة معاني القرآن الكريم على مصادر غير إسلامية وغير موثوقة، وهو مذهب لا أطمئن إليه، فترجمة الكتاب الكريم، مثلها مثل التفسير، لا

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P290

(2) المرجع السابق، ص 655

ينبغي أن تعتمد إلا على المعلومات الواردة في القرآن نفسه، أو في الحديث الصحيح أو في غيرهما من المصادر المتفق على صحتها.

وفي نهاية إستعراض منهج ماسون في ترجمتها لمعاني القرآن الكريم، يتبين لي أنَّ الوفاء بالنص الأصل، وعدم الخروج عنه، أمر في غاية الأهمية في ترجمة معاني القرآن الكريم، والمقصود بالدقة هنا ليست إشارة إلى الكلمات فحسب، بل إلى الأسلوب والقواعد أيضاً، أي إلى الجمل والعبارات الفعلية والإسمية، والزمن، والتقديم والتأخير، والتوكيد، والمحسنات البديعية والإيقاعات الصوتية، وما إلى ذلك، فعادة ما يكون أمام المترجم -بشكل عام- خياران عند ترجمته أي نص: إما أنه لا يلتزم بالنص الأصل فيخرج عنه، أو يزيد عليه وينتقص منه، وبذلك تنتفي الدقة والأمانة من ترجمته، أو يلتزم بالنص الأصل بحذافيره، بحسب ما تسمح به معايير اللغة المترجم إليها وقواعدها ومفرداتها وأسلوبها، وبذلك تتحقق الدقة والأمانة. بعبارة أخرى، إحترام النص الأصل والتقيّد به والوفاء له، مما يقتضي بالضرورة إحتراما ووفاء لصاحبه. لكن تتفاوت درجة الدقة هته بتفاوت أنماط النصوص، وتعدّ النصوص الدينية أدق النصوص في الترجمة نظراً لحساسيتها وخصوصيتها ومكانتها بين الناس، وتختلف بدورها في درجة دقتها، ويعدّ القرآن الكريم الكتاب المقدس الوحيد الذي يستدعي الدرجة القصوى من الدقة في نقله إلى اللغات الأخرى، لسبب فريد يميزه عن أي كتاب مقدس آخر، ألا وهو أنه كلام الله الذي لم يحرف.

والدقة تكون بتتبع النص الأصل معنا وأسلوباً من دون تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقصان بقدر ما تسمح به اللغة الهدف المنقول إليها، وما كان متعذراً نقله، فينسخه المترجم نسخاً لفظياً مرافقاً بالشرح، أو يشرحه شرحاً بين قوسين وفي متن نص الترجمة، أو في حاشية إذا كان منفصلاً، وينبغي مراعاة القواعد العامة المتبعة في اللغة الهدف لأنماط الجمل والعبارات الفعلية، وغيرها من البنى القواعدية.

أما عن الأسلوب، فلا يجوز التصرف فيه إلا إذا تعذر ذلك طبقاً لمعايير اللغة الهدف بذلك، كقوله تعالى في الآية 42 من سورة الزمر "الله يتوفى الأنفس حين موتها"، حيث نلاحظ هنا تقديم لفظ الجلالة الفاعل على الفعل، ليصبح مبتدأ نظراً لأهميته وتوكيده، وضرورة البدء به قبل كل شيء آخر في هذا السياق، لأنه بيده وحده سبحانه أن يتوفى الأنفس، غير أن نقلها للفرنسية لا يحتمل التقديم والتأخير، لأن قواعد الفرنسية وأسلوبها الطبيعي أن تبدأ بالفاعل ثم الفعل، فلا يظهر عندها التوكيد الحاصل في الأصل، وبالتالي أرى أنه يترتب على المترجم إضافة كلمة أو عبارة لإظهار هذا التوكيد المراد في النص القرآني، كأن يقول:

« **C'est Allah qui accueille les ames au moment de leurs mort** »

و ليس الإكتفاء فقط بالقول:

« **Allah accueille les ames au moment de leurs mort** »

إذن لا مجال للتضحية بشيء في النص القرآني في الترجمة، ولا حتى بالحرف (كما ذكرنا في الفقرة السابقة)، فكل له معنى، ففي حال اختلاف قواعد اللغة الهدف ومعاييرها عن اللغة العربية الأصل، فالأولوية دائماً للنص القرآني، ونص الترجمة وأسلوبه وثقافته ومضمونه ومعناه ومبناه تقاس عليه، بحيث تؤدي معناه المطلوب دونما خلل في ذلك، من خلال لغة وأسلوب وقواعد صحيحة وغير ركيكة، وبذلك تتحقق الدقة في أقصى درجاتها.

و لملامسة المترجم ترجمة غاية في الدقة فعليه ترجمة لمعنى الكلمات في سياقها بقواعد اللغة الهدف، مما يتطلب متابعة دقيقة للكلمات ومعانيها في سياقها على أن تصاغ بقواعد صحيحة وحينما تكون قواعد اللغتين ومعاييرهما متطابقة فترجح كفة اللغة الهدف حفاظاً على سلامة اللغة وقواعدها وتجنباً للركاكة. فأحياناً قد لا يوجد في اللغة الهدف، كلمة واحدة كمرداف للكلمة الأصل، مثل: هيت لك - همت به - هم بها - والنازعات - والناشطات - والسابحات - والمرسلات - والسابقات وغيرها، فيضاف إليها آلاف الكلمات التي لا يوجد لها مرداف كلمة

بكلمة في الفرنسية، وعلى رأسها المصطلحات الإسلامية الأساسية كالصلاة والزكاة والصوم والجهاد والركعات وغيرها كما سبق وأن ذكرت في مشاكل ترجمة معاني كتاب الله الكريم، فليس لبلاغته نظير كما هو معلوم.

وهكذا إذن، يتبين لنا عقم منهج ماسون عموماً في دراسة القرآن الكريم وعلومه، كونه منهج يعالج الظواهر والوقائع وفق منظور مادي وعقلي محض، وهذا ما لا يتناسب ودراسة القرآن الكريم التي لا يخضع لمنهج التجربة، ولا يمكن أن يطوع لأحكام العقل، وإذا كانت هذه المستشرقة قد درست التوراة والأنجيل وفق تلك المناهج المادية وفي إطار من الدراسات الدينية المقارنة، فإن أمر القرآن الكريم يختلف عن ذلك، فهو وحي إلهي لم تمسه تحريفات الإنسان أو تغييرات الزمان، لذلك وجب على من يدرسه ويحلل قضاياها أن يدرسه بعقلية تؤمن بالغيب وما يترتب على ذلك، وليس من المتاح لفئات المستشرقين قدامى كانوا أو معاصرين، التخلص من خلفياتهم الفكرية التي نسجتها بيئات معينة وظروف خاصة، ولا من رؤاهم المادية والتغريبية التي أملتتها عليهم في البحث والتحليل.

المبحث الثاني: من أخطاء دونيز ماسون في ترجمتها لمعاني كتاب الله

"لو أُعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم، لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه، لأنه كلام الله، وكلامه صفته، وكما أنه ليس لله نهاية، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه، وإنما يفهم كل بمقدار ما يفتح الله عليه، وكلام الله غير مخلوق، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة"⁽¹⁾.

إنّ كل من ترجم القرآن، يعرف حق المعرفة أنّ نصه غير قابل للترجمة، ولعلّ هذا ما دفع المترجمين إلى إبراز مواهبهم للبحث عن المستحيل، وبالتالي وقوعهم في الخطأ، وهنا أ طرح الأسئلة التالية: ما علاقة المترجم بترجمة القرآن الكريم؟ وما مدى إطلاعه على المبادئ الإسلامية وإستيعابه لها إذا وضعنا بعين الاعتبار أنّ كل من أقدم على ترجمة معاني القرآن الكريم يفترض فيه إمام شامل بعلوم الإسلام وأصول التشريع؟

لقد سردت **دونيز ماسون** في مستهل الترجمة، ما رجعت إليه من تفسيري "البضاوي والزمنشري" كما سبق و أن ذكرت، لكنها لم تخبرنا بما أمكن الرجوع إليه من كتب الفقه والأصول مثلاً، وهذا ما جعلها تقع في أخطاء فادحة، إن كان على مستوى إصابة المراد بإيجاد اللفظ المناسب، أو على مستوى إستيعاب المبادئ والأحكام الواردة في القرآن الكريم وفهمها، وسأحاول بعد قليل التعرض لبعض الهنات والنواقص التي أصابت محاولتها، والتي جعلتني أشك في مدى مصداقية رأي الشيخ الراحل صبحي الصالح، الذي و صفها بإحدى أجود الترجمات أو بالأحرى أكثرها وفاء لمعاني القرآن، وذلك حسب ما قرأته في مقالة على www.chiffa.net

فبعد تمنن، وجدت أنّ الأخطاء التي إرتكبتها المترجمة تنقسم إلى قسمين: أولهما يتعلق بفهم النص القرآني الذي يقتضي تمكنا من اللغة العربية، وطريقتها في التعبير عن الأشياء، ومما عزز وجود هته الأخطاء إستناد المترجمة إلى ترجمات سابقة، هي في ذاتها محل إنتقاد جمع من

(1) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، المجلد 1، ص9.

العلماء المسلمين كترجمة "بلاشير" و"حميد الله".

أما القسم الثاني، فهو إقدامها على ترجمة بعض الآيات أوالمقاطع بعبارات تبدو غير صحيحة ومخلّة بالمعنى، مما جعلني أتساءل مرة أخرى عن مدى إستفادة ماسون من التفاسير الكثيرة الموثوقة، فإذا كانت تجهل مسائل ومباحث، قد عقد لها المفسرون والفقهاء فصولاً مطولة، فإنّ جزئيات الأمور المتعلقة بالتفسير القرآني، هي من باب أولى أبعد من أن تخطر على بالها، أو بالأحرى أن تستوعبها.

إنّ دور ترجمة معاني القرآن الكريم أن تكون مقربة إلى إدراك المعاني الحقيقية للوحي الإلهي وميسرة لفهم المسائل المتعلقة بالتفسير والتأويل، مع الأخذ في الحسبان الخصائص الأسلوبية والبنى اللغوية، التي تعدّ بلا جدال من جملة المقدمات الضرورية التي يتوصل بها إلى التفاعل مع القرآن الكريم، و رغم أنّ ترجمة ماسون أحسن من غيرها من ناحية الدقة في المعنى ووضوح اللغة وسلاستها وفصاحة الأسلوب، إلّا أنّ الوقوع في الأخطاء المتكررة أمر لا مفر منه، ولاسيما تلك الأخطاء اللغوية التي ترجع إلى كون المترجمة ليس من أهل العربية، وقد تسيء فهم لفظ معين فتفسره بمعناه الحرفي، أو قد لا تدرك المعنى المقصود من بعض التعبيرات القرآنية، ويحصل ذلك كثيراً في ترجمتها كغيرها من المترجمين حتى المسلمين أو العرب منهم، وقد يحصل عنده الخلط بين الألفاظ فيستخدم لفظاً مكان آخر، كما قد يحصل الخطأ نتيجة تعمد المترجمة تغليط القارئ بإعطاء معنا آخر للفظة القرآنية، فليس بوسعنا الحكم عليها لأنّ الله وحده يعلم بما في الصدور كما سبق و أن أشرت إليه.

ويعرّف الطبري "المعنى" بأنه المراد الخفي الذي تقوم الألفاظ شاهدة عليه دالة إليه، غايتها أن يدرك المخاطب قصد المخاطب ويفهمه. ولأنّ الفهم هو الأساس الذي تقوم عليه الإبانة، يؤكد الطبري ضرورة أن تكون معاني كلام الله المنزّل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لمعاني العرب موافقة وظاهره لظاهر كلامها ملائماً، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة التي فضل بها سائر

الكلام والبيان" ⁽¹⁾، "فارتباط القرآن الكريم بلغة العرب التي نزل بها، والمزج بين المعارف الدينية واللغوية، ولّد حاجة ماسة إلى معرفة الألفاظ ومعانيها، وجعل العلماء يلتفون حول الآثار الأدبية العربية، ويستنبطون من ألفاظها العربية وطرائق تعبيرها ما يستعينون به في فهم كتاب الله" ⁽²⁾. ولعل الرجوع الى أشهر التفاسير، من أهم هذه العوامل المساعدة في الحصول على أقرب ترجمة للمعاني الأصلية لكتاب الله، والتفسير كما يقول الزركشي في "البرهان": "علم يعرف به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، وإستخراج أحكامه وحكمه، وإستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول لفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ" ⁽³⁾.

ويتضح من هذا التعريف أهمية فهم كتاب الله إستناداً إلى مجموعة من المعارف والعلوم، وفهم القرآن وتدبره يبدأ بالاهتمام بالعلوم اللفظية كما يشير إلى ذلك الراغب الأصفهاني في قوله: "وذكرت أنّ أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أول المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللبن في كونه من أول المعادن في بناء ما يريد أن يبينه، وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها إعتداد الفقهاء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم" ⁽⁴⁾.

إنّ أول ما يثير الإنباه في ترجمة ماسون لمعاني كتاب الله هو ترجمتها للفظ الجلالة "الله" بـ

Dieu في كل النص:

(1) علي بن ربن الطبري، الدين و الدولة في إثبات نبوة محمد، منشورات دار الأفاق الجديدة. بيروت، ط1، 1973، ص12.

(2) سعد كردي، بذور الدراسة الدلالية لألفاظ القرآن الكريم، مجلة التراث العربي، العدد 66، 1997، ص16.

(3) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة بيروت، ط1، ص13.

(4) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1961م، ص

(1) "Au nom de Dieu"

وهذا من الخطأ الفادح في نظري، فليس في اللغة الفرنسية لفظ يماثل لفظ الجلالة الله، فكلمة "الله" في اللغة العربية هي علم على الذات الإلهية العلية، وقد اختلف العلماء هل هي علم مشتق أو غير مشتق، فحسب رأي من يقول إنها غير مشتقة. وهي كأسماء الأعلام غير المشتقة -لا يمكن ترجمة اللفظة إلى الفرنسية، لأنَّ أسماء الأعلام لا تترجم، وأما الذين يقولون إنها مشتقة، فقد تعددت آراؤهم في اشتقاق الكلمة: فقال البعض إنها مشتقة من إله فحذفت همزته وأدخل عليه الألف واللام، وهو علم خاص بالباري تعالى ولهذا قال تعالى: "هل تعلم له سمياً" (مريم 65).

"ومعنى كلمة إله المعبود، وقيل هو من إله أي تحير، وتسميته بذلك إشارة إلى أنَّ العبد إذا تفكر في صفاته تحير فيها ولهذا روي: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذات الله، وقيل: أصله من لاه يلوه لياهاً أي احتجب، وقد ذكر أهل اللغة لأصل هذه الكلمة آراءً عديدة أخرى لا داعي لذكرها كلها هنا" (2).

وبناء على رأي من ذهب إلى أنَّ لفظ "الله" مشتق، فهي كما رأينا تحمل معاني عديدة، وهذه المعاني لا يمكن للفظ "Dieu" أن تحملها، ولهذا السبب فأنا أرجح عند الترجمة أن تبقى الكلمة كما هي وأن تكتب صوتياً باللغة الفرنسية "Allah" عن طريق "عملية التغريب" كما سبق وأن ذكرت في كيفية ترجمة المصطلحات الإسلامية، وأن يشرح معناها بين قوسين أو في الحاشية.

وهناك -في نظري- سبب وجيه آخر يدعو للإبقاء على الكلمة نفسها، وهو أنَّ المتلقي لكلمة Dieu باللغة الفرنسية يفهم الكلمة حسب معطيات ثقافته ودينه لمفهوم الإله، وهو الإله

(1) لم تترجم و لا مرة لفظ الجلالة "الله" بـ الله مكتوبة بالحرف اللاتيني

(2) (الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1961م، ص(32-32)).

بمعنى التثليث أو غير ذلك ، مما يناقض مفهوم الإسلام لله الواحد الأحد ، بينما لو أبقينا كلمة "الله" كما هي فسيضطر القارئ والمتلقي في اللغة الثانية ليكون المفهوم الصحيح لكلمة الله، وهذا أمر مطلوب ومهم في ترجمة معاني القرآن الكريم.

وقد يحتج بعض المترجمين الذين يفضلون الإبقاء على كلمة Dieu "الرب" بدلا عن كلمة "الله" بأنَّ المتلقي في اللغة الفرنسية قد يظن أنَّ لفظ "الله" يعني رب المسلمين والعرب فقط، وأنه مغاير لمدلول كلمة "Dieu" التي تعني عند ذلك المتلقي "رب كل الناس"، ولكن هذه الحجة غير مقبولة في نظري، ذلك أنه يمكننا أن نشرح الكلمة أول مرة، وأن نلفت نظر القارئ لمعنى لفظ "الله" الحقيقي بين قوسين أو في الحاشية.

كما لا يجب أن ننسى أننا نتعامل مع ترجمة للقران، وهو نص معجز، ومن الضروري المحافظة قدر الإمكان على ألفاظه ومصطلحاته وترجمتها بالطريقة الصحيحة خوفا من الوقوع في التحريفات فنقول: "بسم الله" « Au Nom d'Allah » وليس « Au Nom de Dieu »

و هنا جملة من أهم الأخطاء التي وقعت فيها المترجمة لمعاني كتاب الله.

- ترجمت قوله تعالى: "وما كنتم تكتمون" (البقرة:33) كما يلي⁽¹⁾:

"et ce que vous tenez secret"

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P8

فقد أسقطت ترجمة "كنتم" ليتغير زمن الفعل من الماضي إلى الحاضر ، وكان من كما الصحيح في نظري وضع حرف I بين "n" و "e" يلي:

"et ce que vous teniez secret"

- ترجمت قوله تعالى: "وتنسون أنفسكم" (البقرة:44) كما يلي⁽¹⁾:

" Alors que, vous-mêmes, vous (l') oubliez"

ومعنى هذه الترجمة: وأنتم بأنفسكم تنسونه، فقد جعلت كلمة "أنفسكم" تأكيداً لضمير الجمع في لفظ "وتنسون"، مع أنها مفعول به منصوب ، وعلامة نصبه فتحة ظاهرة في آخره، و لو كان تأكيداً لكان مرفوعاً، والصحيح القول:

"Vous-vous oubliez"

- ترجمت قوله تعالى: " إهبطوا مصر" (البقرة:61) كما يلي⁽²⁾:

"Descendez donc en Egypte"

أي "اهبطوا مصر" البلد المسمى حالياً "جمهورية مصر العربية" ، فقد جعلت كلمة "مصر" علماً لهذا البلد المعروف، في حين أنّ هذه الكلمة تعني مصرّاً غير معين، أي إهبطوا أيّ مصر، وهذا ما رجحه الإمام الطبري⁽³⁾ وبناء على ذلك فإن الترجمة الصحيحة تكون كما يلي :

"Descendez dans n'importe quelle ville"

- ترجمت قوله تعالى: "حتى يأتي الله بأمره" (البقرة 109) كما يلي⁽⁴⁾ :

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P10

(2) المرجع السابق، ص 12

(3) علي بن رين الطبري، الدين و الدولة في إثبات نبوة محمد، منشورات دار الأفاق الجديدة. بيروت، ط1، 1973، ص313..

(4) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P21

"Jusqu'à ce que Dieu vienne avec Son Jugement"

أي "حتى يأتي الله مع أمره"، ويبدو أنها لا تعلم أو لم تدرك أنَّ حرف الباء يستعمل في تعدية الفعل اللازم كما جاء في هاتين الآيتين الكريمتين: "فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بهامن المغرب" (البقرة 258) و"إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد" (فاطر 16)، وبالتالي فالترجمة الصحيحة تكون كما يلي :

"Jusqu'à ce que Dieu fasse venir son Commandement"

- ترجمت قوله تعالى "وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين" (البقرة 143) كما يلي⁽¹⁾

"C'est la vraiment un grand péché"

أي "هنا إثم كبير"، مما يخالف المعنى القرآني تماما، إذ جاء في تفسير ابن كثير⁽²⁾ بمعنى "أي أنَّ هذا الأمر (التوجه بالقبلة من بيت المقدس إلى الكعبة)، عظيم في النفوس إلا على الذين هدى الله" فالمستشرقة جعلت القارئ يفهم أنَّ التحول إلى الكعبة لأداء الصلاة، إثم كبير وهذا تشويه خطير للنص القرآني، لا أحسب المترجمة غفلت عنه. وبالتالي أقترح الترجمة التالية:

"C'est un changement difficile sauf pour ceux qui craignent Allah"

- ترجمت قوله تعالى "يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم" (البقرة 255) كما يلي⁽³⁾:

"Il sait :

Ce qui se trouve devant les hommes et derière eux "

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967,P27

(2) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، 1393هـ، المجلد الاول ص 138

(3) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P50

فقد ترجمت "ما بين أيديهم و ما خلفهم " ترجمة حرفية ،غير أنه جاء في تفسير ابن كثير⁽¹⁾ أن الآية تدل على إحاطة علم الله عز وجل بجميع الكائنات، ماضيها حاضرها ومستقبلها، كما أن المستشفقة ترجمت ضمير جمع المذكر "هم" بـ "الناس" مع أن هذا الضمير يشمل أيضا الجن والملائكة وغيرهم كما سبق و أن ذكرنا، والترجمة الصحيحة تكون في رأيي كما يلي:

"Ils connaît leurs passé et leurs futur"

- ترجمت قوله تعالى " وأن تصوموا خير لكم " (البقرة 184) كما يلي⁽²⁾ :

"Jeuner est un bien pour vous"

أي "والصوم حسن لكم" ، وهذا خطأ، لأن كلمة "خير" هنا إسم تفضيل، وبناء على ذلك فإن الترجمة الصحيحة تكون كما يلي:

"Il vaut mieux pour vous de jeuner"

- في قوله تعالى " وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها" (البقرة 205)⁽³⁾ ترجمت عبارة "وإذا" الشرطية بعبارة "Dès" (سرعان) ، فجاءت ترجمتها كما يلي:

"Dès qu'il te tourne le dos"

والترجمة الصحيحة تكون كما يلي :

"Et quant il tourne le dos"

- ترجمت قوله تعالى " ستذكرونهن " (البقرة 235) كما يلي⁽⁴⁾ :

"Dieu sait que vous pensez à telles femems"

(1) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393هـ، المجلد الاول ص230

(2) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P34

(3) المرجع السابق، ص 39

(4) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967,P43

أي "تذكروهن"، حذفت ترجمة حرف التسوييف "س"، والترجمة الصحيحة تكون كما يلي :

"Dieu sait que vous allez songer à ces femmes"

- ترجمت قوله تعالى "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" (البقرة 2) كما يلي⁽¹⁾:

"Voici le Livre

Il ne renferme aucun doute ;

Il est une Direction pour ceux qui craignent Dieu"

فوضعت كمقابل لكلمة "ذلك" كلمة **"Voici"** أي "ها هو"، ثم تناولت الآية من جديد وكأن لا صلت لها بها سبق، في حين أنه كان يجب القول:

"C'est le Livre qui ne renferme aucun doute, Il est un Guide pour les pieux"

- ترجمت "و الكافرون هم الظالمون" (البقرة 254) كالتالي⁽²⁾:

-Les incrédules sont les injustes-

أي قامت بحذف حرف "الواو" ووضع الآية بين عارضتين، وكأنها منفصلة تماما عما سبق، بينما تكون الترجمة الصحيحة كالآتي:

"Et ce sont les incrédules qui sont les injustes"

- ترجمت قوله تعالى "نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه و أنزل التوراة والإنجيل* من قبل هدى للناس و أنزل الفرقان" (آل عمران 3) كالآتي⁽³⁾:

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P4

(2) المرجع السابق، ص 50

(3) المرجع السابق، ص 59

**3"Il a fait descendre sur toi le Livre avec la Vérité ;
Celui-ci déclare véridique ce qui était avant lui**

**Il avait fait descendre la Tora et l'Evangile
4-direction, auparavant, pour les hommes-
et il avait fait descendre le discernement. "**

أهم ما نلاحظه هنا، أن المترجمة لم تحترم الشكل النصي للقران، وتصرفت فيه وفصلت جزءا من الآية الثالثة "و أنزل التوراة و الإنجيل"، وكتبته إلى جانب الآية الرابعة تعديا منها، و كأنه تابع لها، بينما هو خاتمة الآية الثالثة، كما أنها حذفت "واو العطف" من هذا الجزء وجعلته مستقلا وهذا من الخيانة في الترجمة، زد على ذلك إضافتها كلمات لا توجد في النص الأصل، وعدم توحيها الدقة في إعطاء مقابلات لكل الألفاظ، فالكلمة المسطر عليها أعلاه مثلا، لا وجود لها في القران الكريم.
و بالتالي كان عليها القول في رأيي :

**3—"Il a fait descendre sur toi le Livre avec la Vérité ; confirmant les
Livres descendus avant lui et Il Fit Descendre la Tora et l'Evangile
4 –auparavant, guide pour les hommes et il avait fait descendre le
discernement. "**

– ترجمت قوله تعالى "شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائما
بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم" (آل عمران 18) كالتالي⁽¹⁾:

**"Dieu témoigne
Et avec lui les anges
Et ceux doués d'intelligence :**

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1,Folio classique, Editions Gallimard,1967, P62

« il n'y a de Dieu que lui ;
Lui qui maintient la justice...
Il n'y a de Dieu que lui,
Le Puissant, le Sage "

أول ما يلحظ هو أنَّ المترجمة جعلت الفعل "شهد" في الحاضر، بينما جاء في النص القرآني في صيغة الماضي ،و بالتالي كان من الأجدر القول :

"Allah a témoigné "

و قد سبق لي أن تطرقت إلى ترجمة لفظ الجلالة "الله" فلا داعي لإعادة ذلك.

نلاحظ أيضا أنَّ ماسون ترجمت " أولوا " بـ "ceux doués d'intelligence" العلم".

بينما ما يصح هو « ceux doués de science »

كما أنها لم تراعي الإتساق في الآية، وقامت بتقسيمها كما بدا لها، و ذلك بوضعها للنقطتين على سبيل الشرح و الإسراد، و من ثم بدأت الآية من جديد كجزء قائم بذاته :

"il n'y a de Dieu que lui"

في حين أنَّ الآية كما جاءت في كتاب الله الحكيم لم تعرف هذه القطيعة، و بالتالي فإنَّ الترجمة الصحيحة في رأبي هي:

«Dieu a témoigné, les anges et ceux doués de science, qu'il n'y a de Dieu que lui ; le Mainteneur de la justice. Point de divinité a part Lui Le Puissant, le Sage "

- ترجمت قوله تعالى "إن الدين عند الله الإسلام و ما إختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم و من يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب" (آل عمران 19) كما يلي⁽¹⁾:

**"La Religion , aux yeux de Dieu ,
Est vraiment la Soumission.**

Ceux auxquels le Livre a été donné ne se sont opposés les uns aux autres, et par jalousie,

**Qu'après avoir reçu la science.
Quant à celui qui ne croit pas aux Signes de Dieu,
Qu'il sache que Dieu est prompt dans ses comptes."**

من الواضح أنَّ المترجمة تتعمد الإخلال بمعنى آيات الكتاب الحكيم، فما أسهل من أن تترجم هذه الآية الواضحة " إنَّ الدين عند الله الإسلام " بـ :

"La Religion acceptée par Allah est l'Islam "

ثم إنَّ حرف العطف و ما يليه "المسطر عليه أعلاه" لا أساس له، فالنص القرآني يقول "و ما إختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم" فأين واو العطف وكلمة "غيره" هنا؟ لا وجود لهما، زد على ذلك إستخدامها للفظ "Quant" الذي يفيد التباين والفصل بين الآتي و ما سبق، وكأنَّ ما سبق ذكره من الآية لا يخص ما يلي، أي أنَّ أهل الكتاب الذين إختلفوا بسبب بغيتهم ليسوا ممن كفر بآيات الله، فيال مكر هذه المستشرقة وإحتيالها على معاني كتاب الله، والصحيح هو إستعمال واو العطف كما جاء في الأصل و ذلك لإتساق المعنى كما يلي:

(1) Denise Masson ,Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P62

"La Religion acceptée par Allah est l'Islam. Ceux auxquels le Livre a été donné ne se sont disputés par nuisance qu'après avoir reçu la science. Et celui qui ne croit par aux signes d'Allah, Allah est prompt dans ses comptes."

- ترجمت قوله تعالى "إذ قالت امرأة عمران ربي إنني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم* فلما وضعها قالت ربي إنني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت و ليس الذكر كالأنثى و إنني سميتها مريم و إنني أعيدها بك و ذريتها من الشيطان الرجيم" (آل عمران 35-36) كما يلي⁽¹⁾:

35" La femme de 'Imran dit :

« Mon seigneur !

Je te consacre ce qui est dans mon sein ;

Accepte-le de ma part.

Tu es en vérité, celui qui entend et qui sait »"

36 "Après avoir mis sa fille au monde, elle dit :

« Mon seigneur !

J'ai mis au monde une fille »

-Dieu savait ce qu'elle avait enfanté :

Un garçon n'est pas semblable à une fille-

« Je l'appelle Marie,

je la mets sous ta protection, elle et sa descendance,

Contre Satan, le réprouvé »"

أول ما يلاحظ هو إهمال المترجمة للفظ "إذ" في الترجمة و التي إن وجدت فلغرض معين لأن كل كلمة في القرآن الكريم بل كل حرف بميزان، و "إذ" هنا تضمن التواصل مع ما سبقها من آية، ولكن المترجمة لم تعرها أهمية، أو ربما لم تجد لها بديلا .

أنا اقترح أن يتم ترجمتها بـ "Lorseque".

ثانيا، ترجمت كلمة "بطني" بـ "Sein" بينما كان عليها ترجمتها بـ "Ventre"

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P65

كما يأخذ على ماسون أيضا إضافة كلمة "بنت" في الترجمة، في حين أنها غائبة في النص الأصلي، فكان عليها الإلتزام بالنص القرآني الذي سيتبين من خلاله تلقائيا أنَّ المولود كان "بنتا" و بالتالي أقترح الترجمة التالية:

35 « Lorseque la femme de ‘Imran dit : « Seigneur je t’ai voué ce qui est dans mon ventre, accepte-le donc de moi. C’est toi l’Audient et l’Omniscient »

36"Quand elle a mise alors au monde, elle dit : « Seigneur j’ai accouché d’une fille » et Allah est Meilleur Connaisseur de ce dont elle a accouché, et le garçon n’est pas semblable à la fille, « Je l’ai appelé Marie, et je la mets sous ta protection, elle et sa descendance, contre Satan, le réprouvé »"

– ترجمت قوله تعالى " أويحاجوكم عند ربكم " (آل عمران 73) كالآتي⁽¹⁾:

**"Ou bien encore, ils argumentent contre vous
au sujet de votre Seigneur"**

بمعنى "أو يحاجوكم حول ربكم" و هذا تحريف جلي و الصحيح القول:

"Ils argumentent contre vous auprès de votre Seigneur"

– ترجمت قوله تعالى "و اتقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام" (النساء 1) كالآتي⁽²⁾:

"Craignez Dieu !

-vous vous interroger à son sujet-

et respectez les entrailles qui vous ont portés.

-Dieu vous observe-

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P70

(2) المرجع السابق، ص 91

جاء في تفسير ابن كثير⁽¹⁾ أنَّ معنى الآية "اتقوا الله الذي تعاقدون و تعاهدون به و اتقوا الأرحام أن تقطعوها بل بروها و صلوها"، وليس كما عبرت عنه المترجمة باتقوا الله الذين تتساءلون حوله ، و البطون التي حملتكم. و بالتالي تكون الترجمة كما يلي:

"Craignez Allah au nom duquel vous vous implorez et craignez de rompre les liens du sang"

أريد هنا الإستفاضة قليلا حول مفهوم "صلة الأرحام" التي تعد ميزة نعتز بها كمسلمين، تهدف إلى توطيد وترسيخ أواصر القرى بين الأقارب الذين يجمع بينهم دم واحد. وإذا كان الأمر كذلك، فلا ريب أنَّ ترجمة هذا المفهوم -بما يفى بالمراد والمقصود- يعدُّ أمرا صعبا إلى حد ما، بيد أنه مهما كان هناك تفاوت واختلاف بين المترجمين في إعطاء مقابل قريب للمعنى الأصلي، فإنه من غير المقبول أن يؤتى بلفظة البطن مقابلا للفظه الأرحام. وهكذا تنقلب "صلة القرابة" إلى معنى "رحم المرأة" ... ولا شك أنَّ المترجمة كانت تعلم جيدا أنه بإختيارها وترجيحها لهذه الترجمة الفاسدة، كانت توغل في نسج الغموض والتشويش على القارئ لأنه كان بإستطاعتها تقديم اللفظة المناسبة والملائمة، ولا سيما أنها إطلعت حتما على ترجمات زملائها السابقين الذين سعى كل منهم إلى محاولة تقريب المراد من اللفظة إلى قراء الفرنسية.

- ترجمت قوله تعالى "وعاشروهن بالمعروف" (النساء 19) كما يلي⁽²⁾:

"Comportez-vous envers elles suivant la coutume"

فترجمت كلمة "المعروف" بمعنى ما هو "متداول و تقليدي"، في حين أنَّ معنى الآية في تفسير ابن كثير⁽¹⁾ هو "طيبوا أقوالكم لهن و حسنوا أفعالكم". و

(1) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393هـ، المجلد الاول ص354

(2) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P95

بالتالي فأنا أرى الترجمة التالية:

"Et comportez-vous convenablement avec elles"

- ترجمت قوله تعالى " من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين " (النساء 69) كما يلي (2):

"Avec les prophètes, les justes

les témoins et les saints"

فأعطت كمقابل "للشهداء" كلمة « **témoins** » أي الشهود ،بينما المقصود منها أولئك الذين قتلوا في سبيل الله.

كما ترجمت "الصديقين" بـ « **justes** » أي "العادلين"

و "الصالحين" بـ « **Saints** » أي "المعصومين"

و الصحيح القول:

"Les prophètes, les véridiques ; les martyrs et les vertueux"

- ترجمت قوله تعالى "إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك و على

والدتك إذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد و كهلا " (المائدة 110) كما يلي (3):

" Dieu dit :

« O Jésus, fils de Marie !

Rappelle-toi mes bienfaits à ton égard

et à l'égard de ta mère.

Je t'ai fortifié par l'Esprit de sainteté.

Dès le berceau, tu parlais aux hommes

(1) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393هـ، المجلد الاول ص 387

(2) Denise Masson ,Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P104

(3) المرجع السابق، ص 147

comme un vieillard »

نلاحظ هنا أنها أغفلت "واو العطف" في نهاية الآية "في المهد وكهلا"، وإستبدلتها بكلمة "مثل" ليتغير المعنى كلياً و يصبح "تكلم الناس في المهد كالكهل" وهذا من التشويه، كما أنها أغفلت كما سبق لها و أن فعلت أداة "إذ" في بداية الآية.

والترجمة الصحيحة في رأيي تكون كما يلي:

« Quand Allah dit : O Jésus fils de Marie, rappelle-toi mon beinfaict sur toi et sur ta mère lorsque je t'ai fortifié par l'Esprit de la Sainteté. Au berceau tu parlais aux gens comme à ton age mur »

- ترجمت قوله تعالى " ألا بذكر الله تطمئن القلوب" (الرعد 28) كما يلي⁽¹⁾:

« les cœurs ne s'apaisent-ils pas au souvenir de Dieu ? »

فإعتبرت كلمة "ألا" كأنها مركبة من همزة الاستفهام و"لا" النافية، مع أنها حرف تنبيه أي " أليست القلوب بذكر الله تطمئن؟" وهذا خطأ، فالله عز و جل يؤكد لنا هنا أن بذكر الله تطمئن القلوب، و بالتالي كان عليها أن تقول ما يلي:

« C'est par l'évocation d'Allah que les cœurs s'apaisent »

- ترجمت قوله تعالى "أم يقولون نحن جميع منتصر" (القمر 44) كما يلي⁽²⁾:

"Ils diront encore :

« Nous formons une assemblée victorieuse !»"

بمعنى "سيقولون أيضاً..." وهذا من التشويه، فالآية القرآنية لم تأت لتقول أنهم صرحوا بأنهم منتصرون و الصحيح القول:

"Ou bien ils disent : nous formons un groupe vainqueur "

- كما ترجمت الآية 46 من نفس السورة "والساعة أدهى وأمر" كما يلي⁽³⁾:

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume1, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P304

(2) المرجع السابق، ص 662

(3) Denise Masson , Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P662

"L'heure très douloureuse et très amère"

أي "والساعة شديدة الدهاء وشديدة المرارة". فلم تراعي في الترجمة معنى التفضيل على صيغة "افعل" فجاء محله كلمتا "الدهاء" و"المرارة"، لذلك يجب أن تكون الترجمة كما يلي:

"L'heure est plus cruelle et plus douloureuse"

- ترجمت قوله تعالى "والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا" (النحل 72) كما يلي⁽¹⁾:

"Dieu vous a donné des épouses nées parmi vous"

بمعنى أزواجا فيما بينكم وهذا من التضليل، والصحيح القول:

"Allah vous à fait de vous-même des épouses"

- ترجمت قوله تعالى "فأجاءها المخاض" (مريم 23) كما يلي⁽²⁾:

"Les doulerus la surprirent"

أي فاجأها المخاض و جاءها فجأة، و هذا خطأ لأنَّ المعنى المقصود حسب تفسير ابن كثير⁽³⁾ هو "إضطرها المخاض و ألجأها الى جذع النخلة" و بالتالي تكون الترجمة كما يلي:

"Puis les douleurs de l'accouchement l'amenèrent au tronc du palmier"

- ترجمت قوله تعالى "فكلي و اشربي و قري عينا" (مريم 26) كما يلي⁽⁴⁾:

(1) المرجع السابق، ص 332

(2) المرجع السابق، ص 373

(3) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، 1393هـ، المجلد الثاني ص448

(4) Denise Masson, Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P373

"Mange , bois et cesse de pleurer"

أي "كلي و اشربي و كفي عن البكاء" فيا له من تحريف صادم .
فمعنى "قري عينا" حسب ما جاء في تفسير ابن كثير⁽¹⁾ هو "طبي نفسي" .
و الترجمة التي أقترحها هي الآتي:

"Mange donc et bois et réjouis-toi"

- ترجمت قوله تعالى "و قدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا" (الفرقان 23)
كما يلي⁽²⁾:

**"Nous avons considéré les œuvres qu'ils ont accomplies,
nous n'avons trouvé que de la poussière disséminée"**

نلاحظ أنَّ المترجمة هنا أضافت كلمة « que » مع أنها لم ترد في النص القرآني .

و الصحيح في رأيي القول:

**"Nous avons considéré l'œuvre qu'il ont accomplie et Nous l'avons
réduite en poussière éparpillée"**

- ترجمت قوله تعالى "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ" (الزمر 30) كما يلي⁽³⁾:

**"Te voila mort,
Et eux aussi sont vraiment mort"**

(1) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393هـ، المجلد الثاني، ص449

(2) Denise Masson ,Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P444

(3) Denise Masson , Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P571

لقد تساءلت مطولا لماذا ترجمت المستشرقة هذه الآية على هذا النحو؟ لأنّ الذي يفهم من كلامها أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قد مات و إنقضى أجله، فكيف نخاطب ميتا؟ أو ربما قصدت موت القلب و الأحاسيس، وهذا أعظم جرما في حق المصطفى صلوات ربي و سلامه عليه.

إنّ المعنى الصحيح لهذه الآية الكريمة هو أنّ الرسول صلى الله عليه و سلم، والناس أجمع سيموتون يوما لا محالة، وينتقلون للدار الآخرة حسب ما جاء في تفسير ابن كثير⁽¹⁾ و بالتالي لأرى غير ترجمة واحدة لهذه الآية و هي:

"Toi tu mourras et eux aussi mourront "

- ترجمت قوله تعالى "كمثل غيث أعجب الكفار نباته" (الحديد 20) كما يلي⁽²⁾:

"Elle est semblable à une ondée :

La végétation qu'elle suscite plait aux incrédules"

بينما ترجمت المستشرقة كلمة "الكفار" بمعناها المتداول أي الذين يكفرون و يشركون بالله ، جاء معناها في تفسير ابن كثير⁽³⁾ "الزراع" و بالتالي تكون الترجمة:

"Elle est pareil à une pluie, la végétation qui en vient plait aux cultivateurs"

- ترجمت قوله تعالى "فإقرؤوا ما تيسر من القرآن" (المزمل 20) كما يلي⁽⁴⁾:

"Récitez donc à haute voix

ce qui est possible du Coran"

(1) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393 هـ، المجلد الثالث، ص 219

(2) Denise Masson , Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P675

(3) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393 هـ، المجلد الثالث، ص 453

(4) Denise Masson , Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P725

بمعنى "إقروؤوا بصوت عال ما تيسر منه" بينما معنى الآية في تفسير ابن كثير⁽¹⁾ في "أي اقرؤوا القرآن من غير تحديد بوقت و قوموا من الليل ما تيسر" فلا أدري أي تفسير لجئت إليه المترجمة لتقترح على القارئ هذه الترجمة.
إذن أقترح الترجمة التالية:

"Récitez ce qui vous est possible "

- ترجمت قوله تعالى "لواحة للبشر" (المدر 29) كما يلي⁽²⁾:

"Il dévore les mortels"

فأعطت كمقابل لكلمة "بشر" كلمة « Mortel » بمعنى بني البشر أي الناس ،
غير أن ابن كثير قد ذكر⁽³⁾ أن معنى كلمة "بشر" هنا "الجلد" أي "أن النار تلتفح الجلد فتدعه أسود" .
و بالتالي تكون الترجمة الصحيحة كما يلي:

"Il (le feu) brule la peau et la noircit"

- ترجمت قوله تعالى " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون" (المطففين 15) كما يلي⁽⁴⁾:

"Non !Ils seront, ce jour-la, séparés de leur Seigneur"

نلاحظ أن المستشرقة أعطت كبديل لكلمة "محجوبون" كلمة « Séparés » أي "مفصولون" في حين أن ابن كثير قد ذكر أن معناها :

"أي إنهم لن يروا ربهم لأنه سيحببهم عن ذلك أي يضع بينه وبينهم حجاباً"⁽¹⁾.

(1) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393 هـ، المجلد الثالث، ص565

(2) Denise Masson , Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P727

(3) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393 هـ، المجلد الثالث، ص580

(4) Denise Masson , Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard,1967, P746

- ترجمت قوله تعالى " وفي ذلك فليتنافس المتنافسون " (المطففين 26) كما يلي (2):

"Ceux qui en désirent peuvent le convoiter"

فلا نجد في الترجمة علامة المنافسة والتنافس التي أشار إليها القرآن الكريم، بل إكتفت المترجمة بالقول أنه يمكن للذين يرغبون في هذا النعيم أن يسارعوا إليه، بينما الأمر مناط منافسة، إذن انا أرى هذه الترجمة :

"Que ceux qui convoitent ce bonheur entrent en compétition pour l'acquérir"

- ترجمت قوله تعالى " و العصر " (العصر 1) كما يلي (3):

"Par l'instant !"

بمعنى " و الوقت الحالي " و هذا خطأ فقد جاء في تفسير ابن كثير "العصر هو الزمان الذي تقع فيه حركات بني آدم من خير و شر" (4).

و منه فالترجمة الصحيحة تكون في رأيي كالآتي:

"Par le temps !"

- ترجمت قوله تعالى " الله الصمد " (الإخلاص 2) كما يلي (1):

(1) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393هـ، المجلد الثالث، ص715
(2) Denise Masson , Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P747

(3) المرجع السابق، ص 767

(4) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393هـ، المجلد الثالث، ص783

"L'impénétrable !"

أي "الذي لا يمكن ولوجه أو إقتحامه" كما فسرت ذلك في الهامش و مرة أخرى أتساءل لما لم تلجأ هذه المترجمة الى التفاسير المشهورة والموثوقة لتجد ضالتها فيها؟ إنَّ معنى كلمة "الصمد" حسب تفسير ابن كثير هو "السيد الذي تتجه إليه الخلائق في حوائجهم و مسائلهم"⁽²⁾. وبالتالي أقول بالترجمة التالية:

"Le Seul à etre imploré pour ce que nous désirons"

في نهاية هذه الجولة حول أخطاء دونيز ماسون في ترجمة معاني كتاب الله الكريم أخلص الى النتائج والتوصيات التالية:

* إنَّ الناظر المتأمل والفاحص في ترجمة ماسون لمعاني كتاب الله، يظهر له أنه لا يمكن الإعتداد بها كلية لأنها مُحطمة للمُسلّمات التي يجزم بها المسلمون، ومشككة في البدايات التي يؤمنون بها.

* يجب عدم الإخداع بما قد تظهره ماسون من تعاطف بالغ مع الإسلام، فالأمر لا يعدو أن يكون مظهرًا جماليًا وحضاريًا، تسعى المستشرقة من ورائه حتماً، إلى التقرب إلى المسلمين وكسب مودتهم.

* يجب أن نعلم جيداً أنَّ الباحث الغربي ما دام مستشرقاً يدرس الإسلام من زاوية خارجية ووفق منظور تغريبي، فلا ينتظر منه أن يؤمن بما يؤمن به وإلّا لدخل في الإسلام.

(1) Denise Masson , Le Coran, Volume2, Folio classique, Editions Gallimard, 1967, P771

(2) مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت ، 1393 هـ، المجلد الثالث، ص793

* ينبغي رصد ومتابعة كل ما يترجم أو يكتب عن القرآن الكريم من منظور إستشراقي من أبحاث ودراسات بمختلف اللغات الأجنبية، ثم القيام بالرد عليها ونشرها في المجتمعات الغربية عن طريق المراكز الثقافية الإسلامية والجمعيات والمنظمات .

الخاتمة

هأنأ أصل إلى نهاية ما تيسر لي من الكتابة حول هذا الموضوع المعنون بـ "ترجمة معاني القرآن الكريم عند دونيز ماسون"، والتي لم تكن ترجمة كاملة تامة خالية من العيوب اللغوية وغير اللغوية، بل لن تكون قط هي وغيرها من المحاولات، لأن اللغات الإنسانية لا تتطابق ولا تتكافئ مائة بالمائة، فلكل بناؤها وروحها ووسائلها الخاصة، ولذا فالترجمة دوران حول النص، وإذا كانت الترجمة الأدبية مستعسرة، فكيف بترجمة معاني القرآن العظيم؟ وهل نأخذ على المترجم المخل إلا ما قصر عن تحصيله من بعض أصول النص، ثم من عدم إدراك ما تحمله لغته المترجم إليها من إمكانات؟ فماذا نصنع إذا كانت اللغة المتلقية نفسها قاصرة، بل غير مطابقة، كما رأينا في إستعراض ترجمة ماسون؟ وماذا عن مستوى القارئ المعرفي بلغته التي يقرأ بها الترجمة؟ وهل هو كالقارئ العربي متفاوت في درجات المعرفة والحس اللغوي والبلاغي والأدبي؟ لابد إذن على دارس الترجمات أن يجري نوعاً من الإستفتاء والإستقصاء على أرض الواقع اللغوي الفرنسي مثلاً، ليحدد أنواع القراء وطبقاتهم وأسباب توجههم إلى قراءة القرآن في الترجمة الفرنسية، وهل هي قراءة إيمان وعبادة؟ أم قراءة دراسة وبحث؟ وبأي عين يدخل إلى النص؟!

لقد قدمت في هذا البحث الدليل على عدم إمكان ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة صحيحة تحفظ له معانيه الدقيقة وحكمه البالغة بكل مظاهر إعجازه، كما أظهرت عدم صلاحية ترجمة دونيز ماسون لمعاني القرآن الكريم لأنها تخلط بين الترجمة بمعناها الدقيق حين تقدر على ذلك، وبين التفسير والشرح والتأويل حين لا تقدر.

وفي مقابل ذلك، فقد بينت أن الترجمة التفسيرية هي الوسيلة الأصح والأأنفع في بلوغ المقصود، وقد دعاني ذلك إلى الحديث عن الدواعي التي تجعل نقل معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم أمراً ضرورياً، وعن الخصائص المميزة للغة هذا الكتاب العظيم، وعن علاقة الترجمة

بالعقل البشري وأهميتها في التواصل، وعن أهمية إعتداد التفاسير الموثوقة في تقريب كلام الله المنزل إلى الناس أجمعين.

إنّ ترجمة معاني القرآن الكريم ليس حراماً مطلقاً ولا مباحاً مطلقاً ، إنما تجوز بشروط وقيود كما بينت سابقا لئلا تمتد الأيدي السوداء إلى قداسة القرآن وكرامته، كما يجب على المسلم غير العربي أن يتعلم لغة القرآن الكريم، وذلك لإقامة الشعائر الدينية من صلاة وأدعية وفهم للكتاب والسنة.

والحديث عن لغة القرآن الكريم أمر في غاية الأهمية و الحساسية، إذ بما أنها لغة إلهية، يُنظر إليها على أنها في مقام أرفع من لغة البشر، وبالتالي تكون متبوعة لا تابعة، بثقافتها وصورها وبيئاتها، لئلا يختل التوازن ويختلط الأمر على الناس، وتشيع فوضى الترجمة والفهم بينهم حين نقل معاني القرآن الكريم لأي لغة أخرى، فعالمية القرآن والإسلام تقتضي نقل معانيهما كما هي في الأصل العربي بلاغة وبيانا وثقافة لأي لغة ينقلان إليها، وهذا سبب آخر يدعونا للحفاظ على لغته كما هي، وبذلك يجب للترجمات أن تبدو متطابقة ولا تختلف إلا في أشياء بسيطة لا تعكر صفو الصورة الأصل، والإعتراض على هذا مطروح بدعوى أنه إذا كان القرآن الكريم عالمياً والإسلام للناس كافة، فاللغة العربية ليست كذلك، وبالتالي لا نلزم أهل اللغات الأخرى بها وبثقافتها التي قد تستعصي على الفهم في ثقافتهم.

لا شك أنّ هذا إعتراض مشروع، ولا بدّ من التعامل معه بكل دقة وجدية، ولكن في الوقت نفسه وإن لم تكن اللغة العربية لغة العالم، إلا أنها إحدى اللغات العالمية الرئيسة.

إنّ أية ترجمة لمعاني القرآن الكريم تبقى محاولة إنسانية قاصرة تنصبّ على ترجمة الآية بما يقابلها ويمثلها في اللغة الأجنبية، مما يسبب ضياعا للعديد من معاني القرآن ودلالاته وإيحاءاته، إذ أنّ الترجمات الفردية والحرفية، سواء كانت من مستشرقين أو مسلمين ، يعثرها كثير من القصور والخلل، وينالها العديد من العيوب والنواقص كما سبق وأن فصلت فيه، ما ينبغي تنزيه كتاب الله تعالى عنها.

و تبقى -في نظري- خدمة القرآن الكريم وتفسيره وترجمته ونشر أنواره وتعاليمه السامية إلى

كل لغات العالم مهمة عظيمة، وأمانة جلييلة، لا يقوم بها إلا ذووا العلم والتقى، وهذه المهمة داخلية في صلب الدعوة إلى الله تعالى التي مدح جل شأنه القائمين بها فقال: "ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين" (فصلت 33)، والحاجة اليوم ماسة أكثر من أي وقت مضى، إلى القيام بترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى لغات العالم كلها، لأنّ الترجمات الفاسدة منتشرة بكثرة، وهي تسيء للإسلام، فدرءاً لهذه المفسدة لا بدّ من شدّ الهمم العالية للقيام بهذه المهمة خدمة لكتاب الله ولهذا الدين الحنيف.

وأرجو الله تعالى أن تكون الملاحظات التي أبديتها بخصوص ترجمة معاني القرآن الكريم، لصاحبها **دوينر ماسون**، كفيلة بأن تُسهم في تعزيز الجهاز النقدي الشامل الذي يتعين تسليطه وتطبيقه على مختلف ترجمات معاني القرآن الكريم. وبالله التوفيق ومنه نستمد العون والسداد .

النتائج و التوصيات :

- الترجمة هي نقل الكلام من لغة إلى أخرى، عن طريق التدرّج من الكلمات الجزئية إلى الجمل والمعاني الكلية.

- الترجمة في الإصطلاح تقوم مقام الأصل ، وتغني عنه.

- الترجمة غير التفسير، ففي التفسير لا ينقل الكلام بل يشرح ويوضح، سواء باللغة العربية أو غيرها.

- الترجمة الحرفية لمعاني القرآن الكريم مستحيلة، وذلك لإعتبارات متعددة منها : طبيعة القرآن، ورسمه، وإعجازه، وأسلوبه، ومعانيه، ومبانيه، وبلاغته، وفصاحته، وقراءته، وتجويده، وموسيقاه، وغير ذلك.

- تحرّم ترجمة معاني القرآن الكريم بمفهومها ذلك، لأدلة من القرآن والسنة، ومن باب سدّ الذرائع، تجوز الترجمة التفسيرية لمعاني القرآن الكريم القرآن الكريم، بشروط وقيود وضوابط شرعية.

- للترجمة التفسيرية فوائد عظيمة منها تبليغ معاني القرآن الكريم بتفسيره للأمة الإسلامية جمعاء، ودفع الشبهات والأباطيل التي ألصقتها أعداء الإسلام بالقرآن الكريم وتفسيره، وكشف النقاب عن جمال القرآن الكريم ومحاسنه، وإحياء لغة العرب، وتعريب الأعاجم.

- في الوقت ذاته يترتب على هذه الترجمة أخطار منها خطر يحيق بالقرآن الكريم، ويتمثل هذا الخطر في إنصراف الناس عن القرآن الكريم، والإستغناء عنه بالترجمة المزعومة، وهو خطر ينزل

بالأمة الإسلامية الواحدة، فيتفرقوا وتذهب ريجهم ويضعفون، ويحلّ باللغة العربية، فتنزل لغة العرب عن جميع المسلمين.

- إذا كانت ترجمة معاني القرآن غير مجبذة، فإننا نستطيع أن ندعوا غير العرب إلى الإسلام عن طريق ترجمة التعاليم الإسلامية إلى اللغات الأجنبية، وتعليم بعض المسلمين للغات الأجنبية، وإيفادهم إلى تلك البلاد لتبليغ الدعوة، ونشر الإسلام بلغات أهل تلك البلاد ..

- يجب على غير العرب أن يتعلموا اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم، لأنّ اللغة العربية هي الأداة لفهم الكتاب والسنة، وحتى يقوموا بأداء ما يفترض عليهم من صلاة وتكبير وتسبيح وتحميد وغير ذلك.

- أكثر ترجمات معاني القرآن الكريم كانت للنيل من الإسلام، والتشكيك في رسالة النبي، وإظهار عجز اللغة العربية بزعمهم، وعدم مواكبتها لتطور الحضارة والعصر.

- إعتبار التفاسير المعتمدة الأساس للترجمات خاصة تلك التي توجه إلى غير المسلمين، أما المسلمون فيحتاجون إلى أوسع من ذلك.

- وضع برنامج لتأهيل المترجمين والمفسرين والشرح لكتاب الله عز وجل، مع إعتبار أنّ عمل الترجمة ينبغي أن يكون عمل مجموع وليس عمل فرد واحد.

- التأكد من أنّ الترجمات تنحو إلى التعبير بالمعاني المحملة وليس بالمرادفات اللفظية .

- الإهتمام بالنشر الإلكتروني سواء في إخراج برامج حاسوبية تحمل ترجمات معاني القرآن الكريم، أم عن طريق التوسع في استخدام شبكة الإنترنت.

- محاولة الوصول إلى المكتبات العامة، ومن ثمّ وضع الترجمات الصحيحة فيها بدلاً من الترجمات المغلوطة والمحرّفة .

قائمة المراجع العربية :

- القرآن الكريم برواية ورش.
- أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة بيروت .
- أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية سنة 1341هـ
- بدر الدين الزركشي، البحر المحيط في أصول الفقه، تحرير عبد القادر العاني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، 1413هـ .
- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ط دار المعرفة 1410هـ.
- محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن، علي الرضا التونسي، سنة 1391هـ .
- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، نشر دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثانية، سنة 1393هـ .
- فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، دار المعرفة - بيروت عن الطبعة الأولى ببولاق، سنة 1313هـ .
- الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار إحياء الكتاب العربي .
- الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، دار الباز بمكة .
- علي بن سليمان العبيد، تفسير القرآن الكريم، أصوله وضوابطه، مكتبة التوبة، الطبعة الأولى، سنة 1418هـ .
- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، الطبعة الثانية، 1396هـ .
- ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1411هـ.

- أحمد إبراهيم مهنا، دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، مطبوعات الشعب .
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، عناية: كمال يوسف الحوت، دار الجنان بيروت، الأولى سنة 1409هـ.
- أبي عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيقاً محمد شاکر، الطبعة الثانية سنة 1398هـ.
- ابن فارس، الصحاحي، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بالقاهرة .
- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الثانية سنة 1402هـ .
- صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة الثانية، سنة 1392هـ، نشر: دار الفكر ، بيروت .
- ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار بيروت للطباعة، سنة 1376هـ.
- أحمد بن يوسف السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق محمود محمد السيد الدغيم، الطبعة الأولى، سنة 1407هـ .
- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الطبعة الثانية، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ببلاق سنة 1301هـ.
- أحمد سالم ملحم، فيض الرحمن في الأحكام الفقهية الخاصة بالقران، دار النفائس بالأردن، الطبعة الأولى سنة 1421هـ .
- أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة العبيكان بالرياض سنة 1418هـ .
- عبدالعزيز بن أحمد البخاري، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت .
- مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف بالرياض، سنة 1413هـ .

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، سنة 1403 هـ .
- مصطفى السيوطي الرحباني، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة 1380 هـ .
- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، دار الدعوة بإسطنبول.
- ابن قدامة، المغني، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض.
- محمد عبدالعظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، عيسى البابي الحلبي بالقاهرة .
- أبي إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت .
- أبي السعادات ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار الباز، مكة .
- محمد فتح الله الزيادي، الإستشراق أهدافه ووسائله ، دار قتيبة 2002م.
- قاسم السامرائي، الإستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي، الرياض 1983م.
- محمد الفيومي، الإستشراق رسالة الإستعمار، الفكر العربي، القاهرة، 1413 هـ.
- عمر فوزي، الإستشراق والتاريخ الإسلامي، لبنان، 1998م.
- محمود حمدي زقزوق، الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، طبعة كتاب الأمة مؤسسة الرسالة ، قطر، 1405 هـ.
- عبد القهار العاني، الاستشراق والدراسات الإسلامية ، الأردن 1421 هـ.
- محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، دار الإرشاد، بيروت.
- يوهان فك، تاريخ حركة الإستشراق: ترجمة عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت .
- محمد التمسamani، تاريخ حركة ترجمة معاني القرآن الكريم من قبل المستشرقين، مجمع الملك فهد بالمدينة، 1423 هـ.

- جون ثالث باليئا، تاريخ الفكر العربي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة العربية، ط1، 1955م.
- عبد الله عباس الندوي، ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند العرب، دار الفتح، جدة، 1392هـ.
- عبد الجبار ناجي، تطور الإشتراق في دراسة التراث العربي، بغداد 1981م.
- محمد سالم بن شديد العوفي، تطور كتابة المصحف الشريف وطابعته، مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، 1421هـ.
- أحمد غراب، الرؤية الإسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن، 1411هـ.
- عبد الراضي محمد عبد المحسن، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة 1421هـ.
- البهي، الفكر الإسلامي في تطوره، دار الفكر، بيروت، 1971م.
- أحمد سماعيلوفتش، فلسفة الاستشراق، دار المعارف، مصر، 1974م.
- أحمد الإسكندراني، الكتاب المفصل في تاريخ الأدب العربي، القاهرة، 1994م.
- عمر لطفي العالم، المستشرقون والقرآن، مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، 1991م.
- محمود محمد الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مطبعة المدني، القاهرة، 1984م.
- نجيب العقيلي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة.
- محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة معاني القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ، 1983م.
- عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة العربية القاهرة، 1980م.
- علي بن إبراهيم النملة، المستشرقون ونشر التراث، مكتبة التوبة، الرياض، 1424هـ.
- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م.

- أحمد محمد الفيومي، المصباح المنير، مصر 1369هـ.
- معجم متن اللغة: دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م.

المراجع الأجنبية :

- Denise Masson : Le Coran. Folio classique. Editions Gallimard.1967.
- Jaques Berque : le Coran essai de traduction d'arabe édition sindibad Paris 1990 .
- Regis Blachère : le Coran, édition GP maison neuve Paris.
- Moslem world” Ibid, Watt. January 1934.
- Arthur J. Arberry, The Koran Interpreted, Oxford University Press, 1998.
- Muhammad William Pickthall, The Meaning of the Glorious
-Qur'an,Istanbul,1996.
- Cours de linguistique générale. Edition critique préparée par Tullio de Mauro.
Payot. Paris.1984.

المواقع الإلكترونية :

www.tafsir.org

www.almeshtak.net

www.islamonline.net

www.14masom.com

www.alargam.com

wwwChiffa.com

www.Lemasat.om

03.....	المقدمة.....
10.....	المدخل.....
11.....	1- خصوصية القرآن الكريم.....
12.....	■ اللغة.....
13.....	■ التنزه.....
13.....	■ الدقة.....
17.....	2- الإعجاز البياني للقران الكريم.....
33.....	■ وضع المضمر موضع المظهر.....
33.....	■ وضع المظهر موضع المضمر.....
34.....	■ التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي.....
34.....	■ التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل.....
36.....	الفصل الأول : ماهية ترجمة معاني القرآن الكريم.....
59.....	المبحث الأول : أهم مشاكل ترجمة معاني القرآن الكريم.....
69.....	المبحث الثاني : حكم ترجمة معاني القرآن الكريم.....
70.....	■ حكم الترجمة الحرفية.....
74.....	■ حكم الترجمة التفسيرية.....
82.....	الفصل الثاني : تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم.....
88.....	المبحث الأول : ترجمة المستشرقين لمعاني القرآن الكريم.....
96.....	■ الترجمة اللاتينية.....
97.....	■ الترجمة الإيطالية الأولى.....
97.....	■ الترجمة الألمانية الأولى.....
98.....	■ الترجمة الهولندية الأولى.....

98..... الترجمة الفرنسية الأولى. ■

98..... الترجمة الانجليزية الأولى. ■

المبحث الثاني : الترجمات الإسلامية و شبه الإسلامية لمعاني القرآن الكريم ... 104

104..... الترجمات الاسلامية. ■

107..... الترجمات شبه الاسلامية. ■

108..... - ترجمة محمد علي اللاهوري.

108..... - ترجمة ظفر الله خان.

الفصل الثالث : رحلة دونيز ماسون مع كتاب الله الكريم..... 110

المبحث الأول : منهج المستشرق في الترجمة وأسلوبها فيها..... 145

المبحث الثاني : من أخطاء دونيز ماسون في ترجمتها لمعاني كتاب الله..... 160

الخاتمة..... 184

و النتائج التوصيات..... 188

قائمة المراجع..... 191

المراجع الاجنبية..... 195

المواقع الالكترونية..... 196

ملخص:

إنّ الحديث عن لغة القرآن الكريم أمر في غاية الأهمية و الحساسية، إذ بما أنها لغة إلهية، يُنظر إليها على أنها في مقام أرفع من لغة البشر، وبالتالي تكون متبوعة لا تابعة، بثقافتها وصورها وبيانها، لنلا يخل التوازن ويختلط الأمر على الناس، وتشيع فوضى الترجمة والفهم بينهم حين نقل معاني القرآن الكريم لأي لغة أخرى، فعالمية القرآن والإسلام تقتضي نقل معانيهما كما هي في الأصل العربي بلاغة وبياناً وثقافة لأي لغة ينقلان إليها، وهذا سبب آخر يدعونا للحفاظ على لغته كما هي، وبذلك يجب للترجمات أن تبدو متطابقة ولا تختلف إلا في أشياء بسيطة لا تعكر صفو الصورة الأصل، و الاعتراض على هذا مطروح بدعوى أنه إذا كان القرآن الكريم عالمياً والإسلام للناس كافة، فاللغة العربية ليست كذلك، وبالتالي لا نلزم أهل اللغات الأخرى بها وبثقافتها التي قد تستعصي على الفهم في ثقافتهم.

لا شك أنّ هذا اعتراض مشروع، ولا بدّ من التعامل معه بكل دقة وجدية، ولكن في الوقت نفسه و إن لم تكن اللغة العربية لغة العالم، إلا أنها إحدى اللغات العالمية الرئيسة.

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم؛ اللغة العربية؛ الإعجاز البياني؛ المصطلحات الإسلامية؛ الترجمة التفسيرية؛ الترجمة الحرفية؛ المستشرقون؛ المترجمون العرب؛ دونيز ماسون؛ جورج جروجون.